أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

العدد (٥١٠) صفر ١٤٣٤هـ/ديسمبر ٢٠١٢م

الوعي الإسلامي

Al-Wa'ei Al-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

«الأوقاف» تشارك في معرض فرانكفورت للكتاب

ما يسطرون وأمانة الكلمة

- الدراسات الصوتية عند ابن الجزري.. المادة والمنهج
- المرأة والحرية الفنية في القرآن الكريم
- قالت العرب في الأمثال
- كيف تقي طفلك من التحرش الجنسي؟

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
لعبة
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
عبارة عن لعبة تتحدث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم منذ مولده وحتى وفاته
تحتوي على بطاقات الأسئلة وبطاقات اسحب وبطاقات اربح وعملات
نقدية وشهادات الوقفيات وبطاقات تملك ورموز تمثل اللاعبين
سيرة النبي
الآن..
اطلب نسختك
إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦
youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom
تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

الافتتاحية

التحمل والأداء

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذمّ، لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، ومن هنا كان التمسك بالصدق في كل أمر، وتحريه في كل شأن، والمصير إليه في كل حكم، دعامة وركيزة في خلق المسلم وسلوكه، وإن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين، دون الجزم واليقين قبيح، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت، ويكون على ثقة من ذلك، لا مجرد حكاية ظن وزعم، «بئس مطية الرجل زعموا» وقال علي رضي الله عنه: «لا تكونوا عُجُلًا مذاييع بُذرًا» أي نشر الأخبار، وإفشاء الأسرار.

وإنه لمن الكمال اللائق بالمجتمع المسلم أن يكون بناء المجتمع قائمًا على محاربة الظنون، ونبذ الإشاعات، واطراح الريب، فالإشاعة تزعزع الأمن، وتنشر الخوف والهلع، ولاتزال تتجدد في المجتمعات، وقد زادت وكثرت هذه الأوقات، لسهولة نشرها، وتعدد طرق وصولها، وقلة الأمانة، وكثرة الخيانة، فاحذر عواقبها، واحفظ لسانك، وأمسك بنانك، وتثبت السماع، ونقل الأخبار، وإياك وإشاعة الضار، وأحسن الظن بالناس، وضع نفسك في موضع التهم، أتحب أن يهتك سترك، ويشيع خبرك؟ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (النور: ١٢). و«كفى بالمرء كذبًا أن يحدِّث بكل ما سمع»، و«كره لكم قيل وقال».

والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ من أقبح المنكرات، وعليك بالتوجيهات الشرعية، من التثبت والتحري عند سماع ونقل الأخبار ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ﴿الحجرات: ٦﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (النساء: ٨٣)، وهذا إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها وينشرها، وهذه الآية تضع أمامنا التوجيه والإرشاد، والبعد عن الاعتماد على الظنون المتوهمة غير المتيقنة، وردِّ الأخبار إلى أهل العلم والخبرة والاختصاص، أفلا نقيِّد الألسن عن اشتغالها بالأباطيل، وخوضها في أوحال القال والقيل؟، فإن اللسان أعظم الأعضاء ضررًا، وأشدها خطرًا، إن لم يتعاهده صاحبه أوقعه في آفات، وأفضى به إلى المهلكات، وإنَّ من أعظم آفاته الكذب، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥)، فرحم الله امرءًا حفظ عن اللغو لسانه، وأصلح حاله قبل ارتحاله، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٧٠

صفر ١٤٣٤ هـ

العام الخمسون

ديسمبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد دوح

الإخراج والجرافيك

أبوروش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ -

الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية- ٤ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

وكأنها في واد وما يسطرون في واد! تلك أمانة الكلمة التي نسيها بعض الإعلاميين بعد أن اعتلوا منابر مؤثرة يطلع عليها الناس بحكم العادة أو الانتشار الإعلاني المكثف، أو أساليب الإبهار، أو حتى الكسل في البحث عن منابر إعلامية جادة، لكنها ليست مبهرة بعد.

وزارة الأوقاف تشارك في معرض فرانكفورت للكتاب

الدراسة الصوتية عند ابن الجزري

كيف تقي طفلك من التحرش الجنسي

احم قلبك بحبة فستق

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم . - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة. رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا - شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار •الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ التحمل والأداء	فيصل يوسف العلي
٦	مؤتمرات/ وزارة الأوقاف تشارك في معرض فرانكفورت للكتاب	كريمة بداوي
١٠	حوار / د.عبدالستار الحلوجي	هالة عبدالحافظ
١٤	فكر/ إبراهيم كان أمة	أنور الحمدوني
١٨	فكر / حتى لا نهزم بأيدينا!	خالد راتب
٢١	ملف العدد/ ما يسطرون وأمانة الكلمة	علاء عبدالفتاح
٢٢	ملف العدد/ آفة الإعلام.. الاختلاق	د.محمد سعيد باه
٢٤	ملف العدد/ عندما تكذب آلة الإعلام	المنشاوي الورداني
٢٧	ملف العدد/ الإعلام المغيب	أحمد الفارسي
٢٨	ملف العدد/ الفساد الإعلامي وصياغة المجتمعات	منير أديب
٣١	ملف العدد/ الإعلام وصناعة الكذب	حسين المحمد
٣٢	تراث/ مختصر عمدة النساك في فضل السواك	صالح عبدالفتاح
٣٥	رحلات / مشاهدات في إفريقيا.. المواصلات والماء	عبدالعزيز العسكر
٣٦	دراسات / الماء في الدراسات التراثية (٢-٢)	د.محمود مهدي
٤٠	دراسات /	بلقاسم مكريني
٤٥	دراسات / المرأة والحرية الفنية في القرآن	د.محمود سعيد
٤٨	دراسات / الصديقية في القرآن الكريم	د.عبدالمنعم حسن
٥٠	حوار / الخبير بالبنك الدولي د.رامي تويج	ياسر أبوالعلا
٥٢	لغة وأدب/ قالت العرب في الأمثال	كافية الكبش
٥٦	لغة وأدب/ التصوير القرآني	د.علي صبح
٥٨	لغة وأدب/ حوار مع الأديب الطاهر مكي	نجاح منصور
٦٠	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٦)	عبدالله آيت الأعشير
٦٢	لغة وأدب/ التبعية اللغوية وعقدة الإحساس بالدونية	إبراهيم متولي
٦٥	لغة وأدب/ عذرًا أبا الزهراء	رفعت بروبي
٦٦	أنباء الكتب/ ثورة على المستشرقين والاستشراق	خالد عزب
٦٩	خواطر/ ألبسة المعاني	عامر أحمد
٧٠	أسرة/ الحضانة في الإسلام	عبد بن محمد بركو
٧٢	أسرة/ كيف تقي طفلك من التحرش الجنسي	بشرى شاكر
٧٦	أسرة/ التوحد يحبس الطفل في قوقعة تعزله عن العالم	هدير جلال
٨٠	تنمية/ أسرار النجاح	تسنيم الكيالي
٨٤	طب/ احم قلبك بحبة فستق	محمد سعد
٨٧	رثاء/ الشاعر جابر قميحة - رياض عطية	التحرير
٨٨	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٠	الوعي نت	خالد خلاوي
٩٢	معاقل العلم/ ما وراء النهر	د.محمد المحمدي
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ حلم السعادة الطائر	د.خالد كمال

كلمة العدد

الكلمة الصادقة

للكلمة الصادقة سحر لا يضاهى، فهي أداة التفاهم والتكاتف بين أفراد المجتمع، ووسيلة النهوض بأعباء الحياة، وتحقيق التعايش السلمي، وهي رسول محبة وسلام بين الشعوب.

فالكلمة الصادقة تمثل اليوم الأمانة والرسالة والمسؤولية، مصداقًا لقول المصطفى ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم».

والكلمة الصادقة شجرة مثمرة دائمة العطاء والبذل، وسمة الصادقين والدعاة، فبها ندعو الناس إلى الإسلام، ونقدم النصح للآخرين، ونحدث أثرًا طيبًا في النفوس، ونثمر عملًا صالحًا في كل وقت وحين، وهي التي تقلب الضغائن في القلوب إلى محبة ومودة، وتصلح بين المتباعدين.

إن الكلمة الصادقة هي مفتاح الدعوة إلى الله والقبول لدى الناس، وتعمق أواصر الوحدة بين المجتمعات، وتفتح أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بحسن انتقاء الكلمة واستخدامها لقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

كم للكلمة الصادقة من أثر عظيم وفوائد جمة لأمتنا في هذه المرحلة الحرجة التي تتطلب ضرورة العناية بأخلاق الإسلام ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا لتحدث أثرها المنشود وتحقق سحرها في القلوب والعقول!

التحرير

الاشتراكات
- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وزارة الأوقاف تشارك في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب

كريمة بداوي - ألمانيا

يعد معرض فرانكفورت الدولي للكتاب تظاهرة دولية ثقافية كبرى، تجمع الآلاف من المثقفين والكتاب والباحثين وكذا الناشرين من كل البلدان، كما أن أهمية المعرض لا تكمن فقط في كونه سوقًا كبيرًا تعقد فيه الصفقات التجارية بين المشتغلين بصناعة الكتاب، وإنما لأجل ما يمثله من أهمية معرفية وثقافية تعود لتاريخ إنشائه منذ عقود، ويعد معرض فرانكفورت للكتاب بطبعته الحديثة (٦٤) منبرًا مهما يؤسس للتبادل المعرفي والحوار بين مختلف الأمم والحضارات، وهو ما تسعى إلى تحقيقه مختلف الفعاليات الثقافية التي تقام على هامشه، كالندوات الثقافية والأدبية وحلقات الحوار والنقاش والمحاضرات التي يشارك فيها كبار الأدباء والمثقفين والمبدعين العالميين.

وقد جمع المعرض لهذه السنة (أكتوبر ٢٠١٢) حوالي ٧٣٠٠ دار عرض من مجموع ١٠٠ دولة كما تم إحصاء أكثر من ٣٤٠٠ تظاهرة ثقافية، مستقطبا بذلك جمهورا عريضا من الزوار قدر عدده بـ٢٨١,٧٥٣ زائرا حسب قول المشرف العام على تنظيم المعرض السيد جابي راوخ كنير.

وتجدر الإشارة إلى أن البرنامج الحديث الذي اعتمدته أكاديمية فرانكفورت في المعرض كان عاملا مهما يضاف إلى عوامل أخرى ساعدت على نجاحه، البرنامج الذي سهل عملية البحث وتبادل الأفكار والمستجدات على أكثر من ٣٣٠٠ مشارك تشمل هذه العملية كل المنتوجات المتعلقة بالمعرفة سواء كان ذلك في شكل كتب أو أفلام سمعية بصرية أو ألعاب إلكترونية أو غيرها من الوسائط الثقافية التكنولوجية الحديثة.

حاكم إمارة الشارقة الشيخ القاسمي في زيارة للجناح

وكما جرت تقاليد المعرض باختيار ضيف الشرف الذي تتاح له الفرصة لتسليط الضوء على إنتاجه الفني والأدبي فإن ضيف الشرف لهذه السنة كان من نصيب دولة نيوزيلندا التي أبهرت الحضور بعروضها الثقافية والتراثية المتنوعة.

المشاركة الكويتية

مثلت وزارةُ الأوقاف والشؤون الإسلامية دولةَ الكويت في أول مشاركة لها بمختلف إداراتها، وقد كان منها مجلة «الوعي الإسلامي»، إدارة الثقافة، الوسطية، وإدارة الإعلام، ويجب التنويه إلى أن المشاركة الثرية والمتنوعة للوزارة نالت تقدير وإعجاب الزوار، خاصة أن عناوين الكتب والمجلات المعروضة كانت تتناول مواضيع مهمة وجديدة تمس الواقع من خلال دراسات علمية لأسماء بارزة ومحترمة في سماء الفكر والثقافة. ويمكن تثمين هذه المشاركة باعتبارها تفتح أبوابا للحوار وتمد جسورا لمعرفة الآخر عن طريق التبادل المعرفي مما يعد لبنة محمودة توضع في بناء صرح التواصل الثقافي بين الحضارات مستقبلا.

ومن الآثار الطيبة التي تركتها المشاركة الكويتية في نفوس أبناء الجالية المسلمة في ألمانيا سخاء وكرم الوزارة بتوزيعها المجاني لمختلف أنواع الكتب والأقراص والمجلات وهي بذلك تكون قد مدت يدا لأبناء المسلمين، هم أحوج ما يكونون إليها خاصة أنها تدعو إلى الفكر الوسطي والمعتدل.

وقد أكد وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية خليف الأذينة، حرص الكويت على المشاركة في المهرجانات الثقافية ومعارض الكتاب العالمية لإبراز صورتها الحضارية وإسهامها في إثراء الثقافة العربية.

واعتبر الأذينة معارض الكتاب العالمية «مشاريع حضارية وثقافية تهدف إلى تعزيز ثقافة القراءة والمعرفة وتمكين الفرد من الوعي بأهمية القراءة في الحياة المعاصرة» مشيرا إلى أن المشاركة في معرض فرانكفورت تعد خطوة إيجابية من قبل وزارة الأوقاف لتفعيل قنوات التعاون العالمي في المجالات الثقافية والاتصال بالجاليات المسلمة في الغرب وتقديم ما يهمها من تعليم المفاهيم الإسلامية الصحيحة والتمسك بها.

وقال: إن هذه المشاركة في المعرض تعكس الاهتمام الكويتي بالشأن الثقافي الإسلامي والذي يبرز الوجه الحضاري للكويت من خلال دعمها للإصدارات الثقافية والسلاسل التي ارتبطت بالقارئ العربي منذ زمن بعيد.

وشدد الأذينة على أهمية الكتاب ودوره في تدعيم التنمية الثقافية باعتباره أقدم وأهم مصادر الحصول على المعرفة فضلا عن أن معارض الكتاب تشكل وسيلة اتصال ثقافي وحضاري ومعرفي وجسرا للتواصل مع العالم أجمع.

وأكد أن لقطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف رؤية بأن يكون جهازا حكوميا فعالا يسهم في التنمية المجتمعية وفق فهم إسلامي متكامل يدرك الواقع ويستشرف المستقبل من خلال تقديم البرامج التربوية والثقافية لمختلف الفئات والشرائح بعيدا عن التطرف والغلو وفق وسائل إعلامية متطورة.

من جانبه قال رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» فيصل العلي، إن «مشاركة الوزارة ممثلة في مجلة «الوعي الإسلامي» جاءت بهدف إبراز الجانب الثقافي المشرق للكويت، وخصوصا أن المجلة تصدر منذ ٥٠ عاما بشكل دوري، ولها صدى واسع في العالم الإسلامي».

وأوضح أن للمجلة قراء من مختلف الدول الإسلامية يحرصون على اقتنائها ومتابعتها، وما يكتب بها من مقالات وبحوث ودراسات متخصصة في الجانب الإسلامي، بالإضافة إلى استطلاعات الرأي في القضايا الإسلامية المعاصرة.

وبين العلي، أن «للمجلة اقساما متعددة تخص مختلف أفراد الأسرة الإسلامية، إضافة إلى ملف العدد الذي يبرز قضية تهم العالم الإسلامي، ويتم أخذ رأي كبار المفكرين والعلماء الإسلاميين فيها، إذ يتم تناولها بشكل علمي متخصص يتماشى مع العصر، ويقدم بقالب إسلامي متخصص».

بدوره أكد مدير إدارة الإعلام في وزارة الأوقاف أحمد القراوي أن المشاركة في معرض فرانكفورت تأتي وفق إستراتيجية الوزارة الداعية إلى الشراكة المجتمعية بين الجهات الحكومية والجمهور بالإضافة إلى أنها الداعم الرئيسي للأنشطة الثقافية في الكويت وخارجها.

وأكد أن جناح الوزارة شهد إقبالا إعلاميا من وسائل الإعلام الألمانية والعربية التي سلطت الضوء على المشاركة الإيجابية وما قدمه الجناح من إصدارات وكتب وسلاسل معرفية وثقافية كان لها الصدى الواسع من قبل المهتمين.

من جانب آخر ذكر مدير إدارة مكتب وكيل الوزارة ناصر العجمي أن الوزارة قامت بالتجهيز وتقديم كافة أنواع الدعم للوفد المشارك في المعرض من مختلف الجوانب اهتماما منها بالدور الكبير والهادف الذي تقوم به هذه المشاركات الخارجية من تواصل ومن إيصال للصورة الإسلامية الوسطية إلى العالم.

وثمن العجمي التواصل الحضاري الذي تقوم به الجاليات المسلمة في ألمانيا مع المعرض بشكل عام والأجنحة العربية بشكل خاص واهتمامها باقتناء الكتب والإصدارات الثقافية الإسلامية التي تساعد أعضاءها على التثقيف والفقه بأمورهم الدنيوية والحياتية في المهجر.

من جهته قال مدير إدارة الثقافة الإسلامية بالوزارة بدر السنين، «إن المشاركة في المعرض تعد فرصة مناسبة للإسهام في التنمية الفكرية

القنصل الكويتي في ألمانيا في جناح الوزارة

السفير السعودي في ألمانيا في حديث مع الوكيل الأذينة

والثقافية، من خلال إصداراتنا المتميزة، ومن أبرزها إصدارات مشروع «روافد» الذي يعتبر مشروعا فكريا مميزا يتناول بالتحليل والنقد مختلف القضايا الفكرية والإشكالات الحضارية».

ورأى السنين أن المعرض يعد فرصة مواتية لتعريف الجمهور والتواصل مع المفكرين والباحثين والتعاون معهم بمختلف القضايا الفكرية والأدبية، والتي تحرص الإدارة على نشرها ما بين الجمهور المجتمعي، وخصوصا الجاليات المسلمة في الغرب.

وبين السنين أن «جناح الوزارة لاقى صدى طيبا من قبل المشاركين والضيوف وزوار المعرض، حيث تميز بتقديم الإصدارات والكتب والنشرات التي تتميز بها وزارة الأوقاف بمختلف إداراتها، خصوصا الإدارات المهتمة بالشأن الثقافي والفكري المشاركة في المعرض».

من جهة أخرى قال مدير إدارة الإعلام الديني بالوزارة صلاح أبا الخيل «إن معرض فرانكفورت الدولي للكتاب يعد فرصة مناسبة لتقديم ما يتم إنتاجه من قبل الإعلام الديني من مختلف الإصدارات المرئية والمسموعة، والتي يتم توزيعها للجمهور بالمجان».

وأضاف «إدارة الإعلام الديني أنتجت العديد من الفلاشات التلفزيونية والإذاعية، والتي تبين المفاهيم الإسلامية والوطنية الصحيحة بشكل مبسط وسهل للمتلقي

وذكر أن «من أبرز الإصدارات في المعرض إصدار «محمد رحمة للعالمين»، والذي يركز على الرسول الكريم محمد ﷺ، وعلى صفاته الكريمة، وتعامله مع الآخرين، ومحاسنه باستخدام أحدث التقنيات الإعلامية، خصوصا في ظل هذه الفترة وما يتعرض له الرسول الكريم من هجمة شرسة مثل الفيلم المسيء».

وأشار إلى أن هناك عددا من الإصدارات الخاصة بالمواسم الدينية تم توزيعها للجمهور وضيوف المعرض، لما تمثله من أهمية للجاليات المسلمة، والتي تعلمهم أركان الإسلام عن طريق فلاشات مبسطة وسهلة ومحببة للنفس، مضيفا أن هذه الإصدارات لاقت إقبالا منقطع النظير.

جدير بالذكر أن عضو المجلس الأعلى في دولة الإمارات العربية المتحدة حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي قد زار جناح وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في دورته الـ٦٤، حيث أشاد بالدور الرائد لدولة الكويت في دعم الثقافة العربية والإسلامية ومساهمتها في إيصالها للعالم أجمع.

وثمن الشيخ القاسمي جناح وزارة الأوقاف في المعرض وما يقدمه من إنتاج ثقافي إسلامي سواء للوزارة أو للجانب الثقافي الإسلامي الزاخر بكل مضيء من مختلف الجوانب والأشكال والممتد منذ قرون.

حوار

رائد علم المكتبات في العالم العربي عبدالستار الحلوجي:

نحن في حالة انفصام ثقافي!

هالة عبدالحافظ- دار الإعلام العربية

يعتبر د.عبدالستار الحلوجي من أوائل الذين درسوا علم المخطوطات في مصر والعالم العربي. وقد بدأ هذه المسيرة برسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٩.. ومنذ ذلك التاريخ وهو يعمل على تأصيل هذا العلم بما ينشره من كتب وبحوث، وبما يُشْرف عليه من رسائل للماجستير والدكتوراه، وكان آخر جهوده في هذا المجال كتاب «نحو علم مخطوطات عربي» الذي صبّ فيه خلاصة تجربته، وحاول فيه أن يضع حدودًا فاصلة لمجالات البحث في هذا العلم.. إنه شامة مصرية خالصة، ورمز وضاء في عالم المكتبات والوثائق والمعلومات، يؤمن بأن التغني بالماضي مظهر من مظاهر فشل الحاضر الذي يؤثر بإرهاصاته في المستقبل، لذلك يحرص على تنشئة جيل جديد مفعم بحيوية البحث والمعرفة والتقصي، بحثًا عن جيل قارئ فيه عبق التاريخ وحضارته.. إلى تفاصيل حواره.

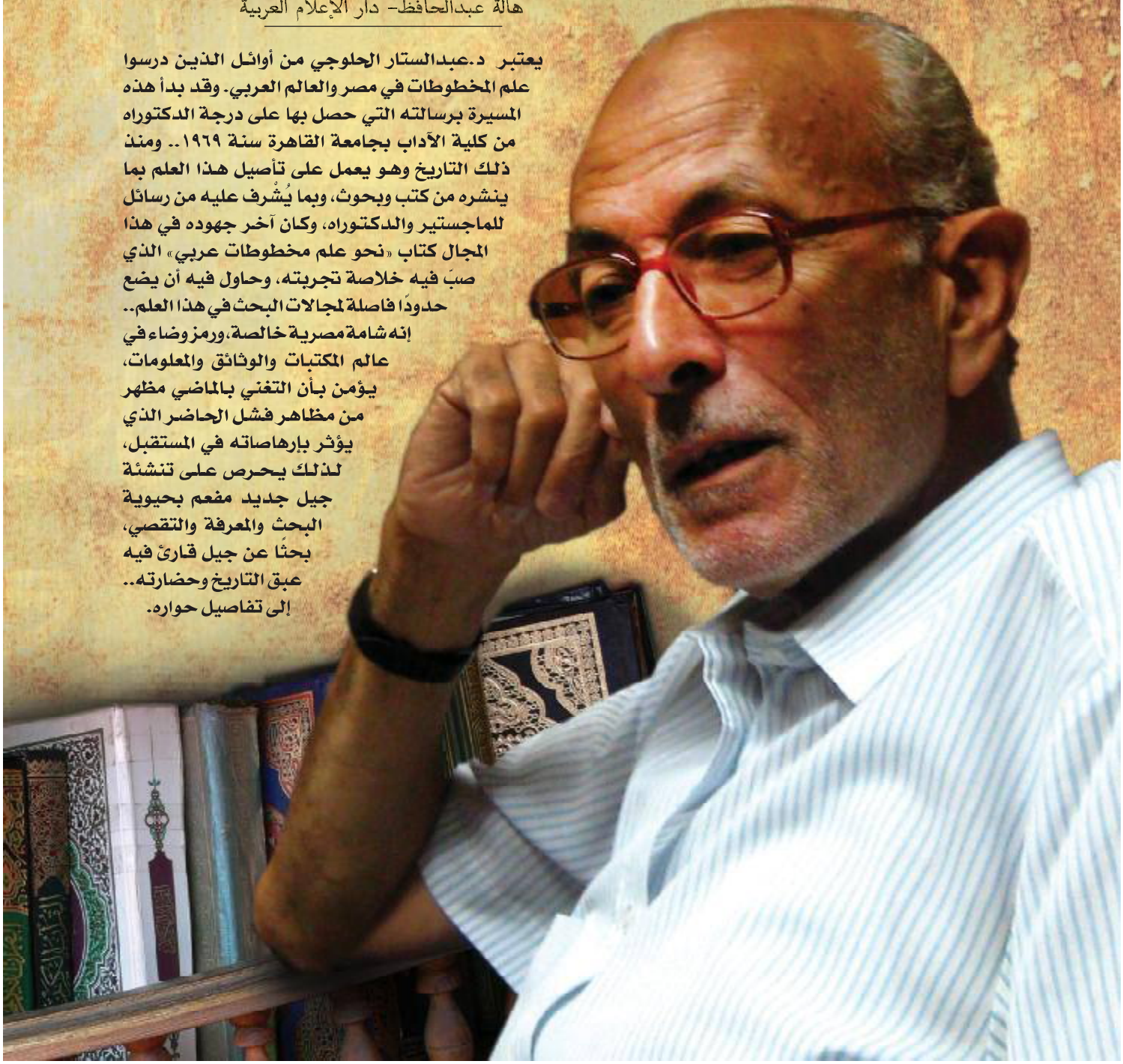

رفضت هذا العلم لكن القدر أصر على اختياري!

تعد أحد أهم مؤسسي علم المكتبات في العالم العربي.. فهل تطلعنا أولاً عن بدايتك في هذا المجال؟

الحقيقة، إن عناية الله وحدها هي التي قادتني إلى هذا المشوار الطويل الذي بدأ في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، كنت أريد الالتحاق بكلية الطب، ولم يحالفني التوفيق في الحصول على مجموعها، لذا قرّرت التحويل من القسم العلمي إلى الأدبي، لأنني أحب اللغة العربية، وأذكر أنني كتبت خمسين موضوعًا ودونتهم في أجندة خاصة بي سميتها «بوتقة الذهب»، وكان زملائي يتبادلونها فيما بينهم حرصًا على كتابتها في موضوعات التعبير في امتحانات الثانوية.. وفي عيد المعلم ألقى عميد الأدب العربي الراحل طه حسين خطبة رائعة أثرت في كثيرًا، وفي هذه الأثناء أعلنت كلية الآداب عن استقبال دفعات لها في ثلاثة مجالات: (الإعلام- المكتبات- اللغة العربية)، ورفضت قسم المكتبات، والتحقت بقسم اللغة العربية، وعندما تخرجت فيها، لم تكن هناك تعيينات، وذهبت وزملائي إلى كلية التربية، للحصول على دبلومة والعمل كمدرسين، وبالفعل أخذت الكلية ثلاثين طالبًا على مستوى مصر من مختلف الأقسام بعد اجتياز الاختبارات وكنت واحدًا منهم.

وبالفعل عملت بعد اجتياز الدبلومة بالتدريس، وجاء تعييني في أسوان، وكانت تجربة قاسية؛ نظرًا إلى طول المسافة بين أسوان وبورسعيد، وفي هذا الأثناء رشحت لبعثة من ثلاث بعثات في مجالات (اللغة العربية- والمخطوطات- والمكتبات)، رفضتها في البداية؛ لحبي لمجال التدريس، وطلبت من كبير معلمي اللغة العربية (محمد أحمد برانق) نقلي من أسوان إلى القاهرة، ولو تم نقلي لتبدل مشوار حياتي المهني، لكن لم يتم نقلي، ووافقت على البعثة وتوجهت إلى لندن وحصلت على رسالة الماجستير في المكتبات، وحصلت على رسالة الدكتوراه من جامعة القاهرة، ومنها عينت مدرسًا في قسم المكتبات بالجامعة.. لذلك أؤكد دومًا أن القدر وحده هو الذي حوّلني من قسم العلمي إلى الأدبي في الثانوية العامة ومن مدرس إلى دكتور في الجامعة، ومن قسم اللغة العربية إلى قسم المكتبات، وبعد مشوار كفاح امتد لأكثر من ٣٤ عامًا حصلت على جائزة الملك فيصل عن كتاب (المخطوط العربي)، ومن هنا كانت انطلاقتي في هذا المجال القدري.

تراث عربي وإسلامي

حفلت الثقافة الإسلامية بآلاف من المؤلفات والوثائق والمخطوطات.. إلى أي مدى حظيت هذه المؤلفات باهتمام علم المكتبات؟

أولا.. علم المكتبات علم حديث، فالعرب لم ينشئوا علم المكتبات بل أنشأوا مكتبة، ولم تسمَ بهذا اللفظ، بل سميت بأسماء عديدة كـ«خزانة كتب- بيت الحكمة- الديوان»، والمكتبة اسم للمكان الذي توجد به الكتب، ويظل الكتاب هو أقدم أوعية المعلومات.

وفي واقعة عايشتها في اليمن في الثمانينيات، دخلت إحدى المكتبات وجدت الكتب في جوالات، على عكس العرب قديمًا منذ ١٢٥٠ عامًا، حين أعد هارون الرشيد بالمكتبة مرصدًا فلكيًا، وقاعات لقسم الترجمة، وأعد حصرًا للنديم عن كل ما كتب عن اللغة العربية، حصرًا لا يمكن إعداد مثله هذه الأيام على الرغم من توافر تكنولوجيا المعلومات، والقرية الكونية وغيرها من المصطلحات التي يتشدقون بها، فنحن لن نستطع الآن إعداد حصر للرسائل العلمية الموجودة.

وأرجع الفضل إلى النديم الذي ألّف كتاب الببلوجرافيا، وأحصى فيه المؤلفات العربية، واستقر في كل أذهان الببلوجرافيين أنه أول ببلوجرافي والأب الشرعي لهذا العلم الذي يعني «قوائم حصر الإنتاج الفكري».

ولابد أن نفرق أولاً بين المكتبات العربية والإسلامية؛ لأن المصطلحين يثيران حساسية، فالأولى لا يدخل فيها اليوم إيران وتركيا وهكذا.

والتراث العربي في معظمه تراث إسلامي، لدرجة أن الألماني «كارل بروكلمان» مؤلف كتاب «تاريخ الأدب العربي» استبعد الأعمال المسيحية، وهذا لا يعني أن الإنتاج المسيحي غير مهم، بل لأن حجمه قليل بالمقارنة

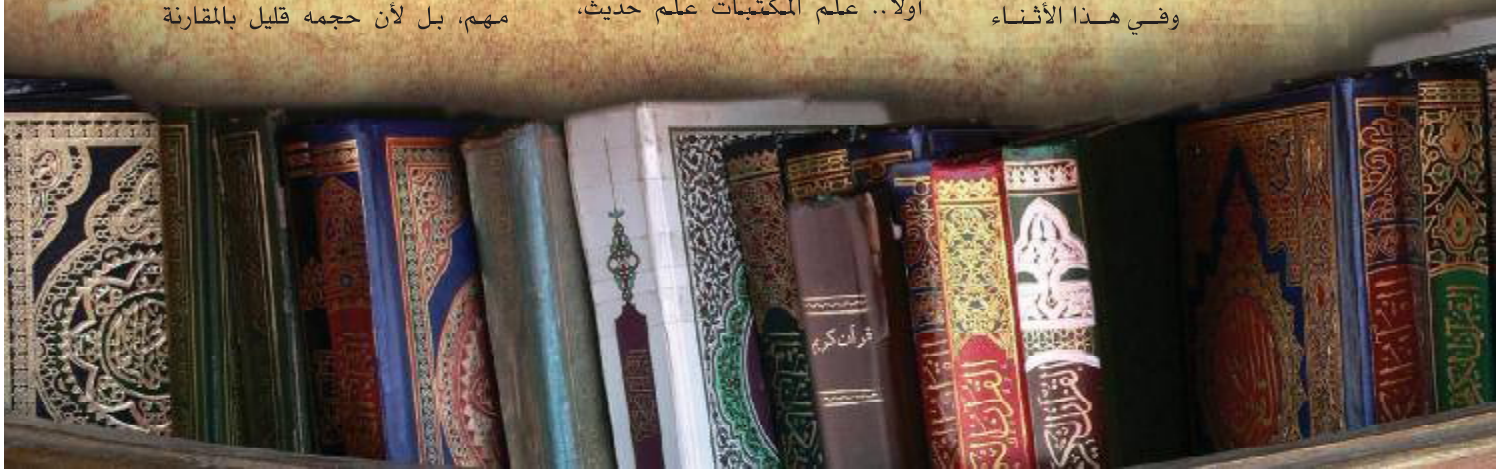

بالكتب الإسلامية، فالإنتاج الفكري الإسلامي ضخم.

غير أن بعض المستشرقين أفهمونا نحن كعرب أن تراثنا «دين- لغة- تاريخ» ونحن صدقنا، ودفعنا إلى التصديق شيئان، الأول: حجم الإنتاج في هذه المجالات كبير، والثاني: أن المجالات الثلاثة المذكورة سلفًا العرب متفوقون فيها بالفعل، فاللغة هي الأم بالنسبة إلينا، ونحن أدرى الناس بها، والدين نحن أكثر الناس قدرة على فهمه، وهكذا تاريخنا لأن اللغة حلت كل هذا.

لكن اكتشفنا بعد ذلك أن العرب لديهم تراث علمي ضخم في الطب والصيدلة والهندسة والجغرافيا والرياضة والكيمياء، وهذا التراث إسلامي عربي، فحيثما انتشر الإسلام انتشرت اللغة العربية، ومن أجل أن نزيل الحساسية بين التراث الإسلامي والعربي، لابد أن نعلم أن التراث الإسلامي كله باللغة العربية، والتراث الإسلامي ليس معناه من يتحدثون في الدين، بل هو تراث الأمة الإسلامية في مختلف المجالات.

وأنا ضد من ينادون بأسلمة العلوم، فالتراث ليس في التاريخ واللغة والدين فحسب بل في كل المجالات، واللغة العربية هي الوعاء الذي صب فيها هذا التراث في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ومن حسن حظنا أن الله هو الذي حفظ القرآن حينما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

لماذا لم تشتهر نظرية عربية في التصنيف والفهرسة مثل تصنيف ديوي العشري؟

ديوي العشري الأمريكي نظرية في تنظيم المقتنيات، والحقيقة أن ديوي ليس هو فاعل هذه النظرية، بل كان دائمًا يتوجه إلى المتخصصين في مختلف العلوم والتخصصات كالكيمياء والتاريخ ويسأل عن تقسيمات العصور في كل مجال، وجمع كل هذه المعلومات من مائة من المتخصصين وبعد جمع المادة قال: «أنا لي في هذا التنظيم شيئان»، الأول: الترتيب، والثاني: الترميز؛ بمعنى أمنح لكل علم رقم.

وبالفعل صنع ديوي خطة لأكثر من مائة عام، ثم جاءت مصر والدول العربية وترجمت لأكثر من عشر ترجمات مختلفة، ولأن توحيد التصنيف من مصلحة القارئ المستفيد، كان من الصعب تغيير كل التصنيفات، وبالفعل تم تنفيذ الخطة لأكثر من مائة عام؛ لأنها غير مرتبطة بأشخاص، وبعد صياغة الخطة تكونت جمعية تابعة له تتابع الخطة وتطورها وتنميها هذا هو الهدف من هذا التصنيف العالمي.

فهذا النظام من المصلحة أن تتبعه المكتبات نظامًا عالميًا في التنظيم، وبيانات الفهرسة؛ لأنها لابد أن تكون واحدة في العالم كله، وعلى سبيل المثال هناك رسالة دكتوراه عن تصنيف العلوم الإسلامية، البحث هكذا ليس له قيمة، فقيمته الحقيقة في التطبيق، ولابد أن يسكن هذا البحث داخل خطة أكبر، لأن هناك علومًا أخرى غير الإسلامية، فنحن لسنا في حاجة إلى تصنيفات لنا كعرب، بل نريد تطبيق وتطوير التصنيفات العالمية القائمة.

هل من تعاون بين القائمين على علم المكتبات في مصر ونظرائهم في الدول الإسلامية والعربية؟

بالتأكيد.. وهذا لأن هناك عددًا كبيرًا من الذين تولوا أقسام المكتبات في الدولة العربية تعلموا وتتلمذوا في مصر، كما أن عددًا كبيرًا من الأساتذة

لا نحتاج نظرية عربية في التصنيف والفهرسة بقدر احتياجنا إلى التناغم مع المعرفة عالميًا

المصريين درّسوا في الجامعات العربية، وهذه الدول بإمكانياتها سمحت لهم بالسفر إلى أوروبا وأمريكا، فكان هناك احتكاك علمي بيننا وبينهم مثل عدد كبير من السعوديين الذين حصلوا على رسائل دكتوراه من مصر، من الطبيعي وجود تعاون وعلاقات طيبة، ونحن نحاول أن نقيم جسور تواصل بيننا وبينهم، واتحاد عربي للمكتبيين يضمنا جميعًا، ونحن في حاجة إلى هذا التعاون؛ لأننا في حالة انفصام ثقافي بين المشرق العربي والمغرب العربي، وهذه ظاهر قديمة.

أمة مبدعة

ما الذي ينبغي فعله لتحظى الثقافة الإسلامية والعربية بالمكانة التي تليق بها على المستوى العالمي؟

الثقافة العربية قديمًا أخذت حقها وقيمتها عندما كان العرب لهم إبداعات، واللغة العربية كانت لغة عالمية عندما كانت لغة علم، مثل الطب الذي كان باللغة العربية وتُرجم ودُرس في أوروبا، ومن أجل عالمية لغتنا لابد أن يكون لنا إنتاج حضاري، فعلينا أن نتحول من أمة تابعة ثقافيًا إلى أمة مبدعة ثقافيًا.

ففي العصور القديمة حدثت حركة ترجمة لم يحدث لها مثيل حتى الآن، أما الآن فحركة الترجمة ضعيفة ونحن في حاجة إلى إحيائها، والحل أن نصدر مجلات علمية على نفس

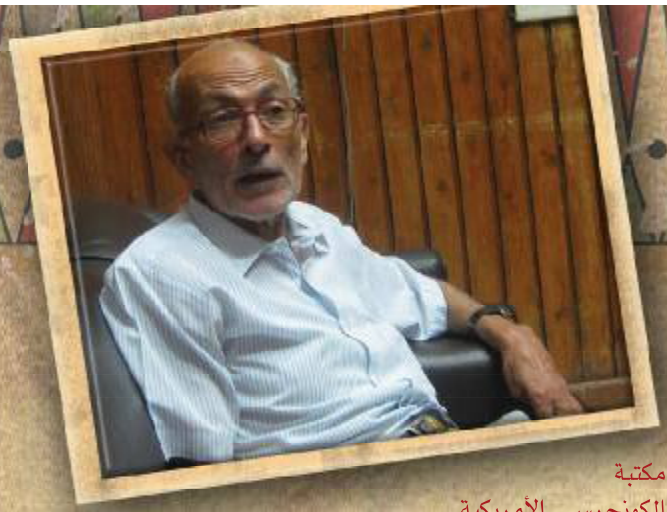

المستوى العالمي، نبدع في كل المجالات، ونحن لدينا الفرص للإبداع، لكن لا نستغلها، ولا يتاح لها الظهور، ونحن في حاجة إلى تسويق، فهناك أناس يجيدون التسويق، ولا يسوقون إلا لأنفسهم، لابد أن نعي أن الأمل في أن ننتج شيئًا جيدًا، لابد أن نكون منتجين للثقافة والعلم، حتى يكون لدينا حضارة، التغني بالماضي هو مظهر من مظاهر فشل الحاضر الذي يؤثر بإرهاصاته على المستقبل، أزمتنا أزمة تعليم وإن لم نصلح التعليم فلا يوجد أمل في غد مشرق، ولابد أن نبدأ من حيث بدأ السابقون وليس من حيث انتهوا، أوروبا عندما أخذت ابن سينا وجابر بن حيان أخذتهما لأنهما مبدعان، وأحمد زويل ومجدي يعقوب لو لم يتجها إلى الخارج لاستكمال دراساتهما البحثية والعلمية والمهنية ما كان هذا حالهما ومستواهما، لأن المناخ العلمي مناسب، وعلينا أن نجمع هؤلاء المبدعين ونصنع منهم حديقة علمية متميزة، ونترجم أعمالهم.

إذن.. إلى أي مدى وصل العرب مكتبيًا ووثائقيًا؟

لا نستطيع أن نُنكر أنهم خطوا خطوات تحسب لهم، وفي نفس الوقت لا نستطيع أن نقول: إنهم قادرون على أن يواجهوا خطوات الدول المتقدمة في مجال المكتبات والمعلومات، لا شك في أن لهم جهودًا تُذكر لهم، وإنجازات لا بأس بها، لكن مع الأسف كلها جهود فردية، فنحن ليس لدينا أي أعمال جماعية تُذكر، لدينا بحوث جيدة ولكن لم تُفعّل، ليس فقط في مجال المعلومات بل أيضًا في بحوث الزراعة لو فُعّلت لتبدلت أحوال دول من حال إلى آخر، لا أدعي أننا وصلنا إلى المستوى الذي نرجوه، فتخصصنا سريع التطور، وارتبط ارتباطًا وثيقًا بالتكنولوجيا، وتلك التطورات تتم بالخارج، ونحن مقلدون لها.

مكتبة الكونجرس الأمريكية نموذج للمكتبة التي تهتم بالبحث وحفظ المؤلفات.. كيف نرتقي بمكتباتنا العربية حتى تصل إلى مستواها؟

الكونجرس هي مكتبة واحدة في أمريكا، مكتبة لها تاريخ، ونحن أيضًا كمصريين لنا مكتبة وهي دار الكتب، والحل أن نرتقي بها: لأنها المكتبة الأم في الدولة، لكن نحن وبكل أسف نعاني الروتين، الرسوب الوظيفي، حال المرتبات المتردي الذي يؤثر في الأداء المهني للعاملين، وبما أنها مكتبة الدولة ينبغي أن ترعاها الدولة؛ لأن من حقها أن تتمتع بإمكانيات عالية ولا تحدها اللوائح العقيمة.

ما العقبات التي تواجهها أقسام المكتبات في مصر والدول العربية وكيف يمكن التغلب عليها؟

المشكلة أننا نجيد، ونريد العزف منفردين، لكن نحن في حاجة إلى عزف سيمفونية جماعية في الفكر والإبداع، ولا شك في أنه حدثت طفرة علمية وثقافية هائلة في أقسام المكتبات في مختلف الدول العربية؛ نتيجة البعثات العلمية التي تتنقل بين أمريكا والدول الأوروبية، غير الإمكانيات المادية التي ساعدتها على ذلك، فاليوم في دولة مثل المملكة العربية السعودية تخصص سنة تسمى «سنة تفرغ» وفيها يذهب الطالب لحضور مؤتمرات ويأخذ دورات في تخصصه وينطلق، أتمنى أن تحذو الدول العربية حذو المملكة العربية السعودية في أفكارها وابتكاراتها في المجالات العلمية.

تراجع معدلات القراءة

البعض يقول إن مكتبه الإسكندرية مازال أمامها كثير من الوقت للوصول إلى التجربة الأمريكية.. ما أهم ما يميزها وما الذي ينقصها؟

أولًا.. لا وجه مقارنة بين مكتبة الكونجرس الأمريكية ومكتبة الإسكندرية أو حتى دار الكتب المصرية، فالمكتبة حاليًا أقرب إلى مزار سياحي منها إلى مكتبة عامة، والشهرة التي اكتسبتها أتتها من الدعم المالي والمعنوي والإعلامي غير المحدود الذي تلقته من النظام السابق ومن مؤسسة الرئاسة، ولو أُتيح لدار الكتب المصرية بعض ما أتيح لهذه المكتبة من موارد مالية لتبدلت أحوالها، وكان لها اليوم شأن آخر أفضل بكثير مما هي عليه الآن.

إضاءة

د.عبدالستار عبدالحق الحلوجي

× دكتوراه في علم المكتبات من جامعة القاهرة، كلية الآداب ١٩٦٩م.

× عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية أعضاء هيئة التدريس في تخصص المكتبات والوثائق والمعلومات، منذ ١٩٨١م وحتى الآن.

× مستشار شؤون المخطوطات- وزارة الأوقاف.

× التدريس بجامعات القاهرة والإسكندرية والأزهر وطنطا بمصر، وجامعات الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والملك عبدالعزيز، والملك سعود (قسم الطالبات) بالسعودية، وجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

× عضو لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من سنة ٢٠٠٠م ومقرر اللجنة من سنة ٢٠٠١م ورئيسها منذ ٢٠٠٥م حتى الآن.

× رئيس تحرير مجلة (تراثيات) التي يصدرها مركز تحقيق التراث بدار الكتب بالقاهرة منذ يناير ٢٠٠٣م.

× حاز العديد من الجوائز العالمية منها جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية ١٩٩٨م، جائزة التميز لجامعة القاهرة في مجال العلوم الإنسانية والتربوية ٢٠١٠م، الجائزة التقديرية لجامعة القاهرة في مجال العلوم الإنسانية والتربوية ٢٠٠٦م.

إبراهيم كان أمة

أنور الحمدوني -كاتب مغربي

يستوقفك وأنت تقرأ القرآن الكريم حديث في مواضع متعددة عن شخصية فريدة ومتميزة اصطفاها الله سبحانه وتعالى ليكون لها دور محوري في تاريخ البشرية كلها، وفي تاريخ المسيرة الإيمانية على وجه الخصوص، إنها شخصية نبي الله ورسوله إبراهيم الخليل الذي تحمل اسمه سورة كاملة من القرآن، ويصفه ربنا عز وجل بأحسن المحامد والصفات حين يقول عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(النحل: ١٢٠-١٢٣) يذكرنا المولى إذن بكل ثناء وإشادة، بنبي من أعظم الأنبياء، هو إبراهيم عليه السلام، الذي سمي بأبي الأنبياء، والذي كان من أولي العزم من الرسل وجعله الله خليلا.

ابتلاء الكلمات

أمّا لماذا نال إبراهيم هذه المرتبة العظيمة وحظي بمقام الخلة عند الله، فذلك ما نتعرف عليه من قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

(البقرة:١٢٤).

إنها مرتبة جليلة ومكانة عظيمة، هي منزلة الإمامة في الدين، نالها إبراهيم عليه السلام بعدما اجتاز الامتحان، ونجح في الاختبار عن جدارة واستحقاق، فلقد ابتلاه ربه واختبره بكلمات، وهي شرائع وأوامر ونواه، أو قل وظائف وتكاليف أمر بها، لم تذكر في سياق هذه الآية، لكننا يمكن أن نتعرف على جملتها من خلال سيرة إبراهيم عليه السلام وما قص علينا من أموره، وأحواله أو ما روي لنا من أقوال المفسرين في معناها، فيكون من هذه الكلمات:

– نبذه الإشراك بالله وفراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم.

– ومحاجته للنمرود وهو طاغية يعمل السيف فيمن خالفه قتلاً وسفكاً ويدعي لنفسه ربوبية زائفة وألوهية باطلة.

– صبره على قذفه في النار ليحرقوه في سبيل الله على هول ذلك وشدته.

– والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم.

– وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله.

– إتيانه بسنن الفطرة، وهي خصال حميدة مدارها على الطهارة الحسية الظاهرة لتكون مدخلاً ومرآة للطهارة المعنوية الباطنة.

– ثم ما ابتلي به من إسكان ذريته (ابنه إسماعيل وزوجه هاجر) بأرض خلاء هي موضع مكة حين كانت عبارة عن صحراء قاحلة غير ذي زرع ينتفع الناس به في بطونهم، لكن ما سيخرج منها من النور الذي يضيء للناس طريقهم، والهدى والإيمان الذي يشع منها كان خيرًا ونعمة على البشرية كلها.

– ومما فسرت به معنى الكلمات أيضًا، أنها مناسك الحج خاصة، وهو قول قتادة كما في التفاسير (ظ. القرطبي: ٩٨/٢).

الإمامة

لقد تبوأ إبراهيم نتيجة لذلك وتشرف بصفة الإمامة التي أكرمه الله تعالى بها، جزاءً له على قيامه بواجب التكاليف والوظائف الشرعية التي امتحنه بها قبل أن يسوده إمامًا، ولذلك نقرأ في القرآن الكريم إلى يوم الدين: (وإبراهيم الذي وفى) لأنه وفي بجميع ما شرعه الله له، فعمل به، وأداه أحسن أداء.. فطوبى له وحسن مآب، وسلام عليه في العالمين.

لقد كان من تمام الجائزة الإلهية والمنحة الربانية على إبراهيم عليه السلام أن عهد الله إليه وشرفه بأن يرفع قواعد البيت الحرام ويطهره للحجاج والمعتمرين، ولذلك قال تعالى عقب الآية التي وشحه فيها بوسام الإمامة:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة/١٢٥–١٢٩)

وفي سرد رائع وحكاية بليغة، يقص علينا حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قصة إبراهيم عليه السلام مع هذا البيت، فيقول فيما رواه البخاري عنه (كتاب أحاديث الأنبياء/ ٣٣٦٤و٣٣٦٥):

قال: «أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتعفى أثرها على سارة». ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

ثم قفى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا؛ وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت

سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عبّاس قال النبي ﷺ «فلذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه، تريد نفسها.

ثم تسمعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضُه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عبّاس قال النبي ﷺ «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم». أو قال: «لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا مَعِينًا». قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هاهنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريّين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم ولكن لا حقّ لكم في الماء عندنا. قالوا: نعم.

قال عبدالله بن عبّاس قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أمّ إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم.

وشبّ الغلام وتعلّم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك، زوّجوه امرأة منهم.

وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل، يطالع تركته فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بشرٍّ نحن في ضيق وشدّة وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقْرئي عليه السلام وقولي له يغيّر عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا كذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك غيّر عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، وطلقها وتزوّج منهم أخرى، ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله. ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه؟ فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله عز وجل، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه» قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك.

ثم ما لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نَبْلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه فَصنعا، كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك به ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.

قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

قال: فجعلا يبنيان، حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أول بيت

فيتحصل مما تلوناه في الآيات البينات، وما استفدناه من الآثار المرويات أمور منها:

– مجيء إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وابنه إسماعيل، بأمر من ربه – إلى مكان البيت في وادي لا زرع فيه ولا ماء، وتركهما هناك راجعا إلى الشام.

– دعاؤه عند الثنية وهو مستقبل جهة البيت ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(إبراهيم: ٣٧)

– سعي أم اسماعيل بين الصفا والمروة سبع مرات لعلها تجد ما تسقي به رضيعها، ومنة الله عليها بتفجير ماء زمزم بين يدي وليدها.

– كون قواعد البيت موجودة قبل إبراهيم عليه السلام فهداه الله إليها وبوأه لها بأن أمره أن يرفعها ويبني عليها، قال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (سورة الحج ٢٤–٢٥)

ويصدق ذلك ما ورد في الحديث من قول الملك لأم إسماعيل: (فإن ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله).

– وبهذا المعنى نفهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾(آل عمران: ٩٦–٩٧)

حتى لا نهزم بأيدينا!

خالد راتب - باحث دراسات إسلامية - سوريا

من أهم سمات المجتمع القوي التعاون والائتلاف ونبذ الخلاف الذي يؤدي إلى الفشل، وما سقط مجتمع على مر التاريخ إلا بسبب الفرقة والتنازع، وهذه حقيقة قرآنية بيَّنها ربُّ العزة في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦).

ففي الآية نهي صريح عن الاختلاف المؤدي إلى الفشل وذهاب القوة، بل وجرأة العدو وذهاب الدولة، لأنه جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال صاحب «الكشاف»: الريح: الدولة.

ونهى الله جل وعلا المؤمنين عن التفرق والاختلاف في مواضع أخرى، كقوله: ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾: أي أقيموا الدين الذي شرع لكم ولا تضيعوه ولا تختلفوا فيه...إلى غير ذلك من الآيات.

ونهى النبي ﷺ عن كل وسيلة يُشتم منها رائحة الخلاف والتنازع والتباغض، فعن أنس أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا- عباد الله- إخوانًا» (متفق عليه)، زاد ابن عيينة وغيره ولا تقاطعوا وفي حديث مالك وغيره عن الزهري.

فكيف تتجنب الأمة أسباب التنازع والشقاق حتى لا تكون فريسة لأعدائها؟ وهذا يتطلب منا معرفة الداء المعضل الذي بسببه تسلط الأعداء على المسلمين؛ لأن معرفة الداء والسعي في علاجه من أهم الوسائل التي تنجي الأمة من التشرذم والتفرق.

سبب تسلط الأعداء على المسلمين:

١- الفشل والتنازع واختلاف القلوب:

يبين الحق سبحانه وتعالى أسباب انكسار الأمة أمام عدوها بعدما كانت ظافرة مرهوبة الجانب: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾، وهذا التنازع يؤدي لا محالة إلى اختلاف القلوب التي يتم تأليفها بإذن ربها: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وحذر النبي ﷺ من هذا الأمر بقوله: «عن أبي مسعود قال كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم...» (متفق عليه)، قال أبومسعود فأنتم اليوم أشد اختلافًا، يصف أبومسعود حالهم بأنهم أشد اختلافًا، فكيف لو رأى المسلمين الآن؟!!.

٢- ترك الطاعة والوقوع في المعصية:

آيات كثيرة تحذر المسلمين من الوقوع في المعصية وتبين الآثار المترتبة على ذلك، وتبين للأمة أن طريق التمكين بالطاعة لله ورسوله؛ لذا قبل أن ينهى الله عن التنازع المؤدي إلى الفشل ذكر لنا طريق الخروج من هذا الفشل،

حيث قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الأنفال:٤٦)، ثم قال: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، وقد رأينا كيف انهزم المسلمون في غزوة أحد بعد النصر بسبب معصية بعض الصحابة ونزولهم من على جبل أحد رغم تحذير النبي ﷺ لهم، فلما تحولوا من الطاعة إلى المعصية تحول النصر إلى هزيمة، وهذه سنة لا تحابي أحدًا.

٣- حب الدنيا وكراهية الموت

ذكر النبي ﷺ سبب تكالب الأمم علينا مع كثرة عددنا فقال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت». انظر حديث رقم: ٨١٨٣ في صحيح الجامع.

٤- عدم الأخذ بأسباب القوة

النصر والتمكين لا يتحققان بما في القلوب والصدور فقط، ولكن لابد من الأخذ بعوامل التمكين المادية والمعنوية، فالمعنوي يتلخص في الإيمان والعمل الصالح، والمادي بإعداد القوة في جميع مجالات الحياة (القوة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والتقنية، والاجتماعية..) وكل ذلك أمر به الإسلام قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

٥- غياب الحاكم الرباني الذي يوحد الصف

دائمًا يأتي التمكين على يد قائد رباني يحيي الله به إيمان الأمة وجهادها، ولنا الأسوة في طالوت الذي مكن الله له، وذوالقرنين، وصلاح الدين الأيوبي... وواجب الأمة الآن هو السعي في إيجاد القادة الربانيين في كل مجالات الحياة، فالأمة تحتاج إلى قائد رباني عسكري واقتصادي وسياسي وفي التعليم والثقافة.. وهذا يحتاج إلى جهد وجهاد وتربية إيمانية وخلقية وسلوكية.

٦- الغفلة عن التربية الإيمانية الأخلاقية

إن اهتمام القادة والحكام والمربين قد يَنصب غالبًا في توفير عدالة اجتماعية تلبي احتياجات شعبها من مأكل ومشرب وملبس ووسائل الحياة الكريمة التي يتساوى فيها الجميع لا فضل لعربي على أعجمي، وهذا خير، ولكن الأهم من ذلك هو الإعداد الإيماني الأخلاقي الذي يخرج لنا جيلاً جمع بين مقومات الدنيا والآخرة، وهذا الأمر يُغفل عنه ولا نراه- إلا قليلًا- في وسائل التعليم والإعلام وغيرها من الوسائل، وإذا أرادت الأمة الإسلامية الريادة والخيرية فلتكن أمة الإيمان والخلق، لأن ذهاب الأمم يكون بسبب بعدها عن إيمانها وأخلاقها، يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٧- غياب الهدف والرؤيا عن العاملين للإسلام

الشيطان هدفه واضح يعلمه جيدًا ويسعى في تحقيقه بكل ما يملك وهذا ما بينه لنا القرآن الكريم: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾. ومن أهدافه ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ﴾.

وكذلك الكافرون والمنافقون يعلمون أهدافهم ويسعون في تحقيقها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾.

فعيب على المسلم ألا يعرف هدفه ولا يسعى إلى تحقيقه، وهدف المسلم يتلخص في أمرين:

الأول: عبادة الله بما أمر وشرع على نهج نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

الثاني: تعمير الأرض: فتعمير الأرض واجب إسلامي، أمر الله به عباده بعدما أمرهم بعبادته، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿واستَعْمَرَكُم فِيهَا﴾ يدل على وجوب عمارة الأرض، فإن الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى للوجوب. (انظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي ٨٦/٣).

٨- تآمر المنافقين المحسوبين على الإسلام

المنافقون هم السرطان الذي إذا تمكن من جسد الأمة مزقها وفتتها؛ لذا جعلهم القرآن العدو الأول لهذه الأمة؛ وذلك لأن الأعداء لا يستطيعون إحكام قبضتهم إلا عن طريق هؤلاء المنافقين الذين نخروا في جسد الأمة بداية برأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول ومرورًا بأتاتورك الذي أسقط الخلافة وحتى عصرنا هذا، وما نشاهده من تآمر واضح وفاضح لهؤلاء المنافقين، وهؤلاء لابد من الحذر منهم، والعمل على إفشال خططهم المدمرة وألا يغفل عنهم، ويجب تنحيتهم بعيدًا عن مراكز القوى، لأنهم متى تمكنوا أفسدوا وخربوا.

٩- تعجل التمكين:

استعجال التمكين آفة خطيرة تعتور

الصحوة الإسلامية، وهذا الأمر ليس بجديد، فقد سأل الصحابة نبيهم ﷺ هذا الأمر: «متى نصر الله»، فيجيب القرآن الكريم: «ألا إن نصر الله قريب»، والقرب هنا حقيقة ولو تأخر النصر والتمكين؛ وذلك قياسًا على أعمار الأمة كلها فإنه فعلًا قريب.

والنبي ﷺ كره استعجال التمكين قبل استكمال مقوماته، فعن خباب قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو يومئذ متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى أو ألا تستنصر لنا فقال: «قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجاء بالمنشار على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصده ذلك، والله ليتمَّنَّ الله عز وجل هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

علاج ضعف الأمة الإسلامية وكيفية الخروج من أزمتها

بينا أن ضعف الأمة بسبب تفرقها وتشرذمها، وأول خطوة في العلاج تفادي أسباب هذا الضعف المذكور في النقاط التسع التي بدأت بها المقال، ثم الأخذ بهدي القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها، فبين أن علاج هذا الضعف إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن الله قوي عزيز، قاهر لكل شيء. فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه أحد: «ألا إن حزب الله هم الغالبون»، «ألا إن حزب الله هم المفلحون».

ففي غزوة الأحزاب زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر عند حصار الكافرين للمسلمين، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ فكان علاج ذلك: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾، فكانت النتيجة: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

اتباع الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه

دل الله تعالى العباد على الصراط المستقيم الموصل إليه تعالى، ودعاهم إلى اتباعه، فقال لهم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣)

، فعليهم أن يتبعوا هذا الصراط إن كانوا يريدون الهداية، والفوز برضا الله ورضوانه، قال ابن مسعود: «خط رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا، وخط عن يمينه خطًا وعن شماله خطًا، ثم قال هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: «يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا ولا تتفرَّجوا»، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن فتحته تلجه، فالصراط هو الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من جوف الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم. (أخرجه أحمد والنسائي عن ابن مسعود). فاتبعوا سبيل الله يأيها المؤمنون، لأنه سبيل واضح واحد، ولا تتبعوا السبل المتفرقة المضلة، حتى لا تتفرقوا شيعًا وأحزابًا، وتبعدوا عن صراط الله السوي.

ما يسطرون وأمانة الكلمة

وكأنها في واد وما يسطرون في واد! تلك أمانة الكلمة التي نسيها بعض الإعلاميين بعد أن اعتلوا منابر مؤثرة يطلع عليها الناس بحكم العادة أو الانتشار الإعلاني المكثف، أو أساليب الإبهار، أو حتى الكسل في البحث عن منابر إعلامية جادة، لكنها ليست مبهرة بعد.

لا نتحدث هنا عن النفاق الوظيفي وشراء الأقلام والألسن وتعبيرات الوجوه، ولا نتحدث عن تكسُّب مذموم من الجهات المفترض مراقبة أدائها لصالح الرأي العام، ولكننا نتحدث أيضا عن منهجية التضليل الإعلامي و«بجاحته» في قلب الحقائق .. نتحدث عن «اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس».. عن المتحولين بوجوه مفضوحة لا يرونها هم كذلك، لأن المكاسب التي يحصلون عليها تعمي أبصارهم، لا عن محاسبة الناس لهم فقط، ولكن عن حساب رب الناس يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. لقد أقسم الله سبحانه وتعالى بـ: ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾، لعظم الكلمة ومسؤوليتها، لكن هؤلاء الضالين المضلين غائبون عن الحقيقة، وكلنا أمل في أن ينتبهوا قبل فوات الأوان.

علاء عبدالفتاح

آفة الإعلام.. الاختلاق!

د. محمّد سعيد باه
أستاذ جامعي - السنغال

عذرًا، أستعير هنا ما كتبته في مناسبة أخرى عالجت فيها موضوع الكلمة ومسؤوليتها:

«إنه سلطان الكلمة حين تمتلئ وتنطلق، وعندها قد تجزّ الرقاب وتجندل الرؤوس التي أينعت، فإن كنت في شك فاسأل أبا الطيب،
طاوعت له الكلمة فصاغ منها ما شاءت له عبقريته لكنها
كمنت له بالمرصاد، وجاءت لحظة الانتقام حين
رام الليث بالفرار فردته كليمات كان قد
صاغها لاهيًا ثم طاشت قبل أن ترتد
لتطيح برأس لم تحمه من
الحمام عمامة التفت
وكثفت».

تحتاج المجتمعات، كي تستقر وتنمو، إلى نوع خاص من الصحة يوازي ما تتطلبه الأبدان من العافية، لأنه حين يحدث اختلال في المنظومة التي تستقر بها الأحوال بسبب ما يداهمها من العلل، تتعطل ويصبح سيرها نحو العلياء في غاية البطء، وربما انتهى بها الأمر إلى التفكك الداخلي أو التصارع، وفي كل الأحوال فإن الوهن سيمد رواقه، وهي الظاهرة التي يصفها علماء العمران بالأزمات ويشخصها القرآن على أنها ظهور الفساد في الأرض.

وبالتبعية، فلا خلاف في أن الوظيفة الأولى للإعلام هي البناء بإيجابية وإن سلك في ذلك طرائق شتى بإبلاغ ما يجب أو يحسن إبلاغه من الأخبار مع تخير الزمان والمكان واللغة، وتارة بالنقد البنّاء الذي يزيل ما خبث وضر ويحلّ ما طاب ونفع، ويدل على مواطن الزلل، لكن القيد

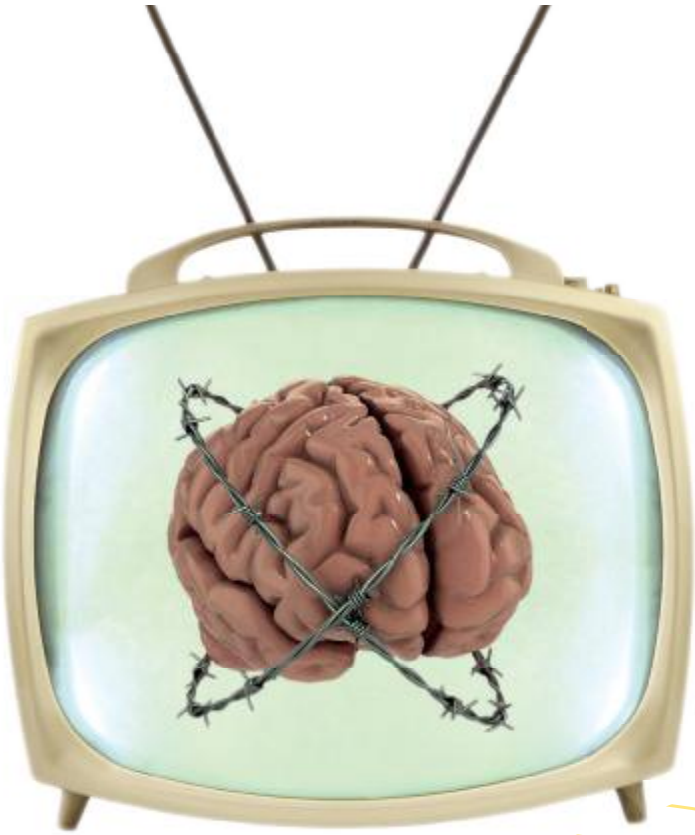

الذي لا يمكن الفكاك منه بحال هو الالتزام بمبدأ الصدق الذي هو بمنزلة البوصلة التي تحدد المسار.

ومن روائع ما أدّب الله به المؤمنين بمنهجه حين يسوقون القول، دقّ أو جلّ، أن يكون الصدق – ولا شيء سوى الصدق

المطلق – هو الأساس الذي يبنون عليه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ سورة الكهف.

خَلافًا لهذا، بُليت الأمّة هذه الأيام بنمط سيئ من الإعلام يحذق فن الكذب بل يحترفه، ويمارس البعض منه اللون الخطير الذي يعرفه علماء الحديث بأنه: «الوضع» الذي يلجأ إليه صنف رديء من الإعلاميين تارة بقبض أثمان زهيدة من أسياد سيركلونهم في نهاية المشوار، وتارة أخرى يرسلون الكذب البارد تبرعا من عند أنفسهم تنفيسا لشعور دفين نتيجة الإصابة بعلة نفسية مدمرة وهي الحقد الرخيص، وفي كل الاحتمالات فإن المجتمع هو الذي يتعرض للخطر ويصاب أمنه بالاهتزاز.

ومن أشد تلك الآفات فتكا بالمجتمعات ذيوع أخبار لا سند لها في الواقع ولا رصيد لها من الحقيقة، وتتفاقم الأوضاع حين يتم الدفع بهذه الأخبار الملفقة إلى صفوف المجتمع وفقا لخطط موضوعة بعناية وسعيًا إلى تحقيق أهداف رسمت بدهاء، وهنا يأتي الدور التخريبي الذي تكل به خفافيش الظلام إلى إعلام الإفساد الذي تخلّى عن رسالته الأصيلة واختار احتراف الاختلاق قصد الإيذاء والتخريب.

وقد ضاعف من الجرم الذي يرتكبه من ينفخون في أبواق الدعاية المتخصصة في صياغة وتمرير الأكاذيب – هجومًا على الشرفاء أو تلميعًا لأهل الباطل – أن يتخيروا لحظات تتميز بالدقة البالغة من حياة أمّة ما لينفثوا سمومهم، كأن يعينوا الطغاة على كبت الحريات وسلق الشرفاء الذين يأبون تجرع كؤوس الضيم، بألسنة حداد، أو حين ينشطون في الظلام لنسف ما ينجزه المجاهدون لإعادة تشييد ما حطمه المفسدون من قيم الصلاح ومقومات النهوض، لأنهم يخشون سطوع ضوء النهار.

وإلى من يحترفون الكذب على الله وعلى الناس إلى حد الاستمراء الذي يتحوّل إلى الإدمان، نسوق هذه الهمسة القرآنية، علّهم يتعظون فتنفعهم الذكرى إن بقيت فيهم ذرة من خير: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ سورة الأحزاب.

وإن لم يرعووا، فإننا نبشرهم بأن حملة أمانة القول السديد من الجهابذة سيعيشون لأكاذيبهم – كما قال الإمام الذهبي للوضّاعين في قرون قد خلت من قبلهم ممن أسندوا إلى رسول الله ﷺ نصوصًا مكذوبة لتخدير إرادة الأمّة أو لتحقيق أغراض هابطة وسيجالدونهم بالكلمة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين حتى يحكم الله بين الفريقين وتندحر جيوش الباطل فتأرز إلى جحورها ليخلو الجو لمن يُوردون الصحاح من الروايات ويقولون الحسن من القول يبنون به القيم ويُحصنون به المجتمع من أن يستباح حماه.

ألم تروا كيف بكّت الله من يسلكون النهج المخالف بعنف:﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ...﴾ (سورة النحل: ١١٦)

عندما تكذب آلة الإعلام!

المنشاوي الورداني- باحث
ومترجم في التلفزيون المصري

المتأمل في مسيرة الكذب الإعلامي في قصص الأولين يجد ارتباطها الوثيق بتوجه معين يريده الطغاة، حيث يعزز هذا التوجه بكل ما أوتي من قوة للحيلولة دون وجود المنافس الذي قد ينزله عن عرش الهيمنة والقهر، ولا غرو.. فالآلة الإعلامية ليست وليدة العصر الحديث فحسب، بل سبق وأن بسطت رداءها في العصور الأولى ولكن بأشكال تختلف عن وسائل عصرنا الراهن الذي يتمتع بالوسائل الإعلامية الحديثة كالإنترنت والصحافة والإذاعة والتلفزيون.

لقد اشتركت جميع الوسائل الإعلامية - قديمها وحديثها- في الكلمة الكاذبة لتوجيه الجمهور نحو توجه معين يريده من يملك الكلمة. والكلمة هنا هي الخطاب الإعلامي والذي كان في القدم ما يصدر عن اللسان، وفي العصر الراهن أيضا ما يصدر عن اللسان ولكن في صور مطبوعة ومرئية ومسموعة.. وتأمل موقف القرآن من الشعراء حيث كان ما تلوكه ألسنة الشعراء هو النموذج الإعلامي القديم في ديوان العرب، وتذكر قارئي العزيز تلك المساجلات والمعارضات بين جرير والفرزدق من أجل مناصرة الحكام بسلطان الشعر.. وما كان يحدث في فجر الاسلام من جانب شعراء الجاهلية بهدف ضرب الدعوة في مهدها، لذلك ذم القرآن ذلك النوع من التوجه الإعلامي الذي يهيم فيه الشعراء: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧).

ولما كانت الكلمة أساس الخير وأساس الشر، فقد جعل الله تبليغ رسالة الرسل بالكلمة، وجاء الطواغيت ليفسدوا في الأرض في مبدأ الأمر بالكلمات.. كما حكى الله عن فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨).. وعن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨). وأول معصية كانت كلمة، كما حكى الله عن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ (ص: ٧٦). وما أصاب المدلسون أعراض الرسل والصحابة والرموز الإسلامية إلا بالكلمات. وعن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول: «ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يَتَبَيَّن فيها يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق» (رواه البخاري). وعند الترمذي: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى لها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار».

وقد قال الحافظ في «الفتح»: وكأنه يستشرف الخطاب الإعلامي قديما وحديثا – قال ابن عبدالبر: الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر. وزاد ابن بطّال بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببا لهلاكه، وإن لم يُرد القائل ذلك، لكنها ربما أدّتْ إلى ذلك، فيكتب على القائل إثمها. والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة، أو يفرج بها عنه كربة، أو ينصر بها مظلوما. لذلك يرى الإمام النووي: أن هذا الحديث حثٌّ على حفظ اللسان، فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق، فإن ظهرت فيه مصلحة تكلم وإلا أمسك.. فعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» (رواه الجماعة إلا النسائي وابن ماجه).

وإن من الكلام الذي ينفع صاحبه هذه الأيام مناصرة المصلحين الذين يشن عليهم الكاذبون والمدلسون الحملات تلو الحملات.

ولكي تعرف الفرق في الخطاب الإعلامي الصادق ونقيضه الكاذب؛ تأمل كلمات الرسل في تبليغ الرسالة وكذلك من كانوا لهم أعداء لهدم هذه الرسالة.. حيث ستجد مسألة طلب الأجر ممن يتبنون الكذب الإعلامي والزهد في هذا الأجر لدى الصادقين. ولقد أكد جميع الرسل في خطابهم الإعلامي لأقوامهم أنهم لا يريدون في رسالتهم هذه الأجر أو المال، بينما يطلب محترفو التدليس والكذب هذا الأجر وذلك المال، يقول تعالى في سورة الشعراء على لسان أكثر من نبي في الآية ١٠٩ والآية ١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. وعلى النقيض ترى سحرة فرعون وهم أشبه بمحترفي التزوير والكذب الإعلامي المعاصر – تراهم يطلبون الأجر من الفرعون صاحب السلطان في مصر القديمة، وقد جاء طلب هذا الأجر في أكثر من مناسبة في القرآن الكريم حيث يقول ربنا على لسانهم: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٣). لذلك كانت الرسل وأصحاب الدعوات الاصلاحية في ثبات وتأييد رباني لأنهم لا ينتظرون ولا يقبلون ولا يسعون للمقابل إلا من الله.. بل قد يسمو المصلح فوق نفسه وفوق حطام الدنيا الزائفة ولا يريد هذا المقابل لدرجة أن يرفض ويحارب المقابل فهو لله ومع الله وبالله يعمل.. وهل هناك أجمل وأنظف وأرقى من هذا التوحيد الخالص الذي يصفي

السريرة فلا تعلم هل أنت تمشي على الأرض أم تسبح مع الملائكة؟

وكما أسلفنا.. فإن الكلمة التي يتفوه بها اللسان هي آلة الإعلام قديما وحديثا، وإن كانت الحملات الإعلامية الكاذبة في عصرنا الراهن قد اكتسبت أسماء حديثة عبر الشبكة العنكبوتية والإذاعات والفضائيات وكذلك الصحافة الصفراء، فليس هذا بجديد.. بل هي معركة قديمة قدَم المعركة بين الخير والشر، وقد جعل الله لنا في رسوله ﷺ، الأسوة الحسنة في كل أموره، ومنها: مواجهة كيد الكائدين بالصبر واليقين؛ ولعل أبرز الأمثلة في حياة النبي ﷺ، في مواجهة

تلك الدوامات: «حادثة الإفك»، وما أحوجنا جميعًا إلى تعلم الدروس التي علمها الله للمجتمع المسلم ككل عندما يواجه بعض أفراده مثل هذه الحملات: صبر ويقين من صاحب القضية، وحُسن الظن ومناصرة من باقي المجتمع، وتَثبُّت وإمساك عن الخوض فيما لا برهان عليه، وإن «دوَّرته الآلة الإعلامية» ليل نهار، لكن إلى أي مدى يمكن أن نثبت أمام هذه الحملات؟!

ولقد كان لحادثة الإفك هذه، التأثير البين لسطوة الإعلام الكاذب في المجتمع المسلم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥) فالحادثة قد شطرت مجتمع الإيمان ونشرت الكذب والتدليس والتزوير في ربوع المدينة وأطلت الفتنة كالأفعى برأسها: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١).. ولكن شاء الله بتأييده أن تكون هذه الحملة الشعواء منحة من بعد محنة: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.. لذلك نحن نؤكد هنا مع الباحثين في علم الاتصال والإعلام خطر وأثر الإعلام في توجيه الرأي العام أو تكوينه.. حيث ترى الباحثة الألمانية «اليزابث نويلة» التي أعدت دراسة عن تأثير الإعلام على الرأي العام في الولايات المتحدة الأميركية، والتي انتهت فيها إلى أن الإعلام كثيرًا ما يشكل ضغطًا رهيبًا على الرأي العام؛ ليصبح الرأي العام هو ما يريده الإعلام لا ما يريده الشعب، عبر آلية أو نظرية أطلقت عليها: «دوامة الصمت».

وهي تقوم على افتراض رئيسي هو أن الإنسان في الأعم الأغلب لا يحب العزلة، ويخشى من مصادمة الرأي العام، وأن الإعلام يستطيع تحت شرط معين أن يلح على فكرة أو موقف من شخص أو جماعة بدرجة تعطي قناعة لدى جميع المتلقين أن هذا هو الرأي العام، ومن ثَمَّ ترتفع الرغبة لدى مؤيدي هذه الفكرة، ويفتخرون بالانتماء إليها، بينما يشعر المعارضون لها أو المؤيدون لأطروحات أخرى بالحرج والخجل فيلزمون الصمت؛ مما يحوِّلهم إلى «أقلية صامتة» في المجتمع! بل ذهبت النظرية إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو أن الإعلام يستطيع إذا توحد على وجهة نظر مصادمة لرأي الأغلبية أن يحولها إلى «أغلبية صامتة» تخجل من مبادئها؛ حتى لو كانت هي مبادئ الأغلبية! بينما الأقلية المساندة من الإعلام تشعر بأنها صارت الأصل.

ولكن الشرط الرئيسي لكي تحدث هذه الظاهرة، هو: أن تتوحد وسائل الإعلام على أيديولوجية أو فكرة أو هدف، وهذا حاصل في حالات الإعلام الموجَّه من قِبَل الحكومات الديكتاتورية.

ولكن هل يمكن حدوث ذلك في حالات الإعلام الحر؟!

تجيب الباحثة الألمانية: إن البلد موضع الدراسة -وهو الولايات المتحدة الأميركية- يحرر أعلى درجات التحرر الإعلامي، ومع هذا وجدت أن الأطر العامة التي تحرِّك المؤسسات الإعلامية المتنافسة هي أطر واحدة، ومن ثَمَّ فإن هذه المنافسة بين تلك المؤسسات لم تمنعها من أن تكون كلها تقريبًا ضاغطة لصالح توجهات معينة تدافع عن مصالح الشركات الأميركية الكبرى.

وإذا أضفنا إلى رأي هذه الباحثة آراء باحثين آخرين يرون أن «التنوع الإعلامي» ما هو إلا أكذوبة كبرى؛ علمنا الحقيقة المُرة التي تواجهها البشرية عامة، لا فرق في ذلك بين عالم متقدم وآخر نام إلا في نوعية المتسلط على عقول الناس من الديكتاتور السياسي في العالَم النامي إلى الديكتاتور الرأسمالي في العالَم المتقدم.

إن آلة الإعلام الحالية عندما تتحرى الكذب.. يبدو أنها تتخذ مثلها الأعلى نظرية وزير الإعلام النازي «جوبلز» الشهيرة: «اكذب اكذب، اكذب، حتى يصدقك الناس..». وقديما بحث الكافرون عن الغلبة بهذه الطريقة فقالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦)، هذه المقولة اندثر جسد صاحبها لكن العمل بها يبدو أنه لم يندثر.. فنحن مازلنا نشم روائح الكذب.. في بلداننا بغرض وأد الحقيقة، وكنا نظن أنه عندما تفوح رائحة الكذب سيخجل الكذابون، ولكنها تتكرر.. وتتكرر حتى تعودت الأنوف رائحته.. ومع التكنولوجيا والثورة المعلوماتية صار القول: إن الصورة أصدق من الكلمة، أو إن الصورة لا تكذب..» هو الآخر كاذب، فعملية قص ولصق ممكن أن تضع صورة مع خبر لا يمت لها بأي صفة، ناهيك عن عملية الفوتوشوب، التي من الممكن أن تغير بالملامح.. وكأن الاستنكار القرآني للخطاب الإعلامي الكاذب القديم لدى بني إسرائيل لايزال موجودا.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٤٢).. لذلك نعود لنؤكد أن حاجة المسلمين اليوم ليست إلى السلاح والعتاد بأشد منها إلى جهابذة كلمة الحق الذين يزيلون اللبس عن الناس ويبلغون الحق عن رسل الله عز وجل الذين ورثوا أمانتهم وميثاقهم.

الإعلام المغيب

أحمد محمد الفارسي
رئيس قناة العطاء الكويتية

عندما يصل عدد المعاقين في العالم الى ما يقرب من ٦٥٠ مليون شخص معاق وتبلغ نسبة انتشار الإعاقة بمختلف أنواعها ١٠٪ على المستوى العالمي وتتراوح في الدول النامية والفقيرة بين ١٠٪ إلى ١٢٪ فإن ناقوس الخطر يدق بشدة هنا وهناك، فالقضية ليست سهلة والمشكلة ليست بسيطة والنتائج في منتهى الخطورة وليت الأمر مستقر أو ثابت إنما هو متحرك متنام فالنسبة تتزايد والأعداد تتكاثر وأسباب الإعاقة لا تتوقف والعالم العربي ليس بمعزل عن كل ذلك، فهو في عداد البلدان النامية التي تعاني من انتشار الإعاقة وزيادة معدلاتها، ولقد نهضت الدول العربية محاولة أن تعالج المشكلة فاستخدمت أساليب الوقاية للحد من معدلات انتشار الإعاقة وأنشأت المؤسسات والهيئات التي تقدم لذوي الاحتياجات الخاصة البرامج وخدمات التأهيل حتى تمكنهم من ممارسة حياتهم.

ولكن... هل استطاعت برامج الوقاية أن تحقق تقدمًا فعالًا في الحد من الإعاقة؟ وهل استوعبت المؤسسات والهيئات المنشأة كل الفئات والأولاد الذين يحتاجون الى مثل هذه الرعاية؟

مازالت الأزمة مستمرة.. الأعداد تتزايد والقدرات تتناقص ولم يعد الأمر يحتمل السكوت أو الانتظار، من هنا جاءت ضرورة وجود آلية أكثر فعالية وأشد تأثيرًا وأقدر على الوصول إلى كافة الشرائح الاجتماعية لعمل نقلة نوعية في حياة ذوي الإعاقة من خلال صقل مواهبهم وتطويرها وأهمية مشاركة أكبر قدر ممكن من المحطات التلفزيونية وتسليط الضوء عليهم من خلال الإعلام ووضع آلية تغوص في أعماق المشكلة وتبحث أسبابها والعوامل المؤدية اليها.. آلية تشخص الداء وتصف الدواء وتقدم العلاج لكل طفل

الفساد الإعلامي وصياغة المجتمعات

تحقيق : منير أديب

تزييف الحقائق أسهل الطرق لهدم المجتمعات وتضليل الرأي العام
إعلاميون: القارئ والمشاهد يستطيعان اختيار الوسائل الإعلامية البعيدة عن تغييب الواقع وطمس الحقيقة
خبير إعلامي: لابد أن يشارك المجتمع بدور رقابي وتشريعي حتى تختفي ظاهرة الفساد الإعلامي ومحو أي وسيلة تسعى لتغيب الحقيقة

الإعلام جزء من حياة الناس ولا يمكن للناس أن يعيشوا بدونه؛ فهو يلعب دورًا كبيرًا وخطيرًا في معرفة الحقائق وتوظيفها ويلعب نفس الدور في تزييف الحقائق أيضًا فيما يطلق عليه البعض بالفساد الإعلامي، ويكون ذلك عندما تنعدم الضوابط والأخلاقيات ولا يكون هناك ميثاق شرف إعلامي، فتتوه الحقيقة وسط إعلام جذاب ينقل الزيف للناس على أنه حقيقة.

الفساد الإعلامي يظهر في صوره الثلاثة التليفزيوني، والإلكتروني، والصحف السيارة، فالرشوة مقابل حصولك على المعلومة، والمال من أجل تشويه الحقائق الثابتة وتغير قناعات الناس دون أن يشعروا، فالحرب الحالية هي حرب إعلامية في المقام الأول.. نتعرض من خلال هذا التحقيق للفساد الإعلامي صوره وأشكاله والضوابط التي لابد أن تكون حاكمة له وكيفية حل مشكلاته، فإلى نص التحقيق:

قصص الفساد الإعلامي

يقول، عزت مصطفى. صحفي: نحن نعيش الآن حالة من التزييف الإعلامي غير مسبوقة تشوه فيها الحقيقة بشكل كبير جدًا، فيظهر لك الحق على أنه باطل ويظهر لك الباطل على أنه حق، وتضخ في سبيل ذلك مليارات الجنيهات من خلال

آلة إعلامية جبارة تعمل ليل نهار.

وأضاف: حالة الفساد الإعلامي لا تقتصر على عصر دون آخر وإنما تظهر هذه الحالة في كل العصور والأزمان ويستخدمها الفاسدون في توصيل منطقهم للناس ولكن بصورة براقة على غير حقيقته في الأصل، وتستخدم هذه الطريقة في الأساس لتضليل الناس سواء البسطاء أو النخب.

وتابع: إن وسائل الإعلام التي تضلل الناس كثيرة ومتنوعة وتستخدم وسائل مختلفة، وتفاجأ أن الحكومات والأنظمة حريصة على أن تكون مالكة لوسائل إعلام، وتفاجأ برجال أعمال أيضًا يريدون الدفاع عن مصالحهم ويستخدمونها في غسيل «سمعتهم».

وذكر، إن هذه الوسائل تستخدم مواد إعلامية دون ضوابط حقيقية، ولا يحكم المواد المنشورة عليها أو المرئية أي ميثاق شرف إعلامي، فتفاجأ بنشر الشائعات عبر هذه الوسائل لتحقيق أطماع وضرب مصالح أو الدفع بمعلومات غير حقيقية أو التغافل عن معلومات من المهم نشرها ولكنها قد تضر بمصلحته.

وأكد على ضرورة التعامل بحيادية مطلقة مع المواد المنشورة وأن تكون هناك مدونة نشر تلتزم بها الوسيلة الإعلامية وألا يتم توجيه الأخبار سواء في المعالجة أو حتى منع نشر بعض الأخبار أو تصدير بعض الأخبار التي تفقد القيمة الحقيقة مقابل أخبار جيدة لا يكون لها حظ من النشر.

يقول الإعلامي طارق صلاح: قصص الفساد الإعلامي كثيرة ولكن من المهم أن يميز القارئ والمشاهد الغث من السمين وألا يبيع نفسه لمشاهدة برامج هو مدرك أن موادها غير حقيقية أو مبالغ فيها، فهناك محطات إعلامية كثيرة موجهة.

وأضاف: إن أغلب وسائل الإعلام الموجودة في العالم موجهة في الأساس إما لخدمة قيم وسلوكيات وإما موجهة أيضًا لهدم قيم مجتمعية، أو يوظفها أصحابها لخدمة مصالحهم الشخصية والمالية، ووسط هذا الفساد تظهر وسائل إعلامية تتحرى الحياد في تغطيتها فلا تميل لجانب دون جانب ولا تنحاز لفكرة دون أخرى.

وذكر أن القارئ والمشاهد ذكي لدرجة كبيرة ويستطيع التمييز، ولكنه يقع ضحية في غالب الظن وتفاجأ به متأثرًا بما تطرحه هذه الوسائل التي لا تلتزم بأي ضوابط

أو معايير وتفاجأ بكثير يتابعون هذه الوسائل الإعلامية.

وأكد على ضرورة أن يعمل الجميع في هذا الوقت لضبط إيقاع المجتمع وإلزام كافة وسائل الإعلام بمعايير لا تحيد عنها وإذا حدث تتم معاقبة المحطة الفضائية أو منع صدور الصحيفة أو فرض حظر على الموقع الإلكتروني الذي يصدر أخبارًا غير صحيحة.

وأنهى كلامه، بأن كثيرًا من الناس يلجأ إلى متابعة مثل هذه الوسائل لأنها دائمًا تتعرض للحياة الشخصية للناس، كما أنها تكسر المحرمات والناس تريد أن تسمع وتشاهد وتقرأ ما تفتقده في باقي وسائل الإعلام.

ويقول المذيع التلفزيوني علاء المنشاوي: وسائل الإعلام الوحيدة التي تستطيع أن تعبر من خلالها البحار أو الحدود وتؤثر في العالم أجمع ولذلك تفاجأ بأن الكثير من الدول أنشأت وسائل إعلام موجهه بغير لغتها حتى يراها الناس ويسمعوا عن ثقافتها، وتقوم بالترويج إلى ما تريد وترد في نفس الوقت على ما تريد.

يذكر أن الفساد الإعلامي يظهر في صور كثيرة، حتى في صورة المذيع ونبرات صوته التي تبدو منحازة بعض الشيء، أو المحطة التي تحجب أخبارًا خاصة وتضخم في أخبار ربما لا تكون مهمة دون أي اهتمام حقيقي بالقارئ أو المشاهد، أو حتى احترام لعقليته.

ولفت إلى أن هناك ميثاق شرف للإعلاميين ووسائل الإعلام لابد أن يلتزم به الجميع حتى يحترمها المشاهد، وتكتسب شعبية كبيرة، وكثير من وسائل الإعلام تلزم نفسها هي الأخرى بمدونة من الضوابط الجديدة بحيث تحكم آلية تطبيق الضوابط المفروضة عليها، وتضع ضوابط جديدة حتى تكون أكثر حيادية، وهذه الضوابط تلتزم بها دون فرض من أحد.

ووسائل الإعلام الكبيرة، كما يقول المنشاوي، تلك التي تتعامل بصرامة مع أي كسر لهذه القواعد لأنها تبحث عن مشاهد جديد، وغالبًا ما يأتي المشاهد للمحطة التي تتعامل بحيادية أو على الأقل يتقبل موادها بأريحية ومصداقية في نفس الوقت.

الرقابة لتقليل الفساد الإعلامي

يقول الخبير الإعلامي ياسر عبدالعزيز: الفساد لم يترك منطقة إلا وتحرك فيها، والإعلام أحد بؤر الفساد في المجتمعات، وينشط أكثر في المجتمعات المتخلفة التي يكون مستوى التعليم فيها متدهورًا ومتدنيًا.

وأضاف: إن الفاسدين في العموم حريصون على إنشاء محطات فضائية إما للدفاع عنهم أو لتزييف الحقائق من ناحية أخرى. مشيرًا إلى ضرورة مراقبة المجتمع لوسائل الإعلام لأن الإعلام إما أن يرفع المجتمع إلى عليين، وإما أن يسقط بالمجتمع إلى أسفل سافلين ويكون مسؤولًا بشكل كبير عن تراجع المجتمع.

وذكر مقولة لأحد الإعلاميين الكبار تعليقًا على رقي المجتمع تقول: إذا أردت أن تتعرف على مجتمع ما وتعرف إلى أي حد وصل فراقب إعلامه، فالإعلام مرآة حقيقية للمجتمع وعاكس ضوئي لا يخيب، فيمكن من خلاله رؤية المجتمع بشكل حقيقي.

ولفت إلى أن بعض وسائل الإعلام تلجأ إلى طرق غير شرعية للحصول على المعلومة قبل غيرها فتتعامل بشكل غير أخلاقي، فتقوم بعرض الرشوة حتى تحقق السبق في النشر فتساعد في نمو هذه الظاهرة بدلًا من أن تقف لمحاربتها، ووسائل إعلام أخرى تقوم بتوجيه بعض المواد المنشورة من خلال دفع مبالغ مالية كبيرة للضيف، فالهدف غير شرعي في الأساس.

ومن صور الفساد الإعلامي أيضًا في المجتمع أنك تفاجأ بمحطات تغرق بشكل كبير في البرامج الفنية التي لا قيمة لها أو تفاجأ ببرامج تستخدم لتغييب وعي الناس، ولجذب أنظارها وإبعاد هذه الأنظار عن قضايا معينة.

ويرى ضرورة معالجة كافة المشكلات الناجمة عن الفساد الإعلامي لأنه يؤدي إلى هدم المجتمع رأسًا على عقب وينشر الكذب والتضليل اللذان يؤديان إلى غياب الحقيقة وتشويهها.

وطالب بضرورة وجود تشريعات حقيقية ورقابة أكثر صرامة، وأن يكون هناك عقاب رادع وقوي للوقوف أمام أي وسائل إعلام لا تلتزم بالضوابط التي لابد أن تكون جزءًا أصيلًا من معالجتها وفي حال عدم الالتزام يصل الأمر إلى غلق هذه الوسائل الإعلامية بعد تحذيرها، وأن يكون لوسائل الإعلام في العموم دور كبير في نشر هذه الثقافة من ناحية، وفي توعية المجتمع بضرورة عدم متابعة أي وسائل إعلام لا تتعامل بشفافية ولا تقع تحت سيف الفساد الإعلامي.

الإعلام وصناعة الكذب!

حسين أحمد المحمد- كاتب صحفي سوري

منذ الستينيات من القرن الماضي بدأت فكرة السيطرة على الإعلام هاجس يقض مضاجع الساسة، وخصوصًا بعد تزاوجه (الإعلام) مع العلوم التكنولوجية الحديثة ليولد هذا الإخطبوط العملاق، حيث تمتد أذرعه إلى كافة مجالات النشاط البشري، ومع استحالة الفصل بينهما وتعرقل مصالح السلطة السياسية أُلغي ما يسمى وسائل الإعلام، وأُوجد بديل مصطنع هو رجال الأعمال (الإعلاميين)، هذا الإخطبوط الذي ولد قيصريًا، وخلف قناعه بدأ صراع القيادة، حيث قامت المؤسسات الإعلامية العملاقة المملوكة أصلًا لرجال أعمال كبار طبعًا بغربلة المواد الإعلامية ومعالجتها هي وكتّابها، وأصبحت تستخدم بخبث أساليب الترغيب والترهيب لأصحاب العقول من كتّاب، وصحفيين، وإعلاميين لإنتاج فكر إعلامي مخصّص ومؤطّر يخدم مصالحها، فإذا كانت الأنظمة تهدد وتتوعد فإن رجال الأعمال يشترون الذمم الإعلامية بكافة المغريات المادية أو المعنوية على السواء، هكذا بدأ ظهور الإعلام المهيمن بشكله التجاري الواسع.

يقول د. لطيف زيتون (أستاذ في الجامعة اللبنانية الأمريكية- بيروت): «عندما تسود الديموقراطية يكون الشعب سيدًا والإعلام حرًا يعكس تنوع الأفكار والآراء وعندما تضعف الديموقراطية يستأثر النافذون بالإعلام ويرسمون الحقيقة على قياس مصالحهم».

وليس أدق من هذا الوصف لواقع الإعلام المصاب بحمّى الكذب منذ ولادته حيث كبر وترعرع معنا شيئًا فشيئًا حتى تمكّن من السيطرة على أدق مفاصل الحياة، تغيّر كل شيء في حياتنا وأصبح البعد المادي هو الهدف الأسمى، ففيما مضى كانت احتياجات الناس تفرض على السوق قياساتها، أما الآن فقد أصبح السوق يفرض احتياجاته على الناس، وصار الإعلام دليلنا إلى كل ما نحتاج وليس العكس.

اجتماعيًا.. غابت الفرحة عن القلوب، وحلّت الابتسامة البلهاء المصطنعة.. لقد نسينا قيمنا وما نبحث عنه منذ سنين طويلة أقصد تلك الحميمية الدافئة.

علميًا.. جهود المفكرين والمصلحين وأبحاثهم وقريحة نتاجهم الفكري كل ذلك عُلب وحفظ في رفوف المكاتب، واستبدل بأخبار الفن والمباريات ونجومهم، هذا التسارع المرعب إلى الهاوية له ثمن غالٍ جدًا سندفعه عاجلًا أم آجلًا من عيون قيمنا الإنسانية.

إذا كان حادي الركب أعمى فلا تسأل إلى أين المسير.

هنالك قواعد ثابتة تشكل ركيزة أساسية في بناء الحضارة الإنسانية، لم يسلط عليها الإعلام إلا النظر اليسير من الضوء، ولم يحاول هذا الإعلام أن يبحث عن مفاصل الخلل في كل جوانب النشاط البشري، اللّهم إلا المحاولات القليلة التي تمشي على استحياء، أقصد بعض الإعلام الهادف الذي انطلق في بعض دول مجلس التعاون.

لقد أصبح الضخ الإعلامي مسلطًا على الربح السريع، والدعاية الهابطة التي تُسلّع المرأة وتسوّقها كأي منتج، إذًا لا بد للإعلام أن يكونَ ضد صناعة الكذب.

ولا تعجب من أمنيات شبابنا اليوم (ممثل أو مغني أو لاعب كرة) هذه حقيقة ما زُرع بالأمس نحصد ثماره اليوم، لا نعرف شيئًا عن ماضينا وأصبحنا مستهلكين لكل مصنّع، ومغيّبين عن كل ما يهمنا، يقودنا إعلام عملاق أعمى، تطحن عجلته كل من يحاول إيقافها.

إن تحرر الإعلام من عولمته المقيتة، وإخراجه من وحشيته يتطلب صحوة عملاقة تُخرج الكتّاب والإعلاميين من طوق التكليف الذي قيّدهم به الساسة لخدمة مصالحهم بشكل أو بآخر، ونأمل أن تُؤتي هذه الصحوة ثمارها ويحصل هذا المارد العملاق على عينين يرى طريقه بوضوح الحقيقة الرائعة التي هي أننا من أمة أنجبت النجباء العظماء الذين قادوا التاريخ في يوم من الأيام ودُرِّس علمهم في أرقى جامعات العالم.

مختصر

عمدة النُّسَّاك في فضل السواك

نظمُ : علي بن تقي الدين الخليجي (كان حيًّا سنة 1112هـ)

تحقيق واختصار: صالح بن محمد بن عبدالفتاح
باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

اتباع سنة النبي ﷺ تجلب للعبد خَيْري الدنيا والآخرة ومن السنن التي حثَّ عليها صلوات الله وسلامه عليه سنة السواك لما له من فضائل جمَّة ألِّف فيها العلماء كثيرًا من الكتب بين منظوم ومنثور ومن بين من عُنوا بنظم فضائله رجل يدعى: علي بن تقي الدين الخليجي، وهو وإن لم تسعفنا كتب التراجم بترجمة وافية عنه إلا أننا نستطيع القول بأنه كان حيًا سنة اثنتي عشرة ومئة بعد الألف (١١١٢هـ) وذلك مأخوذ من قوله في آخر المنظومة:

في عام اثنا عشر من بعد المئة نظمتها وبعد ألف مجزئهُ

يقع أصل هذه المنظومة في (٧٤) بيتًا، وقد قمنا باختصارها لتتناسب مع المساحة التي تتيحها لنا المجلة.

وقد اعتمدت في ضبط نصها على نسخة خطية محفوظة ضمن مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية بجمهورية مصر العربية تحت رقم (١٨٠٨) فنسأله تعالى النفع بها إنه سميع الدعاء.

يقول راجي العفو من ربٍّ عليّ ... ابنُ تقي الدِّين مَنْ دُعِي عَلِي
الحمدُ لله الذي قد وفَّقا ... لسُنَّة المختارِ أربابَ التُّقى
فلازموها مدة الأيام ... ومدة الشهور والأعوام
فلازِم السُّنَّةَ يا مَنْ قد سَمِع ... واتْبَع إلى أربابها لا تبتدع
تميل عن طرق الرشاد علَّها ... إن مِلْتَ أو إذ لم تلازمْ فعلها
وهذه أرجوزةٌ قَدْ أوضحت ... عن فضلِ الاستياكِ يا ذا صرَّحت
سميتها «بعمدة النسَّاك» ... مبيِّنًا فضائلَ السواك
واللهَ أرجو أن تكن مقبولهْ ... لوجهه وأن تكن موصولهْ
ثم الصلاةُ والسلامُ أبدَا ... على النبيِّ الهاشميِّ أحمدَا
وبعد ذا يا سائلي عَنِ السواكْ ... المتَّخذ من بعض عيدان الأراكْ
أو مِنْ جريدِ النخلِ أو مِنْ زيتونْ ... وكلِّ شيءٍ خَشِن ممَّا يهونْ
فهذه السنَّةُ أحسنُ السننْ ... مِنْ الوضوء فعلُها فعلٌ حسنْ
أخبرنا عن فعلها الإمام ... أعني عليًّا الوليْ الهمامُ
مَنِ اقتفى سُنَّةَ خيرِ الخلق ... وأرشدَ الورى لدينِ الحقِّ
وبيَّنَ المفروضَ والمسنونا ... وكان يُدْعَى صادقًا أمينا
وقد قضى في كلِّ حالٍ بالسواك ... وتركُكَ السنَّةَ عنه قد نهاك
فحدِّثوا عنه بكلِّ نقلِ ... عن خيرِ خلقِ الله يا ذا العقل
بأنه كان يشوصُ فاهُ(١) ... ويبتدي بالدَّلك مِنْ يمناهُ(٢)
وقال في الحديث: (لولا أنْ أشقْ ... أمرتُ أُمَّتي به أمرًا يحقْ)(٣)
ففضلُه يعلو لكلِّ فضلِ ... كما أتانا في صحيح النقلِ
وأنه في كلِّ حالٍ مُستحبْ ... وبعضُها يكونُ فرضًا قَدْ وَجَبْ
يكونُ مكروهًا مَعَ الزوالِ ... للصائمين يا ذوي الأفضال
وبعضها يكون ممنوعًا حرامْ ... بغيرِ إذنِ الغيرِ ما فيه كلام
خصالُه تزيدُ عن سبعينا ... كما أتى في النصِّ(٤) عن نبينا
منها بأنْ يُرضي إلى الرحمن ... ويرغم أيضا إلى الشيطان

مقوي الإنسان يامن قد سَمِع ... ويجليَ الصدا لسنة الهادي اتبع
وحملُه مضاعِفٌ للأجرِ ... يُطيِّبُ النكهةَ ياذا القدر
مشدِّدًا أيضا إلى اللثاةِ ... يُبيِّضُ الأسنانَ يا ثقات
وأنه مطهِّرٌ للقلب ... مِنْ كلِّ رجسٍ أو أذًى أو ذنب
يَرِّيَ الطعامَ في الأبدانِ ... منور للقلب والأعيانِ
ويُنطقُ اللسانَ بالعلومِ ... وحكمةٍ تأتيكَ بالفُهومِ
يُذيبُ للحرام في البطونِ ... كما يُذيبُ الملحَ في العيونِ
ويُذهبُ الأمراضَ والأوجاعا ... ومُغْذِيٌ أيضًا لمن أجاعا
يكونُ في دَرجِ الجنان العليا ... براءة تكتب له يا يحيا
يكونُ فيها في جوارِ المصطفى ... ويجتني ثمارَها بلا خفا
وغيرُ ما قلناه يا هذا فقد ... له خصالٌ زائدةٌ عمَّا ورد
مُبَطِّؤُ الشَّيبِ مسَوِّي الظهر ... مُطهِّرٌ للفمِّ كلَّ الطهر
عندَ الممات يا جليلَ القدرِ ... يُسَهِّلُ النزعَ لهذا فادري
فالخيُر يا ذا كلُّه في الاتباع ... والشرُّ يا ذا كلُّه في الابتداع
ثمَّ الصلاةُ والسلامُ الدائمُ ... على نبيٍّ دَأْبُه المراحمُ
وآله وصحبه مِنْ بعده ... والتابعين كلهم وحزبه
ما غرَّدَت يمامةُ الأراكِ ... وكُلّما يُستاك بالسِّواك

تمت

الهوامش

١- أخرجه البخاري في مواطن منها (حديث ٢٤٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥) من حديث حذيفة.

٢- لحديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين «كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله»، وقياسًا على الوضوء. انظر المجموع للنووي (٢٨٣/١).

٣- أخرجه البخاري في مواطن منها (حديث ٧٢٤٠)، ومسلم (حديث ٢٥٢) من حديث أبي هريرة.

٤- لم يصح عن النبي ﷺ ذكر عدد هذه الخصال.

مشاهدات في أفريقيا.. المواصلات والماء

عبدالعزيز بن صالح العسكر
كاتب صحفي - السعودية

الحياة في وسط وغرب أفريقيا لها طعم خاص، فإن كثيرًا من مألوفاتنا تقل هناك أو تنعدم، ففي أغلب بلدان العالم التي أفاض الله تعالى عليها من نعمه لا يعرفون وسائل النقل الآن إلا الطائرات والسيارات فقط، ثم إن السيارات من أحدث ما أنتجته الحضارة من «موديلات»، أما في أفريقيا وفي أغلب بلدانها وأريافها فلا تزال العربات التي تجرها الخيول والحمير وسيلة نقل يستعملها الناس لنقل أغراضهم وبضائعهم، وبعضهم استطاع الحصول على السيارات ولكنها «موديلات» قديمة جدًا يصلحون أعطالها ويستعملونها، ومن المألوف عندهم أن السائق هو مهندس سيارته، وهذه ميزة حسنة في السائق تفقدها أكثر البلدان العربية المترفة، فالسائق يجيد إمساك مقود السيارة وضغط البنزين في سيارة حديثة الصنع ولا يعرف أن يصلح أي عطل أو يعرف سبب أي خلل يطرأ على السيارة، ومن الظريف أن بعض البلدان الأفريقية استطاعت ابتكار سيارات خاصة بها، فالدراجة النارية ذات العجلتين التي صنعت في اليابان أو الصين أو كوريا أو غيرها صارت في المغرب سيارة لها صندوق يحمل الأمتعة الكثيرة، ويحمل على عجلتين خلف محرك الدراجة وعجلتها الأمامية.

أما السيارات القديمة في بعض الدول فإنها تخدم خدمة كبيرة وتسلك طرقًا وعرة وتحمل من الأمتعة والبضائع أضعاف ما يحمل على سيارات جديدة في دول أخرى، وما أحسب إلا أنّ الله تعالى يبارك لهم بالإضافة إلى عامل آخر هو حسن الاستعمال لتلك السيارات.

أما الماء وما أدراك ما الماء فمعاناة بعض البلدان الأفريقية معه طويلة طويلة، فكثير من البلدان الأفريقية رغم مجاورة بعضها للبحار في الغرب والجنوب ومرور الأنهار فيها تعاني من شح كبير، وتقتصر وسيلة الحصول على الماء لشرب الآدميين وسقي البهائم وما يتبع ذلك من حاجات للماء، كل ذلك مصدره الوحيد الآبار فقط لعدم وجود شبكات مياه، وخاصة في الأرياف، فالبئر هي المصدر الوحيد. والبئر في الغالب تحفر يدويًا لتوفر الأيدي العاملة ورخصها ثم توضع بداخل البئر خرسانة دائرية قطرها متران أو أقل تمنع تهدم البئر وانسدادها، وبعض الآبار يستخرج الماء منها بالدلو والحبال، وهذا هو الكثير الغالب، كما في الصومال وجامبيا وصحراء موريتانيا وبلدان كثيرة أخرى، وبعض الآبار يستخرج الماء منه بمضخة يدوية تركب على فوهة البئر ينزل منها أنبوب لأسفل البئر وبالضغط يصب الماء من أنبوب في الأعلى كما في بعض مدن جامبيا وليبيريا، والبئر الواحدة تكفي قرية كاملة أحيانًا لحاجاتهم كلها، وقد تكون البئر في بستان أحدهم أو بيته، ويتيح للجيران كلهم السقي منه وملء أوانيهم البلاستيكية لنقل الماء إلى منازلهم، ومن المألوف أن ترى الناس زرافات على الآبار ليلاً ونهارًا لسقي الماء، وقد رأيت ذلك في عدة دول، وتكلفة حفر البئر وإعدادها للاستعمال غير مكلفة إذ لا تتجاوز ألفي دولار في بعض الأماكن حسب عمق البئر، ولكن ذلك المبلغ كبير جدًا على المواطنين في تلك البلاد، وخاصة في الأرياف والقرى حيث يسكنها الفقراء والمعدمون، وهم ينتظرون يد العون من إخوانهم المسلمين في أنحاء العالم وقد ساهمت دول كثيرة وعدد من التُّجار والمحسنين في حفر آبار في دول أفريقيا ولكنها حتى الآن مازالت أقل بكثير من الحاجة للملايين من البشر في تلك البلدان، علاوة على أن المشاريع التي نَفَّذتها بعض الدول بحاجة إلى صيانة ومتابعة كي يستمر نفعها، وفي الصور تظهر نماذج من الآبار التي يعتمد عليها المسلمون هناك، وبعضها في صحراء لا تنزل فيها الأمطار، لذلك فالآبار عميقة جدًا مثل صحراء موريتانيا، حيث يكون نزول المطر قليلاً في العام، وربما يمر العام والعامان لا ينزل المطر، أما في الساحل الغربي فإن الآبار غير عميقة والأمطار تنزل في الشتاء بمعدل خمسة أشهر متواصلة بإذن الله تعالى فتسقي البهائم والأشجار كما في جامبيا وساحل العاج وليبيريا ولكن الصّيف عندهم- كما أخبرونا- شديد الحرارة ولا تنزل فيه الأمطار.

إن حفر الآبار صدقة جارية وطريق لكسب الثواب العظيم من مالك الملك سبحانه وتعالى، وقد يسر الله مؤسسات خيرية معروفة وفاعلي خير من المحسنين والدُّعاة يشرفون على حفر الآبار ويتابعون مشاريعها في كثير من دول أفريقيا وهم محل حفاوة وتعاون الحكومات والشعوب في تلك الدول، أجزل الله الأجر والثواب لكل محسن ولكل عامل مخلص لنفع المسلمين ورفع الضُّر عن المتضررين وسد حاجة المحتاجين إنّه سميع قريب مجيب.

الماء في الدراسات التراثية (٢- ٢)

د. محمود مهدي- أكاديمي مصري

احتل الماء في الدراسات الطبية التراثية مكانة عظيمة، وحين يُطْلَق لفظ الماء هنا فالمراد به الماء الطبيعي النازل من السماء، أو النابع من الأرض، عَذْبًا كان أو مالحًا أو معدنيًا، باردًا أو مثلوجًا، سائلاً أو جَمْداً أو ساخنًا، كَدِرًا أوصافيًا، وهذا يُخرج المياه الدوائية المركّبة التي شاع ذِكرها في كتب الطب والصيدلة، سواء أكانت مياهًا من أصل حيواني كماء الجُبن وماء العسل وماء النون(١)، أم مياهًا من أصل نباتي كماء الشّعير وماء الليمون وماء الورد، وقد أدرك الأطباء أن الماء العذب عنصر رئيس في بقاء الإنسان حيًّا صحيحًا، وبه يمكن إصلاح بعض ما يعتري بدنه من عِلل وأسقام وأن الماء الملوث الفاسد يكون سببًا في إصابته بالعديد من الأمراض، فتحدثوا عن الماء من زوايا مختلفة امتازت بالعمق والأصالة والابتكار والتجربة، ومما تناوله الأطباء في دراساتهم المائية:

هل الماء يغذي؟

درس الأطباء تأثير الغذاء والماء في البدن، ووجدوا أن البدن يحتاج إلى الغذاء لإخْلافِ ما تحلّلَ منه بأنواع التحلُّل الظاهر والخفيّ، ولزيادته ونموه؛ لكنهم انقسموا فريقينَ عند حديثهم عن تأثير الماء: ففريق اعتمد على القياس، ورأى أن الماء يغذي بدليل ما يُشَاهَد على الأبدان من نمو وزيادة في القوة، ولم ينكروا أن قوةَ الغذاء ومعظمَه في الطعام، لكنهم أنكروا ألا تكون للماء تغذيةٌ البتّةَ، ورأوا أن الطعام يغذي بما فيه من المائية، ولولاها لما حصلت به التغذية(٢)، وأن العطشان إذا حصل له الري بالماء البارد عادت إليه قواه ونشاطه وحركته، وصبر عن الطعام، وقالوا: إن بين الإنسان والنبات قدرًا مشتركًا من وجوه عديدة، منها النمو والاغتذاء والاعتدال، وغذاء النبات بالماء، فما يمنع أن يكون للإنسان

به نوع غذاء، وقالوا: إن الماء مادة حياة الحيوان والنبات، ولا ريب أن ما كان أقرب إلى مادة الشيء حصلت به التغذية. بينما رفض عدد كبير من كبار الأطباء كابن سينا والرازي وابن جزلة وابن البيطار وداود الأنطاكي حصول التغذية التامة بالماء؛ وقالوا: إن الماء لا يغذي، لكن له فوائد جمة، والدليل على أنه ليس غذاءً أنه لا يشبع الجائع، ولا يزيد في نمو الأعضاء، ولا يخلف عليها بدل ما حللته الحرارة، ولا ينعقد مع الغليان(٣).

صفات الماء الجيد ودرجات جودته

وضع الأطباء ضوابط عديدة تحدد نوعية المياه الجيدة المفيدة والمتمثلة في أن يكون لون الماء برّاقًا صافيًا لم يخالطه مُكَدِّر، وأن يكون عديم الرائحة، طعمه عذبًا حلوًا، لا تشوبه كيفيةٌ أخرى، خفيفَ الوزن، ويعرف وزنه بِبَلّ خرقتين أو قطنتين متساويتي الوزن بماءين يراد معرفة وزنهما، ثم تجفّفان تجفيفًا بالغًا، ثم توزنان، فالماء الخفيف تكون قطنته أخفّ وزنًا، ومما يدل على خفته سرعة نضوبه وجفاف الأرض إذا سُقي منه؛ فإن الأرض إذا سُقيت ماءً خفيفًا طيبًا عطشت أسرع(٤)، ورأوا أن أجود المياه ماء المطر القاطر وقت صفاء الجو، يليه ماء العيون الشرقية، الحُرّة الأرض، التي لا يغلب على تربتها شيء من الأحوال والكيفيات الغريبة، البعيد المنبع، الذي خرج بشدة من أودية على مقابلة الشمال، المنحدر من عل المكشوف الذي يجري على الحصَى، ولم يمر ببطائح حتى لا يتلوث، متجهًا إلى الشرق أو الشمال ليقابل الشمس والهواء مدة طويلة، الذي يسخن سريعًا عند طلوع الشّمس عليه، ويبرد سريعًا عند غروبها عنه، وينحدر عن المعدة سريعًا بعد شربه، ويخفّف ثقل الطعام(٥)، ثم ماء الأرض الطينية التي لا حمأة فيها ولا سبخة(٦)، وهي أفضل من الحجرية؛ لأن الطين يُرَوِّقُ الماء وينقيه ويأخذ منه الممزوجات الغريبة، يليها ما كانت أرضه حجرية، ومياه الآبار والقنى بالقياس إلى ماء العيون رديئة؛ لأنها مياه خالطت الأرض مدة طويلة فهي لا تخلو من تعفين ما، والماء النّز(٧) أردأ من ماء البئر؛ لطول تردده في منافس الأرض المعفّنة ويتحرك إلى النبوع، والمياه الراكدة والآجامية رديئة ثقيلة، وأدركوا أن هناك عواملَ بيئية خارجيةً تؤثر في جودة الماء وتحيله للرداءة والفساد كطبيعة التربة، وحاله جريانًا وركودًا، وانكشافه واستتاره، ونقاء الهواء وتلوثه، يقول ابن سينا: إن المياه التي يخالطها جوهر معدني وما يجري مجراه، والمياه العلقية(٨) كلها رديئة(٩)، ويؤكد ذلك ابن سهل البلخي فيقول: إن المياه تتأثر بطبيعة منابعها فتكتسب كثيرًا من خصائصها، فما تنبع من أرض طيبةِ التربة عذبة تخرج طيبةً عذبةً، وما تخرج من أرض مالِحة أو كبريتية وما أشبه ذلك من الطعوم، فإنّها تقبل تلكَ الطعوم منها، كما أن الماء يتأثر بحال جريانه أو ركوده، كما يختلف الماء الظاهر على وجه الأرض عن الغائر في بطنها(١٠). ويقول ابن البيطار نقلًا عن ديسقوريدوس: تمييز الماء عسر لاختلاف الأماكن التي يكون فيها أو يمر بها واختلاف الهواء وأشياء أخر يتغير بها ليست بقليلة(١١).

فوائد الماء العذب ومضاره

من فوائد الماء العذب أنه يسهّل الغذاء ويرقّقه، ويذرقه إلى العروق، وينفذ بالفضلات إلى المخارج، ولا يستغنى عن معونته هذه في إتمام أمر الغذاء، والماء الجيد سريع الذهاب من البطن، ليست له نفخة، ولا يفسد(١٢)، مُهَرِّ لما طبخ فيه بسرعة، ويرى الرازي أنّ بالماء العذب يكون قوام رطوبات البدن والأعضاء الأصلية، وأنه يُكسب اللون نضارة، واللحم رُخُوصَة(١٣)، وأنه يبرد البدن ويرطبه، ويحذّر من الإقلال منه والتقصير فيه عن مقدار الحاجة؛ لأنه حينئذ سيجفف البدن، ويوهن جميع الشهوات، ويضعف البصر والحواس، ويسهر ويسرع بالهرم والذبول، كما يحذر من الإفراط فيه حتى لا يرهل البدن، ويبرد العصب، ويورث النسيان والرعشة، والماء العذب يضر بكميته أو بكيفيته أو باستعماله في غير وقته الواجب، فيكون ضارًا بكميته إذا شرب منه مقدار يمدّد المعدة تمديدًا شديدًا حتى تشتاق

النفس إلى القيئ، وضارًا بكيفيته حين يكون باردًا جدًّا يسيئ الهضم ويغثي النفس، أو حارًّا يفسد الهضم، وضارًّا باستعماله إذا استعمل في غير وقته، أو شُرب منه الكثير أثناء الطعام، ففي مثل هذه الحالة يسبح الطعام في وسط الماء ويمنع المعدة من الانقباض عليه(١٤)، كما أن المياه الراكدة والآجامية رديئة ثقيلة تولّد البلغم، ويتولد في شاربيها أطحلة(١٥)، وربما أصابهم الاستسقاء، ويعسر قيؤهم، وربما أصابتهم بعض الأمراض المعوية والصدرية، وتضعف أكبادهم، ويقل غذاؤهم، وتتولد فيهم الدوالي، ويعسر حبل النساء وولادتهن، ويلدن أجنّةً متورمين، ويكثر فيهم الحبل الكاذب، ويكثر بصبيانهم الأدرة(١٦). وما ذُكر من أضرار هذه المياه صحيح إلى حد بعيد، بل اللافت للنظر تعرفهم على انتقال الأمراض من الأمهات إلى الأجنّة التي تولد مريضة مشوهة.

المياه المعدنية فوائدها ومضارها وإصلاحها: وهذه المياه يُتَدَاوَى بأغلبها من خارج، ولا يصلح الكثير منها للشرب ولا للطبخ، ومن أنواعها: الماء الزفتي أو الكبريتي أو النفطي القاريّ: وهي مياه جرت على مواضع تحتوي على هذه المواد، أو نبعت من عيون مجاورة لها، وهذه تنفع من الأمراض الجلدية كالبهق والبرص والجرب والقوابي والثآليل المتعلقة وأورام المفاصل استحمامًا بها، كما تنفع من أوجاع العصب الباردة والاستسقاء جلوسًا فيها، ومن مضارها: أنها تجفّف وتسخّن وتضر بالعين وتحدث الحميات، ويصلحها ربوب الفواكه(١٧) الحامضة.

الماء الشّبّي: وهو الذي يجري على أرض تحتوي على مادة الشبّة(١٨)، وهو يمنع الإسقاط ونزف الحيض، ونفث الدم، والبواسير، ومن أضراره أنه يحدث القولنج، ويجفّف البدن، ويُتَدَارَكُ ضرره بالمرطبات والأشربة الحلوة.

الماء النطروني: هو الماء الذي يجري على معادن النطرون(١٩)، والنطرون هو البورق الأرمني، وهو يطلق الطبع.

الماء الزئبقي: هو النابع من معادن الزئبق، ويستعمل في الحكة والقمل.

الماء الحديدي: هو الذي ينبع من معادن الحديد، ويشرب فينفع الطّحَال والمعدة، ويحبس البطن، ويشد الأعضاء ويقويها.

الماء النّحاسي: هو النابع من معادن النحاس، وينفع الفم والأذن والطّحَال والمعدة ورطوبات البدن وفساد المَزاج، لكنه يحدث عسر البول.

الماء الفضّي: النابع من معادن الفضة، يبرد ويجفف باعتدال(٢٠).

والمياه الرخافية: وهي المياه التي فيها شيء من الطين الرقيق، تطلق البطن شربًا أو حقنًا بها أو جلوسًا فيها(٢١).

الماء الرّصَاصي: يولد القولنج ويحبس البول؛ لذا يجب أن يلحق بما يدره ويسهل البطن(٢٢).

إصلاح الماء الفاسد

للماء الصحيح لذةٌ ودَخَلٌ في تدبير الصحة إذا استعمل بشروطه وهي: ألايؤخذ قبل الهضم، وألا يستعمل الفاسد منه بلا مصلح، وإصلاح الماء الفاسد يكون بطبخه(٢٣) في آنية بحطب الطرفاء(٢٤)، لأن حطب الطرفاء ودخانه لهما خاصية في إصلاح الهواء والماء الفاسدين، ويطبخ الماء حتى يذهب منه الربع، ثم يرد في آنية مصنوعة من الخزف الرقيق المتخلخل الأجزاء الكثير الرشح، ويلقى فيه حال تبريده الطين الأرمني والطين الرومي المختوم(٢٥).

وطريقة تصفية الماء الكدر: إن كانت العوالق كالأتربة يلقى فيه اليسير من الشبّ الأبيض اليماني، أو يلقى فيه شيء من لُبّ نوى المشمش، أو قلوب اللوز المُرَمَّد(٢٦)، أو اليسير من ملح الطعام مدقوقًا، أو شيء من خشب الساج(٢٧)، فإلقاء أحدها في الماء ثم تحريكه جيدًا وتركه فترة زمنية يصفيه بروقه ويفصل العنصر الأرضي منه بسرعة(٢٨). كما يصلح الماء الفاسد بالتقطير الذي يعيد الرديء جيدًا لفصله المادة الكثيفة عنه، ومن اضطر إلى شرب الماء العفن فليمزجه برُبُوب الفواكه الحامضة، كرُبّ الرُّمّان والحِصْرِم والمِرْيَبَاس(٢٩)، وقد يُعالج الماء المالح ليعذب: بأن يصعّدَ بأنبيق وقَرْع(٣٠) كما يفعل بالورد، أو يوضع فيه إنَاءٌ كالأقداح من شَمْع؛ فإنه يرشح إليه من خارجه ماء عذب، أو يخلط بطين جيدًا، أو يخلط بسويق في جِرَارٍ جدد، ويُسْتَقْطَرُ(٣١).

استعمالات الماء الصيدلانية

استعمل الصيادلة الماء دواءً أو جزءًا من الدواء، أو عاملًا مساعدًا في تحضير وتركيب الدواء أو تناوله، فاستعمل الماء الحار والمالح والمعدني من الخارج في الحمامات العلاجية لعلاج العديد من الأمراض الجلدية كالجرب والحكة والقوابي والشقوق العارضة عن البرد، وتحلل الدم المنعقد تحت الجلد، واستعمل الماء المالح شربًا ليسهل، وحقنًا للمغص، واستعمل الماء المثلوج لقطع النزف، كما استعمل الماء الحار كمقيئ ومنظّف للمعدة عند تناول أحد الأدوية السامة، أو المواد الضارة كالنّورة والزيبروح(٣٢) وشرب الصابون، وأكل الضفادع الآجامية الخضراء(٣٣)، ودَنَب الإيّل(٣٤).

ومن استعمالات الماء الدوائية: استخدامه في غسل الأدوية وتنظيفها مما يعلق بها من الأتربة، أو نقعها لإذابة ما فيها من حِدّة أو حِرَافة، أو لطبخها أو سلقها لاستخلاص ما فيها من مواد فاعلة أو دهون كطبخ الخروع والأَمْلَج والبَانِ(٣٥)، أو لعجنها لسهولة تقريصها وتشكيلها، كما استعمل الماء كعامل مساعد في تناول جرعات الدواء، ويكون باردًا مع بعض الأدوية كالدردار وجوارشن الملوك(٣٦)، وحارًا مع بعضها كالككلانج والكنكرزد والكهربا وبعض السفوفات وجوارشن الكموني(٣٧)، وفاترًا مع البعض كالكبريت، واستعمل في اختبار الدواء لبيان جيده من مغشوشه كاستعماله في الإهليلج الكابلي(٣٨) ودهن البلسان، فما رسب في الماء فهو جيد، وما طفا فهو مغشوش، واستعمل في معرفة جودة خبز الفطير(٣٩)، فما لم يختمر عجينه يرسب في الماء، والمختمر يطفو، والمتوسط يتوسط في الماء.

إرشادات مائية للمسافرين

ولما كان السفر في الصحراء محفوفًا بالمخاطر لندرة المياه، أو لوجودها لكنها قد لا تكون ملائمة لطبيعة شاربيها، فقد أولى الأطباء هذا الأمر عنايتهم وكتبوا فصولًا إرشادية في كيفية توقي المسافرين مضرة المياه، ضمنوها العديد من النصائح والإرشادات والتحذيرات للحفاظ على صحتهم وحياتهم، ومما جاء في هذا المجال: على المسافر أن يدرك أن الماء يختلف باختلاف الأماكن، فعليه ترويق الماء وكثرة استرشاحه من الخزف المرشّاح وطبخه، والأفضل تقطيره بالتصعيد. ويمكن للمسافر أن يقطّر الماء بواسطة فتلة من الصوف يضع أحد طرفيها في الإناء المملوء بالماء والطرف الآخر في إناء فارغ فيقطر الماء من الصوف فيه، وإذا وجد المسافر الماء مُرًّا، عالجه بالطبخ وطرح فيه طينا حُرًّا لا رداءة له ثم يصفيه، وإذا كان مالحًا ولم يستطع تقطيره، مزجه بالخل والسكنجبين(٤٠)، ويلقي فيه الخرنوب وحب الآس والزعرور(٤١)، وإذا كان آجاميًّا مصحوبًا بعفونة، استعمل معه الفاكهة القابضة والبقول كالسفرجل(٤٢) والتفاح والريباس، وإذا كان غليظًا كدرًا تناول معه الثُّوم، ويمكن تصفيته بالشبّ اليماني، ويجب أن يشرب الماء من وراء فدام(٤٣) لئلا يجرع العَلَق، وإذا قلّ الماء ولم يوجد فيمكن شرب القليل منه ممزوجًا بالخل وخصوصًا صيفًا فهذا يغني عن الاستكثار منه(٤٤).

وهكذا أسهم الأطباء العرب بجهود لا تنكر في مجال الدراسات المائية الطبية، استطاعوا من خلالها تقديم معلومات طبية أدهشت كثيرًا من العلماء المحدثين كتأثير كثرة شرب الماء أثناء الأكل على سوء الهضم، والتعرف على كثير من العوامل المؤثرة في تلوث الماء، والأمراض الناجمة عنه وعلاجها، وتنقية المياه، وأن الأمهات اللاتي مرضن لتناولهن مياها ملوثة تنتقل منهن الأمراض إلى الأجنة التي تولد مشوهة، وغير ذلك؛ مما جعلهم محل تقدير وإجلال قديمًا وحديثًا.

الهوامش

١- هو ماء السمك المملوح.
٢- الماء وما ورد في شربه من آداب: محمود شكري (الألوسي)، تحقيق: محمد بهجة الأثري، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤٠٥/١٩٨٥: ٤ بتصرف.
٣- القانون: ١٠٣/١، ومنافع الأغذية ودفع مضارها: ١٠، ومنهاج البيان: ٧٤٧، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية: ٤٠٧/٤، وتذكرة أولي الألباب: ٢٨٦/١.
٤- المنصوري في الطب: الرازي، تحقيق: د. حازم البكري، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٨/١٩٨٧ : ١٢٧.
٥- منهاج البيان: ابن جزلة، تحقيق: د.محمود مهدي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣١/٢٠١٠: ٧٦٣.
٦- الحمأة: الطين الأسود المنتن. والسبخة: ذات الملح والنز.
٧- النز: ما تحلب من الأرض من ماء.
٨- المياه العلقية: هي مياه تولد بها دود كالعلق يتجرع مع الماء أثناء الشرب فيصيب الإنسان بالعديد من الأمراض.
٩- القانون: ابن سينا، تحقيق: إدوار القش، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، ١٤٠٨/١٩٨٧: ١٠٣/١.
١٠- مصالح الأبدان والأنفس: البلخي، تحقيق: د. محمود المصري، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥: ٣٥٢.
١١- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية: ابن البيطار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢/١٩٩٢: ٤٠٧/٤.
١٢- الجامع: ٤٠٧/٤
١٣- أي نَعم ولان ملمسه.
١٤- منافعَ الأغذية ودفع مضارها: الرازي، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى للمطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥: ١١.
١٥- يصاب الطحال فيهم بالأمراض.
١٦- الأدرة: فتق في إحدى الخصيتين. وانظر القانون:١٠٤/١.
١٧- الربوب: جمع رُبّ، يطلق على كل عصير قد كثف بالتبخير، أو بتجريد مائه فغلظ قوامه.
١٨- الشب: ملح أبيض شفاف متبلر اسمه الكيماوي: كبريتات الألمونيوم والبوتاسيوم. المعجم الوسيط: شبب.
١٩- النطرون: مادة تتكون من كربونات الصودا المخلوطة بالتراب وبعض الأملاح الأخرى.
٢٠- منهاج البيان: ٧٥٢.
٢١- المنصوري: ١٢٩.
٢٢- منافع الأغذية ودفع مضارها: ١٠.
٢٣- المراد بالطبخ الغليان.
٢٤- الطرفاء: بالمد واحدته طرفاءة وطرفة، وهي شجرة تنبت عند المياه القائمة، ولها ثمر شبيه بالزهر، وثمرها يسمى جزمزج. ينظر: الجامع: ٣ / ١٣٢.
٢٥- الطين الأرمني طين أحمر إلى الغبرة، أما الطين المختوم فهو هو طين يجلب من تل في لميون، وهو تل أحمر يخلو من النبات والحجارة، وليس فيه إلا التربة التي يعمل منها الطين، ويسميه البعض مغرة لمنية، واستخدمهما الأطباء في علاج العديد من الأمراض وقطع الزف شربا وطلاء. ينظر: منهاج البيان:٥٩٤، ٥٩٦.
٢٦- الذي يمل في الجمر.
٢٧- هو نوع من الشجر الضخم، خشبه أسود صلب يسمو كثيرًا، وفروعه طويلة ذات أوراق كثيرة، يستعمل طبيًّا في مداواة العديد من الأمراض كتحليل الأورام الصفراوية والدموية، ونشارة خشبه تخرج الدود من البطن بقوة. الجامع:٤/٣.
٢٨- مادة البقاء: التميمي المقدسي، تحقيق: يحيى الشعار، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٢٠/ ١٩٩٩: ١٩٠.
٢٩- المنهاج: ٧٦٤.
٣٠- إناءان موصولان بأنبوب يستعملان في التصعيد، يحوي أحدهما السائل وبغليانه يصعد بخاره ليكثف في الآخر.
٣١- الحصرم: هو غض العنب ما دام أخضر، وهو في الكرم بمنزلة البلح في النخل، والريباس: نبت يشبه السلق في أضلاعه وورقه، وطعمه حامض إلى حلاوة. المنهاج:٣١٧، ٤٣٨، ٧٦٦.
٣٢ - اليبروح: هو نبات مخدر منه ذكر وأنثى، الأنثى لونه أسود ثقيل الرائحة، ينبسط على وجه الأرض، وعند ورقه ثمر شبيه بالغبيراء، والذكر ورقه أبيض أملس كبار عريض شبيه بورق السلق. تذكرة أولي الألباب: ٤١٢/١.
٣٣- هي ضفادع تعيش بين الأشجار والأعشاب الملتفة المختلطة.
٣٤- يقول ابن جزلة: طرف ذنب الإبل من السموم القاتلة إذا شرب، وتورث قبل ذلك ألمًا شديدًا في الحشا وكربا وغشيا... المنهاج: ٥٧٢.
٣٥- الأملج: ثمرة سوداء تشبه عيون البقر، لها نوى مدور حاد الطرفين، وهو دواء قابض، مقو للأعضاء، والبان: شجر في طول نبات الأثل رخو الخشب، أخضر القضبان، ثمرته تشبه قرون اللوبيا، وحبه كحب الفستق. الجامع: ٧٥/١، ١٠٨.
٣٦- الدردار شجرة تعرف باسم شجرة البق لأنها تحمل تفاحات على شكل الحنظل مملوءة رطوبة، فإذا جفت خرج منها حشرة تشبه البق. الجامع: ٣٦٨/٢.
وجوارشن الملوك: دواء مركب، قيل سمي بذلك لأن الملوك كانوا يتداوون به من الناصور والسيلان والأبردة ووجع المفاصل والمداومة عليه تمنع الشيب، ويعرف بدواء السنة لأنه يؤخذ منه سنة كاملة فيصلح آخذه بقية عمره. المنهاج: ٢٧٥.
٣٧- الكلكلانج: معجون هندي ينفع من العديد من الأمراض. المنهاج: ٧٠٤، والكنكمرزد: هو الصمغ المستخرج من الكنكر «الحرشف» وهو مسيخ الطعم. ٧١٢، والكهربا: هو الكهرمان. وجوارش الكموني: دواء مركب من مواد عدة منها الكمون الكرماني. ٢٧٢.
٣٨- الإهليلج الكابلي: الإهليلج شجر ينبت في بلدان عدة كالهند والصين وكابل. الجامع: ٥٠٢/٤.
٣٩- هو الذي خبز قبل تمام تخميره. تاج العروس: فطر.
٤٠- السكنجبين: شراب مركب مواد عديدة أهمها الخل والعسل أو السكر. المنهاج: ٤٨٤.
٤١- الخرنوب قرون طوال مشتملة على حب أحمر صلب، يؤكل كثيرًا. الجامع: ٣١٧/٢، والآس شجر يكثر بأرض العرب، دائم الخضرة، زهرته بيضاء طيبة الرائحة، وثمرته سوداء تحلو إذا أينعت. السابق: ٣٧/١، والزعرور شجرة مشوكة، لها ثمر شبيه بالتفاح، لذيذ الطعم، في كل ثمرة ثلاث حبات. السابق: ٤٦٩/٢.
٤٢- السفرجل: ثمرة في حجم الرمان، صفراء اللون، شجرتها قدر شجرة التفاح، إلا أنها أعرض ورقًا، وأعقد عودًا. المنهاج: ٤٧٣.
٤٣- الفدام: مصفاة، أو قطعة من الحرير أو الليف تشد على فم الإناء لتصفي الماء.
٤٤- القانون: ١٦٩/١.

الدراسة الصوتية عند ابن الجزري.. المادة والمنهج

بلقاسم مكَريني - كاتب مغربي

مهما تنوعت مصنفات أبي الخير ابن الجزري (751هـ833-هـ) في مجال القراءات والتجويد، فإن كتابَيه «التمهيد في علم التجويد» و«النشر في القراءات العشر» يظلان أهم كتب المصنف، وأكثرها إحاطة وشمولًا للمادة الصوتية التي ضمتها كتب علماء القراءات والتجويد المتقدمين، والذين أفاد منهم أبو الخير الشيء الكثير.

ولقد تراوحت معظم مصنفاته الأخرى بين نظم أحد هذين الكتابين (طيبة النشر- المقدمة الجزرية)، أو اختصاره (تقريب النشر)، أو إجراء مقارنة بين كتب المتقدمين (التقييد في الخلف بين الشاطبية والتجريد- تحفة الإخوان في الخلف بين الشاطبية والعنوان)، أو الاقتصار على مسألة صوتية (تجويدية) أو قرائية واحدة (الإعلام في أحكام الإدغام-الاهتداء إلى معرفة الوقف

والابتداء).. هذا على مستوى مادتها ومضامينها، أما على مستوى توظيف المصطلحات الصوتية التجويدية فإننا نلاحظ كثافة استعمالها- بالضرورة- في هذه الكتب جميعها، مع تفاوت نسبي بين كتب القراءات التي يقل عدد مصطلحاتها الصوتية إذا ما قورنت بكتب التجويد ذات الطبيعة الصوتية الخالصة.

ولاشك أن كتاب «التمهيد في علم التجويد» يمثل قمة ما وصلت إليه جهود أبي الخير ابن الجزري في حقل الدراسة الصوتية، لاسيما ما يحتاج إليه مجود القرآن الكريم.. وإذا كانت الأبواب الخمسة الأولى من الكتاب تتناول بعض الأمور التمهيدية- كابتداعات بعض القراء في زمان المؤلف، وتحديد معنى التجويد والتحقيق والترتيل، وذكر قراءة الأئمة واختلافها، وبيان معنى اللحن في اللغة وغيرها- فإن الباب السادس يعرض قضايا صوتية خالصة مثل: «الكلام على الحركات والحروف»، وإن كان يُؤخذ على المصنف، في هذا الباب، خوضه في بعض القضايا التي لا طائل منها، كتخصيصه فصلًا كاملًا لمسألة اختلاف الناس في «الحروف» والحركات: أيهما قبل الآخر، أو لم يسبق أحدهما الآخر؟

ويخصص الباب السابع للحديث عن «ألقاب الحروف وعللها»(١)، وهو يميز بين «ألقاب» الأصوات و«صفاتها»، ويتتبع ألقاب الأصوات كما وردت عند الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) في أول كتاب «العين»، وكان يسوق تلك الألقاب والصفات والأصوات الموسومة بها، وعلة تسميتها كذلك على النحو الذي أورده الخليل وغيره من العلماء.

وحصر ألقاب الأصوات في عشرة هي: الحلقية واللهوية والشجْرية والأسلية والنّطْعية واللّثَوية والذلقية والشفهية والجوفية والهوائية، وهي تسميات منسوبة إلى المخارج التي تنتظم الأصوات المتصفة بها.

وأما الصفات الذاتية للأصوات فقد ذكر منها ما يربو على الثلاثين صفة وهي: المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمستفلة والصفيرية والهوائية والمُشْرَبة والمكررة والجرْسية والمُصْمَتة والمذْلَقة والمهتوفة والصُّتم و«حروف» القلقلة والإبدال والمد واللّين والعلة والتفخيم والإمالة والغُنّة والانحراف والاستطالة والتفَشّي وغيرها..

ولم يكن المؤلف ليغفل عن التعريف بمصطلحاته في كل حين، الأمر الذي يمكن القول معه إن كتاب «التمهيد» يُعتبَر في حد ذاته قاموسًا لأهم المصطلحات الصوتية- التجويدية لو توفرت له فقط بعض الشروط المنهجية المتصلة بعلم صناعة القواميس.

وأما كتاب «النشر في القراءات العشر» فعلى الرغم من اعتباره كتاب قراءات في المقام الأول فإنه لم يخل من مادة صوتية غزيرة، حيث قدم المؤلف وصفًا دقيقًا لأعضاء جهاز النطق، ووصف مخارج الأصوات اللغوية التي حصرها في سبعة عشر مخرجًا قدمها على الشكل التالي(٢):

المخرج الأول: الجوف، وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها.

المخرج الثاني: أقصى الحلق، وهو للهمزة والهاء.

المخرج الثالث: وسط الحلق، وهو للعين والحاء المهملتين.

المخرج الرابع: أدنى الحلق إلى الفم، وهو للغين والخاء.

المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك، وهو للقاف.

المخرج السادس: أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلًا وما يليه من الحنك، وهو للكاف.

المخرج السابع: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، للجيم والشين المعجمة والياء غير المدية.

المخرج الثامن: من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس، وهو للضاد المعجمة.

المخرج التاسع: من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، وهو للام.

المخرج العاشر: من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلًا، وهو للنون.

المخرج الحادي عشر: من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا، غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلًا، وهو للراء.

المخرج الثاني عشر: من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدًا إلى

جهة الحنك، وهو للأصوات النطعية (الطاء والدال والتاء).
المخرج الثالث عشر: من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى، وهو لأصوات الصفير أو الأصوات الأسلية (السين والصاد والزاي).
المخرج الرابع عشر: من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهو للأصوات اللثوية (الظاء والذال والثاء).
المخرج الخامس عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وهو للفاء.
المخرج السادس عشر: مما بين الشفتين، وهو للواو غير المدية والباء والميم.
المخرج السابع عشر: الخيشوم، وهو للغنة.

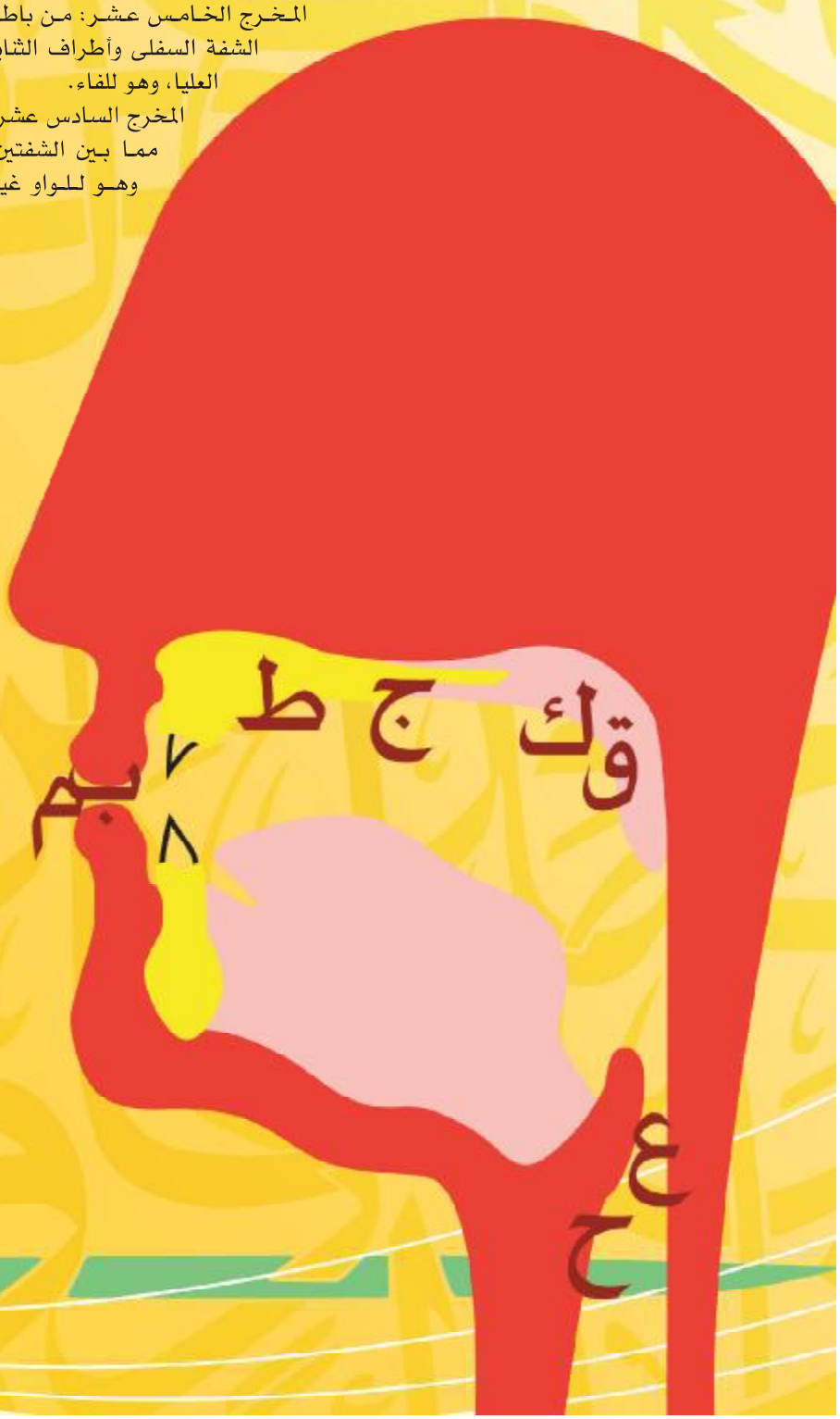

وذكر المصنف أن لبعض تلك الأصوات فروعًا نحو الهمزة المسهلة بين بين، وألِفَي الإمالة والتفخيم، والصاد المشممة وهي بين الصاد والزاي، واللام المفخمة.. ثم شرع في تعداد صفات الأصوات وألقابها(٣) ملتزمًا بما قرره كبار علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمون بخصوص تلك الصفات وتعريفها وحصر الأصوات الموسومة بها، فوجدناه يذكر من الصفات الجهر والهمس، حاصرًا الأصوات المهموسة في عشرة تجمعها عبارة « سكت فحثه شخص»، وعرف الهمس بأنه «الصوت الخفي.. فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الاعتماد عليه كان مهموسًا، وإذا منع الحرف النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد كان مجهورًا».
وذكر من الصفات الرخاوة والشدة والتوسط بينهما. والشدة ضد الرخاوة وهي «أجد قط بكت»، والمتوسطة في خمسة «لِنْ عُمَر».
ومن صفات الأصوات الاستفال، وضده الاستعلاء، والأصوات المستعلية سبعة (قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ). ومنها أصوات الإطباق أو الانطباق وهي أربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء) وضدها المنفتحة، ومنها أصوات الصفير (الأسلية) وهي (الصاد والسين والزاي)، وأصوات القلقلة (أو اللقلقة) وهي خمسة (القاف والطاء والباء والجيم والدال)، وأصوات المد وهي الجوفية أو الهوائية (الألف والواو والياء)، وصوتا اللين وهما الواو والياء، وصوتا الانحراف (اللام والراء)، وصوتا الغنة (النون والميم)، والصوت المكرر (الراء)، والمتفشي (الشين)، والمستطيل (الضاد).
كما قام المؤلف بتعريف بعض

المصطلحات والظواهر الصوتية- التجويدية والقرائية، كالتحقيق والحدر والتدوير والترتيل والوقف والابتداء والسكت، والتفخيم والترقيق والتغليظ، والإدغام والإخفاء والإظهار، والروم والإشمام، والمد ومراتبه، والهمز وتحقيقه وتسهيله، والإمالة وغيرها.

ومن تجليات عبقرية أبي الخير تمكّنُه من صياغة هذه الظواهر الصوتية- التجويدية والقرائية نظمًا؛ وذلك بغية تقريبها من طالبيها، وتسهيل أمر حفظها وتعليمها.. يقول مثلًا في وصف مخارج الأصوات(٤):

(مخارجُ الحروف) سبعةَ عشَرْ
على الذي يختارُه مَن اختَبَرْ
فالجوفُ للهاوي وأختَيْه وهي
حروفُ مدّ للهواء تنتهي
وقُلْ لأقصى الحلقِ همزٌ هاءُ
ثم لوَسْطه فعينٌ حاءُ
أدْناه غينٌ خاؤها والقاف
أقصى اللسانِ فوقُ ثم الكافُ
أسفلُ والوسْطُ فجيمُ الشينُ يا
والضادُ من حافته إذ وَليا
لأضراس من أيسرَ أو يمناها
واللامُ أدناها لمنتهاها
والنونُ من طرَفه تحت اجعلوا
والرّا يدانيه لظهر أدْخَلُ
والطّاءُ والدالُ وتا منه ومن
عُليا الثنايا والصفيرُ مُستَكِنْ
منه ومن فوقِ الثنايا السفلى
والظاءُ والذالُ وثا للعليا
من طرفيهما ومن بطن الشفهْ
فالفا معَ أطراف الثنايا المُشرِفهْ
للشفتين الواوُ باءٌ ميمُ
وغنّةٌ مخرجُها الخيشومُ

وبعد فراغه من بيان مخارج الأصوات أخذ في تعداد صفاتها مفصلًا مرة ومجملًا أخرى، يقول(٥):

(صفاتُها) جهرٌ ورخْوٌ مستفِلْ
منفتحٌ مصمَتةٌ والضّدّ قُلْ
مهموسُها (فحَثّه شخْصٌ سَكَتْ)
شديدُها لفظُ (أجِدْ قَطٍ بَكَتْ)
وبين رِخْوٍ والشديدِ (لِنْ عُمَرْ)
وسَبْعُ عُلْوٍ(خُصّ ضَغْطٍ قِظْ) حَصَرْ
و(صادٌ ضادُ طاءٌ ظاءٌ) مُطبِقهْ
و(فرّ منْ لُبِّ) الحروفُ المُذْلَقهْ
صفيرُها (صادٌ وزايٌ سينُ)
قلقلةٌ (قُطْبُ جَدٍ) واللّينُ
(واوٌ وياءٌ) سَكَناً وانفتحا
قبلَهما والانحرافُ صُحّحا
في(اللام والرا) وبتكريرٍ جُعِلْ
وللتفشي الشينُ ضادًا استَطِلْ

ولم يقف أبوالخير ابن الجزري عند حدود تناول هذه الظواهر وتعريفها وتطبيقها على آي الذكر الحكيم، بل وجدناه في العديد من المواقف والمناقشات يتحول إلى ناقد نافذ الرأي والبصيرة. يقول، مثلًا، وهو بصدد تعريف أصوات التفخيم (المستعلية): «.. وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولاشك أنها أقواها تفخيمًا، وزاد مكي عليها الألف وهو وهْم، فإن الألف تتبع ما قبلها فلا توصف بترقيق ولا تفخيم»(٦). أو قوله في باب ياء الكناية إن «سبط الخياط ذكر الإسكان عن حمزة بكماله وهو سهو»(٧). أو مناقشته اختلاف العلماء في مراتب المد الجائز حيث يقول: «وقد اختلفت العبارات في مقدار مده اختلافًا لا يمكن ضبطه ولا يصح جمعه، فقلّ من ذكر مرتبة لقارئ إلا وذكر غيرُه لذلك القارئ ما فوقها أو ما دونها، وهأنا أذكر ما جنحوا إليه وأثبت ما يمكن ضبطه من ذلك»(٨). وتصحيحه مفهوم «الإدراج» بأنه «الإسراع وهو ضد التحقيق، لا كما فهمه من لا فهم له من أن معناه الوصل الذي هو ضد الوقف»(٩).

وقوله في إبدال الهمزة ألفًا في ﴿هأنتم﴾ (النساء/١٠٩ ومحمد/٣٨).. عند ورش: «.. لا يبدلها ألفًا إلا ورش في أحد وجهيه، يعني أن عنده المد والقصر في حال كونه مخففًا بالبدل والتسهيل، إذا أبدل مد وإذا سهل قصر، وليس تحت هذا التأويل فائدة، وتعسفه ظاهر والله أعلم. وبالجملة فأكثر ما ذكر في وجهي كونها مبدلة من همزة أو هاء تنبيه تمحل وتعسف لا طائل تحته ولا فائدة فيه، ولا حاجة لتقدير كونها مبدلة أو غير مبدلة»(١٠).

وعبارات أخرى- يضيق المجال عن حصرها- تصل أحيانًا إلى حد التقريع والتجريح من نحو: كما ظن من لا اطلاع له على الروايات ومشهور القراءات(١١). وطعنه في تخريجات بعض كبار علماء العربية في أمور تتعلق باللغة والنحو، ولاسيما فيما جاء موصولًا خطا فالتبس أمره وكان التنبيه عليه ضروريًا وذلك «لتعرف أصول الكلمات وتفكيك بعضها من بعض، فقد يقع اشتباه بسبب الاتصال على بعض الفضلاء فكيف بغيرهم؟ فهذا إمام العربية أبوعبدالله بن مالك رحمه الله جعل «إلا» في قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ (التوبة: ٤٠) من أقسام إلا الاستثنائية، فجعلها كلمة واحدة، ذكر ذلك في شرح التسهيل، وذهل عن كونهما كلمتين: إن الشرطية، ولا النافية. والأخفش إمام النحو أعرب ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ (النساء: ١٨)، أن اللام لام الابتداء، والذين مبتدأ وأولئك الخبر. ورأيت أبا البقاء في إعرابه ذكره أيضًا. ولاشك أنه إعراب مستقيم لولا رسم المصاحف، فإنها كتبت: ولا، فهي لا النافية دخلت على (الذين). و(الذين) في موضع جر عطف على (الذين) في قوله: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾(النساء: ١٨)» (١٢).

ولقد تميز منهج ابن الجزري في دراسة الأصوات اللغوية بنوع من الشمول، حيث تناول مجمل المباحث

المتصلة بالإطار العام للدراسة الصوتية الخالصة والتي لم تختلط بما عداها، كما هو الشأن مع علماء العربية من نحاة ولغويين ممن كانت الدراسة الصوتية عندهم تتعلق بأغراض معجمية (الخليل) أو صرفية (سيبويه وظاهرة الإدغام). ويمكن إجمال طريقة تناول علماء التجويد للأصوات اللغوية في أربعة عناصر هي: معرفة مخارج الأصوات، ومعرفة صفاتها، وما يلحقها حال تركيبها، وأخيرًا إتقان النطق بها برياضة اللسان والتكرار.

يقول ابن الجزري في النشر: «أول ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعًا وسليقة، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج. كالهمزة والهاء اشتركا مخرجًا وانفتاحًا واستفالاً وانفردت الهمزة بالجهر والشدة. والعين والحاء اشتركا مخرجًا واستفالاً وانفتاحًا، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة..»(١٣). ويضيف: «فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب»(١٤).

ويعود أبوالخير فيقف بنا على حقيقة أخرى تبين لنا غرضًا آخر من أغراض دراسة أصوات اللغة العربية، ويتعلق الأمر هنا بذلك الاتجاه التعليمي الذي جعل علماء التجويد يسرعون إلى معالجة ما أسموه باللحن الخفي، وهو ما يطرأ على أصوات اللغة من خلل أو تقصير في النطق بها.. أو التلفظ بها دون توفيتها حقّها مخارجَ وصفات، ولاسيما حال استعمالها مركبة في السلسلة الكلامية. ويقابل اللحنَ الخفيّ لحنٌ جليّ، وهو ما يتصل بالأخطاء الظاهرة في الحركات نحو نصب فاعل أو رفع مفعول، وكان علماء التجويد يعتبرون هذا من شؤون علماء العربية من نحاة وصرفيين. وكان أبوالخير ابن الجزري يقول: «إن أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق بها هو إطلاق التفخيمات والتغليظات على طريق أَلِفَتْها الطباعات، تُلُقّيت من العجم، واعتادتها النبط واكتسبها بعض العرب، حيث لم يقفوا على الصواب ممن يُرجَع إلى علمه، ويوثق بفضله وفهمه، وإذا انتهى الحال إلى هذا فلابد من قانون صحيح يُرجَع إليه، وميزان مستقيم يعوّل عليه»(١٥).

الهوامش

١) انظر: التمهيد في علم التجويد لأبي الخير محمد بن الجزري (ت. البواب- مكتبة المعارف- ط.١- الرياض ١٩٨٥) ص٨٣ وما بعدها.

٢) النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن الجزري (مراجعة الضباع- دار الفكر- دون تاريخ) ١٩٩/١ وما بعدها. وقارن بالتمهيد ص١٠٥- ١٠٦.

٣) النشر١/٢٠٢ وما بعدها.

٤) شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأحمد بن الجزري (ت. الضباع- مكتبة البابي الحلبي- ط١- مصر١٩٥٠)- ص٢٧ وما بعدها.

٥) نفسه ص٣١ وما بعدها.

٦) النشر ٢٠٣/١.

٧) نفسه ٣٠٧/١.

٨) نفسه ٣١٩/١.

٩) نفسه ٣٩٢/١.

١٠) نفسه ٤٠٣/١.

١١) نفسه ٤١١/١.

١٢) نفسه ١٥٩/٢.

١٣) نفسه ٢١٤/١.

١٤) نفسه ٢١٤/١-٢١٥.

١٥) نفسه ٢١٥/١.

المرأة والحرية الفنية في القرآن الكريم

محمود سعيد
عضو اتحاد كتاب - مصر

الحقيقة التي لاتنكر أن الإسلام قد أنصف المرأة، لم ينصفها في جانب واحد وكفى، وإنما أنصفها في جوانب عديدة.. الأمر الذي يدل على أنه ليست مجرد عناية بالمرأة فحسب، وإنما هي ثورة تتناول جميع الجوانب وتلمس جميع الأوضاع، وتلك نقطة انطلاق هذه المقالة المتواضعة.

لقد أنصف القرآن المرأة من ناحية القوانين التي استنها... وأنصفها من ناحية المعاملات التي حث عليها، وأنصفها من نواح عدة تستطيع أن تراجعها في الكتب الكثيرة التي ألفت حول هذا الموضوع.

وكما أنصفها من جانب آخر هو أهم الجوانب دلالة على صدق هذه الثورة، إنه الجانب الأدبي.. إنه شخصية المرأة في قصص القرآن في إطار الحرية الفنية والتنوع في التناول. فلقد تحدث الباحثون عن النواحي الكثيرة

والمدهشة التي نهض فيها الإسلام بالمرأة، ولكنهم للأسف أغفلوا هذا الجانب الهام.

وظهور هذا الجانب في القصص القرآني، يدل على أن الاعتراف بشخصية المرأة أمر يسري في عروق الإسلام ويختلط بحناياه... فكثير من الدعوات دعت في قوانينها البارزة إلى احترام المرأة، ولكن هذه الدعوة لم تنعكس على نتاجها الأدبي ولم يكن لها رد فعل في آثارها الفنية، ولكن الإسلام طابق بين دعوته وبين نتاجه الأدبي، ولم تحدث تلك الهوة التي كثيراً ما تلاحظ بين الثورات وبين نتاجها الأدبي، إذ يتخلف الأدب عن مواكبة الركب الثوري، وتلك نقطة ملموسة في دول الربيع العربي حالياً.

والمتصفح لقصص القرآن يلاحظ أن إبراز شخصية المرأة يبدو في جانبين: الجانب الذي يتحدث عن المرأة كشخصية مستقلة، لها دورها الفعال وأثرها الواضح، والجانب الذي يعبر عن أدق مشاعر المرأة ويشف عن نفسيتها وعن كل ما فيها من جوانب وزوايا.

والإيمان بشخصية المرأة يبدو واضحاً في القصص القرآني حتى أن القرآن لايجد غضاضة في أن يسمي سورة كاملة باسم امرأة هي «مريم».

والإيمان بأن المرأة تساوي أخاها الرجل يظهر في قصة البشرية الأولى، فحواء خلقت من آدم وسكنا معاً الجنة، وكان خطاب الله لهما بألا يقربا الشجرة واحداً، ولم يخاطب آدم ليبلغ حواء وإنما جمعهما في ألف واحدة هي ألف التثنية دلالة على أنهما شيء واحد يمتزجان فيصيران كالألف الواحدة، ودلالة على أن حواء مسؤولة مسؤولية زوجه، فهي تقاسمه المسؤولية وتتحمل معه التكليف... ثم كانت الخطيئة الأولى.. ولم يذكر القرآن – كما ذكرت التوراة – أن حواء هي التي بدأت بالخطيئة ثم أغرت رجلها، بل جعل الخطيئة مشتركة بينهما «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا»، إن الخطيئة منهما سواء، كما أن المسئولية عليهما سواء. وبذلك خلص القرآن من الوصمة التي لحقتها منذ قديم، من أيام الأساطير الإغريقية التي ترى أن المرأة هي سبب الآلام والأحزان في العالم.

بيد أن القرآن لم يجار هذه الفكرة، بل أنقذ القرآن المرأة من فكرة استولت على الناس آلاف السنين وحررها من تلك النظرة الجائرة، فجعل الخطيئة منها ومن زوجها، وجعل المسئولية عليها وعلى رجلها. وانظر إلى القرآن حين يتحدث إلى آدم وزوجته، أو حين يتحدث عنهما فإنه يتحدث وكأنه يتحدث إلى شيء واحد «فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» ثم «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ»، وحين تتم الفعلة فإنها تتم منهما «فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا»، وحين يوجه الله العتاب لا يوجهه إلى واحد منهما بل يوجهه إليهما معاً «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ»، وحين يتوب آدم وحواء ويعترفان بالخطيئة فإن الله يتحدث عن ذلك بلسان واحد «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا».

وتبدو المساواة مرة أخرى في تلك اللمحة القرآنية الرائعة... فإبراهيم وزوجه قد بلغا من الكبر عتيا، وقد أراد الله أن يبشرهما بغلام حليم، وتتكرر قصة البشارة في القرآن أكثر من مرة، مرة يبشر فيها إبراهيم «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» وأخرى تبشر فيها زوجه «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ» وتكرار تلك الواقعة بهاتين الصورتين يدل على أن القرآن في قصصه يلجأ إلى نوع من الحرية الفنية في تناوله مسائل التاريخ إذ لا يتقيد بالحقيقة التاريخية وإنما يستبيح لنفسه ما يستبيحه في صوغ قصة تاريخية... بل إن هذا التكرار يدل على نظرة القرآن إلى المرأة وزوجها وعلى أنهما شيء واحد.

ولا يقف الأمر عند حد المساواة، بل إن للمرأة شخصية تستقل في بعض الأحيان عن شخصية زوجها؛ ففي بعض القصص القرآني تبرز لنا المرأة شخصية لا تسير في ركاب زوجها ولا تتساق في تياره، بل لها شخصيتها المستقلة التي تحرص عليها وتؤمن بها، ولها مبادئها التي تعتنقها وتدافع عنها، فقد ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ أنها لم تنسق في تيار زوجها ولم تجرفها حياته فصنعت لها حياة خاصة بها، وانظر إلى القرآن يحكي ذلك «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

وفي مقابل ذلك يضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، فقد بدا لكل واحدة منهما أن تشذ عن مبادئ زوجها وألا تسايره

في دعوته، «ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِّلذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ».

وفي سورة النمل تبدو لنا المرأة شخصية عظيمة، فهي تملك قوماً أولي قوة وأولي بأس شديد ولها عرش عظيم، وهي تتصف بروح الديمقراطية والشورى، فما أن يلقي الهدهد إليها كتاب سليمان حتى جمعت قومها وقالت لهم: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ»، وهي تتصف بالذكاء وسداد العقل فلم تندفع مع قومها حين ألقي إليها الكتاب فتعلن الحرب على سليمان، بل قالت قولة تدل على معرفة بمن يحيطون بها «قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ». ولعلها كانت تعرف أمر سليمان الذي سخر له الجن والريح وتعرف ماله من صولة وجولة فلجأت إلى الملاطفة والملاينة «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ».

وتلعب المرأة في قصة يوسف دوراً خطيراً، إذ كان لها في حياة هذا النبي أثر كبير، فحين لم تصل إلى رغبتها ولم يحقق لها يوسف أمنيتها لم تقف سلبية، وإنما صاحت بأسلوب يدل على التصميم والتهديد «وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ»، وفعلاً تم لها ما أرادت فقد استطاعت بما وهبته من أسلحة أن تلقي به في السجن بضع سنين.

وفي تلك القصص لا تجد المرأة عيباً في أن تشير إلى عواطفها وأن تلمح إلى رغبتها، فحين رغبت فتاة مدين في موسى عليه السلام لمحت إلى أبيها فقالت «قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» ولا غضاضة في أن يسعى الأب إلى تحقيق رغبة ابنته فإذا بأبيها يقول لموسى عقب الآية السابقة «قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ»، إن القرآن بتلك اللمحة العجيبة سبق الإنسانية بقرون كثيرة فقد كان لا يسمح للمرأة – حتى وقت متأخر – بأن تعبر عن عواطفها وتلمح إلى رغبتها، وكان ولي أمرها يجد ذلك رجساً وإثماً كبيراً تستحق المرأة بسببه العقاب والزجر، وهكذا نجد شخصية المرأة بارزة في القصص القرآني.

إن التاريخ يشهد أن المرأة في العصر الجاهلي كانت لها أدوار بارزة، فرقاش قادت قبيلة طي في غزواتها، وبهية بنت أوس الطائي رفضت أن يدخل بها زوجها الحارث بن عوف حتى يصلح بين عبس وذبيان، وقد انتسب بعض الشعراء إلى أمهاتهم مثل: شبيب بن البرصاء وابن ميادة والسليك بن السلكة، بل انتسب بعض القبائل إلى الأم مثل بجيلة وخندف وطهية، وعمرو بن كلثوم، وها هو عنترة لايخجل من أن أمه زبيبة العبدة... الخ.

وهكذا نجد للمرأة في القصص القرآني مكاناً فسيحاً، فبعض القصص يفسح للمرأة دوراً خطيراً... وبعضها يعبر عن أحاسيس المرأة وأدق شعورها.

ولا غرو فقد أعاد الإسلام للمرأة اعتبارها، على أنها إنسان يحس ويشعر، في شكل أدبي رفيع، وفي إطار فني يجمع ما بين الحرية والمسؤولية أو هي الحرية المسؤولة لا المسؤولية المتحررة.

الهوامش

١- عبدالحميد إبراهيم: في الأدب والنقد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

الصِّدِّيقيّة في القرآن الكريم

د. عبدالمنعم عبدالله حسن
باحث أكاديمي في اللغة

التخلّي عن مكارم الأخلاق، وحميد الصفات، ضعف في الهمة، والشخصية والذات، ونقص في المروءة، والشعور، والقيم.

والتحلّي برفيع الخُلق، وعليّ المحامد، قوة في العزيمة، والشخصية والإنسانية، وكمال في الفطرة، والسلوك، والمبادئ.

وإذا كانت صور الأخلاق متعددة، وشعبها كثيرة، فإن خلق الصدق يتصدر معالي الأخلاق، ويتسنم ذراها، إذ هو قرين الإيمان، وبرهان التُّقَى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

وإذا كان التحلي بمكارم الأخلاق قوة وكمالاً، فإن مادة الصدق في اللغة تحوي هذين المعنيين في أصلها الاشتقاقي وظلالها الدلالية، «فالصاد والدال والقاف – كما يقول ابن فارس – أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك: الصدق خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له وهو باطل، وأصل ذلك من قولهم: شيء صَدْق أي صلب، ورمح صَدْق» (١).

فالصدق قوة، كما أنه كمال، «فالصِّدْق: الكامل من كل شيء» (٢).

والقوة والكمال صلابة واستقامة، جاء في القاموس «والصَّدق: الصلب المستوى من الرماح والرجال والكامل من كل شيء» (٣).

فالصدق صفة تضفي على الصادق قوة في الحق، وصلابة في الموقف، وثباتًا في الرأي، وكمالاً في الصفات والمبادئ والقيم، واستقامة في المنهج.

إذا كان هذا في الصادق، فما بالك بالصِّدِّيق ؟

الصِّدِّيق.. بهذه الصيغة الدالة على الكثرة والوفرة، والدوام واللزوم، والمبالغة.. منزلة لا تُبلغ إلا بجهاد وصبر، ومراس ومثابرة، وتحرٍّ ومداومة، ومعايشة صادقة لمعاني الصدق وأجوائه، ودوران دائم في فلكه، وولوج صادق في أبوابه، وانطلاق مستقيم في دروبه، حيث قال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا» (٤).

إن في التعبير بـ «ما يزال» إيحاء بالاستمرار والمداومة والتعبير بـ «يصدق» فعلًا مضارعًا إيحاء بالتجدد والحدوث وكذلك «يتحرى» وفي دلالة التحري «القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول» (٥).

إنها تربية ومجاهدة ليصبح الصادق صِدِّيقًا، وليكون الصدق صديقيّة .

إن هذه الصّديقيّة أسمى مراتب الصدق، وأعلى رتبه، وأغلى درره، وأرفع درجاته، وأسنى آياته، إنها عالم راق من صفاء الفطرة، ونقاء الطبع، وطهارة السجيّة، ونصاعة الطويّة، وضياء السلوك، ونور اليقين.

فالصّديق من يُصدّق بكل أمر الله، وأمر النبي ﷺ لا يتخالجه شك في شيء (٦).

في سلوكه أمارات يقينه، وسمات اعتقاده، فهو مصاحب للصدق في جميع أموره، (فالصّدّيق): الملازم للصّدق(٧).

-الدائم التصديق، ويكون الذي يصدّق قوله بالعمل.. والصّدّيق: المصدّق (٨) «الكثير التصديق» (٩).

وقد عُرف بهذه الصفة في تاريخ الإسلام أبو بكر رضي الله عنه، وتأصلت فيه حتى لُقّب بها في الجاهلية، وفي الإسلام .

عُرف في الجاهلية بلقب الصدّيق، لأنه كان يتولى أمر الديات وينوب فيها عن قريش، فما تولاه من هذه الديات صدقته قريش فيه وقبلته، وما تولاه غيره خذلته، وترددت في قبوله وإمضائه.. وسمي في الإسلام بالصدّيق لأنه صدّق النبي عليه السلام في حديث الإسراء (١٠)، وفي كل ما جاء به ودعا إليه.

لقد غلبت صفة الصديقية على أبي بكر رضي الله عنه «حتى أوشك أن ينسى الناس اسمه الذي دعاه به أبواه» (١١).

وكانت السيدة عائشة تفخر بهذا اللقب لأبيها وتقول: «أبي ثاني اثنين الله ثالثهما، وأول من سُمي صدّيقًا» (١٢).

كما نالت هذا اللقلب، فهي الصّديقة بنت الصديق، «وكانوا يروون عنها الأحاديث، فيقولون: حدثتنا الصديقة بنت الصديق» (١٣).

فعن مسروق قال: «حدثتني الصّدّيقة بنت الصّدّيق، حبيبة حبيب الله، المبرأة: أن رسول ﷺ كان يصلي ركعتين بعد العصر فلم أكذّبها» (١٤).

وقد عنون الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده: مسند الصديقة عائشة بنت الصديق (١٥).

وفي القرآن الكريم وردت الصّديقيّة مقترنة بالصفوة من عباد الله في مواضع متعددة على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٦).

لقد وصف الله إدريس عليه السلام بصفة الصديقية «وهو أول من خط بالقلم» (١٦).

٢- قال تعالى: ﴿واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)

وأثنى الله على إبراهيم عليه السلام بهذه الصديقية، فقد كان (صدّيقا) والمراد فرط صدقه، وكثرة ما صدّق به من غيوب الله، وآياته، وكتبه، ورسله.. أي كان مصدقًا بجميع الأنبياء وكتبهم (١٧).

٣- قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ ﴿يوسف: ٤٦﴾

ويلقب يوسف عليه السلام بالصديق لكثرة صدقه، ويقال له: أيها الصّديق «أيها البليغ في الصدق، وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرّف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه» (١٨).

قال تعالى: ﴿مّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (المائدة ٧٥).

وإنما قيل لها صديقة لكثرة تصديقها بآيات ربها . وتصديقها ولدها فيما أخبرها به (١٩).

٥- قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء: ٦٩).

والصديقون هم الذين صدقوا في أقوالهم وسلوكهم، وصدّقوا ما جاءهم من الهدى وصدّقت أفعالُهم أقوالَهم، وقيل هم فضلاء أتباع الأنبياء الذين يسبقونهم إلى التصديق كأبي بكر الصديق (٢٠).

وإنّ ذكرهم بعد مرتبة الأنبياء مباشرة لدلالة على علو مكانتهم، ورفعة قدرهم.

٦- وقال تعالى:﴿وَالذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ (الحديد: ١٩)

والمؤمنون بالله ورسله، المصدقون بما بلغهم من الحق، هم الصّدّيقون، وقد أعد الله لهم من رفعة المنازل في الجنة، وعليّ الدرجات. فعنّ أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين » (٢١).

وهكذا.. ترتقي درجة الصديقية في معارج الأخلاق، ومراقي الكمال، ويرتقي الصديقون في رفيع الغرف، ودرجات الجنة.

الهوامش

١- مقاييس اللغة، لابن فارس (ص د ق).
٢- العين، للخليل بن أحمد (ص د ق).
٣- القاموس المحيط (ص د ق).
٤- رواه مسلم.
٥- لسان العرب (ح ر ي).
٦- العين (ص د ق).
٧- مقاييس اللغة (ص د ق).
٨- لسان العرب (ص د ق).
٩- القاموس المحيط (ص د ق).
١٠- عبقرية الصديق . عباس العقاد صـ ٩.
١١- الصديقة بنت الصديق . العقاد صـ ٤٩.
١٢- السابق صـ ٥٤.
١٣- السابق صـ ٥٠.
١٤- رواه الإمام أحمد.
١٥- مسند الإمام أحمد . مؤسسة الرسالة ٩/٤٠.
١٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٨/١١.
١٧- الكشاف ، للزمخشري ٢/ ٥١٠.
١٨- السابق ٢/ ٣٢٤.
١٩- الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٦٢.
٢٠- السابق ٥/ ١٧٦.
٢١- رواه مسلم.

الخبير بالبنك الدولي د. رامي تويج:

أدعو رجال الأعمال لتخصيص جزء من أرباحهم لدعم صغار المستثمرين

حوار: ياسر أبو العلا

أكد الخبير بالبنك الدولي الدكتور رامي كامل تويج أن الإلمام بالعمل الذي يعتزم الشاب البدء فيه هو الشرط الأول لنجاح المشروع الصغير، لافتًا إلى أن إعداد خطة العمل، واختيار الموقع المناسب، وتخصيص جانب كبير من رأس المال للدعاية والإعلان هي الخطوات الأولى التي يجب على شباب الأعمال القيام بها في حال تفكيرهم في إقامة مشروع صغير ناجح، وأشار إلى أن الدولة يقع عليها دور كبير في مساعدة المستثمرين في إجراء دراسات السوق واحتياجاته، والتوسع في إنشاء صناديق الدعم، والبحث في إنشاء صندوق بكل منطقة، وحث الشركات الكبرى ورجال الأعمال في المملكة على تخصيص جزء من الأرباح لدعم الشباب.

واستعرض الدكتور تويج كيفية التغلب على عدم قدرة الشباب المستثمرين على منافسة المشروعات الكبيرة، وكذلك الحيرة التي تنتاب هؤلاء المستثمرين الذين لا يتمكنون من إعداد دراسات الجدوى وخطط العمل، بالإضافة إلى شؤون أخرى تتعلق بالمشروعات الصغيرة تطالعها في سطور الحوار التالي:

ما أهم الشروط التي يجب توافرها في المستثمر الصغير حتى يكون قادرًا على بدء مشروع استثماري ناجح؟ وما الخطوات التي يجب أن يبدأ بها مشروعه؟

يجب على الشاب الذي يبدأ في افتتاح مشروع صغير أن تتوافر لديه مجموعة من الشروط حتى يكتب النجاح لمشروعه الاستثماري، ومن تلك الشروط: الإلمام بالمشروع الذي سيقيمه، فليس مقبولاً أن يفتتح الشاب عملاً لا يعرف أبجدياته، ولم يمارسه من قبل، لذلك يفضل أن يلتزم الشاب مع صاحب عمل مماثل للعمل الذي يرغب في اقتحام مجاله؛ حتى يتعلم منه كيف تكون إدارته، وأسراره، والمهارات اللازمة لإدارة هذا العمل. وهذا هو السبيل الأكثر جدوى لإتقان العمل ومعرفة أسلوبه وطريقته، كما ينبغي على المستثمر الصغير أن يقوم بإجراء دراسة لاحتياج السوق الذي يعتزم العمل من خلاله، بحيث يرفع الواقع، ويعرف الحاجات الضرورية التي تنقص السوق ليعمل فيها ويحاول تغطيتها عن طريق مشروعه الصغير.

وإذا أردت أن ألخص الخطوات التي يجب على الشاب أن يقوم بها قبل قيامه بمشروعه الصغير أستطيع القول أنها:

إعداد خطة عمل وتكون أهمّ بنودها الدراسة التسويقية للمشروع.

اختيار الموقع المناسب للقيام بالمشروع.

تخصيص جزء كبير من رأس المال للدعاية والإعلان.

مزاولة صاحب العمل للعمل بنفسه عند بداية النشاط.

تخصيص حساب بنكي خاص باسم مشروعه يطلع من خلاله على مصروفات وإيرادات مؤسسته.

دائمًا ما تواجه الشباب الذي يبدأ مشروعًا صغيرًا أزمة عدم التمكن من منافسة المشروعات الكبيرة.. كيف تواجه المشروعات الصغيرة هذه المنافسة غير المتكافئة؟ وهل ثمة دور للدولة في دعم تلك المشروعات؟

لا يستطيع المستثمر الصغير منافسة المشاريع الكبيرة؛ لكن يستطيع تكميلها أو تقديم منتجات لا تنتجها المشروعات الكبرى، عن طريق ابتكار منح أو خدمات لا يقدمها المشروع الكبير لعملائه، فمثلاً محلات البيتزا الضخمة تقدم منتجات مميزة ولكن أسعارها مرتفعة، وتعتبر الشريحة

المستهدفة لهذه المحلات هي أصحاب الدخل المرتفع، فيمكن للشاب أن يؤسس مطعم بيتزا منخفضة التكاليف، ويبيعها بسعر منخفض ويستهدف من خلال مطعمه أصحاب الدخل البسيط.

ولا شك أن على الدولة دورًا في مساعدة المستثمر على إيجاد هذه الفرص؛ عن طريق إجرائها لدراسات السوق واحتياجه، والتوسع في إنشاء صناديق الدعم، والبحث في إنشاء صندوق في كل منطقة، وحث الشركات الكبرى ورجال الأعمال في المملكة على تخصيص جزء من الأرباح لدعم الشباب. وفي مصر – مثلاً– تقوم إحدى شركات الاتصالات الكبرى بتوجيه التكاليف المخصصة للدعاية والإعلان إلى دعم الشباب.

قطاع المشروعات الصغيرة من أهم القطاعات التي يعتمد عليها النظام الاقتصادي العالمي في مواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية.. لماذا نلاحظ أن هناك أزمة في إقامة تلك المشروعات في المملكة رغم توافر عدد من الجهات التي تدعم هذا القطاع؟

تتشابه مشاكل المشروعات الصغيرة والمتوسطة – إلى حد كبير– في جميع الدول، ورغم أن الدول العربية تنعم – ولله الحمد – بالموارد الضخمة والعديد من الجهات الداعمة، إلا أن المشكلة تتلخص في بيروقراطية الإجـــراءات، التمويل، التسويق، العمالة، الاستعجال بالأرباح، خبرة صاحب المشروع، الدورات التطويرية في معرفة قراءة القوائم المالية وإدارة العمل بسلاسة، والقيادة الناجحة للمشروع، الأمر الذي يحتاج معه المستثمر إلى حضور الدورات والمؤتمرات والندوات في هذا المجال.

تعتبر دراسات الجدوى من الخطوات الرئيسة في إقامة أي مشروع.. ولكن ما زالت هناك مشروعات كثيرة يتم تنفيذها دون الالتزام بتلك الدراسات.. ألا ترى ضرورة تخصيص جهة معينة تقوم بتلك الدراسات لشباب المستثمرين مقابل مبالغ معقولة؟

أود أن أشير ردًّا على هذا السؤال إلى أن العوامل الرئيسة الثلاثة المؤهلة لنجاح المشروع هي: دراسة السوق، خطة العمل، وإجراء دارسة الجدوى، وهذه الدراسة ضرورية حتى لو كان المشروع متناهي الصغر، ولاشك أن تخصص جهة معنية تساعد الشباب على إنجاز هذه المهام شيء جيد، وهذا تمامًا ما نفذته دول مثل الهند والصين لتشجيع المشاريع الصغيرة في صورة حاضنات مساعدة.

إعداد خطة العمل، طريقة التعامل مع الأسواق، عناوين لبعض المهام التي يجب على المستثمر الصغير الالتزام بها.. كيف يتسنى لشباب الأعمال الوصول إلى تحديد هذه الأهداف؟

على الشاب أن يبحث عن الوسائل التي تعينه على اكتساب تلك المهارات، وهذا أمر ضروري لأنها مهارات أساسية لإدارة المشروع، وكم فشلت مشروعات لأن أصحابها كانت تنقصهم تلك الثقافة قبل افتتاح مشروعاتهم، وفي هذا الصدد أرى أن الغرف التجارية مطالبة بتطوير مراكز المشروعات الصغيرة، وتدريب أعضائها، بالإضافة إلى إنشاء وحدة تُعنى بتقديم الاستشارة للمشروعات القائمة والجديدة يقدمها خبراء وأكاديميون، وتقديم الدورات التطويرية في عدة مجالات، وإعداد وطباعة الكتب الإرشادية.

تعتبر واحدًا من الخبراء اللامعين في مجال التدريب.. فإلى أي مدى تعتبر الدورات التدريبية مفيدة لشباب الأعمال في توجيههم نحو إنشاء مشروع ناجح؟ وما الدورات الأهم التي يجب أن يحصل عليها المستثمر الصغير؟

مما لا شك فيه أن الدورات مفيدة جدًّا، وعلى درجة كبيرة من الأهمية خاصة بالنسبة للمستثمرين الصغار الذي يبدؤون خطواتهم الأولى في مجال المشروعات الصغيرة، فهي كفيلة بإكسابهم مجموعة كبيرة من المهارات الضرورية، وتوفير سنوات من الخبرة أمامهم في ساعات محدودة، وأشير هنا إلى أن العلم والمعرفة كانا من الأسباب الأهم في تقدم الهند والصين، وأعتقد أن الدورات التدريبية والتثقيفية أفضل الطرق وأقصرها لتأهيل المستثمر الصغير لدخول سوق العمل. ومن الدورات التي أقترح أن يحصل عليها أي راغب في افتتاح مشروع صغير: خطط الأعمال للمنشآت الصغيرة، كيفية التسويق، المهارات الشخصية: القيادة، التفويض، والتحضير.

قالت العرب في الأمثال

كافية الكبش- باحثة في اللغة

قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٣)، وقال أيضًا: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: ٢٤).

ومن عجائب الأمثال أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ موكل بما راع من اللفظ، وندر من المعنى، وأمثال العرب كثيرة، وإن وقعت عليها أشعارهم ومن تلاهم من المخضرمين والمحدثين، ولم يضبطها حصر.

وفي الأمثال الخامل النادر، والبعيد المغزى، والمعقد المعنى، والجافي اللفظ.. وإليك بعض الأمثال العربية:

أكلت يوم أكل الثور الأسود:

يضرب لرجل فقد ناصره، فلحقه الضيم من عدوه، وهو من أمثال كليلة ودمنة، وتمثل به سيدنا علي رضي الله عنه وعنى قتل عثمان رضي الله عنه، وأصله فيما ذكر صاحب كليلة أن ثورين أسود وأبيض كانا في بعض المروج، فكان الأسد إذا قصدهما تعاونا عليه فرداه، فخلا يوما بالأبيض وقال له: إن خليتني فأكلت الثور الأسود خلا لك مرعاك، وأعطيك عهدا ألا أطور بك- أي لا

أقربك- فخلاه والثور الأسود فأكله، ثم عطف عليه فافترسه فقال: إنما أكلت يوم أكل الثور الأسود.

رجع بخُفَّيْ حنين:
حنين إسكافي في الحيرة، ساومه أعرابي بخفين فاختلفا حتى أغضبه الأعرابي، فلما ارتحل ألقى أحد خفيه في طريق الأعرابي، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا بخف حنين! لو كان معه الآخر أخذته، ومضى فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، فلما مضى الأعرابي إلى الخف الأول وترك راحلته، عمد حنين إلى راحلته وما عليها وذهب بها، وأقبل الأعرابي ليس معه غير الخفين فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: جئتكم بخفي حنين، فصار مثلا.

هو أصدق من قطاة:
وذلك لأنها تقول: قطا قطا فاسمها من صوتها.. قال النابغة الذبياني:
تَدعو القَطَا وَبِه تدعو إذا انتسبت
يا صِدقَها حِينَ تدعوها فَتُنْتَسَبُ

أسألُ من فَلْحس:
وهو الذي يتحين طعام الناس، وهو الذي تسميه العامية الطفيلي. قال ابن حبيب: هو رجل من شيبان، كان سيدًا عزيزًا يسأل سهما في الجيش وهو في بيته فيعطى، فإذا أعطيه سأل لامرأته، فإذا أعطيه سأل لبعيره، وكان له ابن يقال له: زاهر، فكان مثله فقيل له: العصا من العصية.

إذا سَمِعْتَ بسُرَى القيْن فإنّه مُصبِّح:
يضرب مثلًا لرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه، وأصله أن القين، وهو الحداد إذا كسد عمله أشيع بارتحاله، وهو يريد الإقامة، وإنما يذكر الرحيل ليستعمله أهل الماء، ثم إذا صدق لم يصدق، ولأن من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن يعرف بالكذب لم يجز صدقه.. قال نهشل بن حري:
وعهد الغانيات كعهد قين
ونت عنه الجعائل مستذاق
كبرق لاح يعجب من رآه
ولا يغني الحوائم من لماق
ونت عنه الجعائل: أي قصرت فلم تبلغه، والجعائل هاهنا أجور عمله، والمستذاق هو المجرب.

إياك أعني واسمعي يا جارة:
المثل لسيار بن مال الفزاري، قاله لأخت حارثة بن لأم الطائي، وذلك أنه نزل بها، فنظر إلى بعض محاسنها فهويها، واستحيا أن يخبرها بذلك، فجعل يشبب بامرأة غيرها، فلما طال ذلك وضاق ذرعًا بما يجد وقف لها وقال:
كانَتْ لَنا مِنْ غَطْفانَ جارَه
حَلاّلَةٌ ظَعّانَةٌ سَيّارَه
كَأَنّها مِنْ هيئة وشاره
والحلي حلي التِّبْرِ وَالحِجارَه
مَدْفَعُ مَيْثاءَ إلى قَرارَه
إيّاكِ أَعْني فَاسْمَعي يا جارَه
ومعنى شبب بها قال فيها الغزل والنسيب.

أطرِّي فإنك ناعلة:
يضرب مثلًا للقوي على الأمر، وأصله أن رجلًا كانت له أمتان راعيتان إحداهما ناعلة والأخرى حافية، فقال للناعلة أطرِّي أي خذي طرر الوادي فإنك ذات نعلين، ودعي سرارته لصاحبتك فإنها حافية، وطرر الشيء: هو نواحيه وهو الغليظ من الأرض. قال أبوعبيدة: لم يكن هناك نعل وإنما أراد بالنعلين غلظ جلد قدميها، ومن هذا الكلام أخذ المتنبي قوله في كافور:
تعجبني رجلاك في النعل إنني
رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا

عند جهينة الخبر اليقين:
قال الأصمعي: وأصله أنّ جهينة هذا كان عنده علم رجل مقتول، وفيه يقول الشاعر:
تسائل عن أبيها كل ركب
وعند جفينة الخبر اليقين
قال: فسألوا جفينة فأخبرهم خبر القتيل.

وأما هشام بن الكلبي فقال: إنّه جهينة. وكان من حديثه أنّ حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج ومعه رجل من جهينة يقال له: الأخنس، فنزلا منزلًا، فقام الجهني إلى الكلابي فقتله وأخذ ماله، فكانت أخته صخرة بنت عمرو تبكيه في المواسم، فقال الأخنس الجهني فيها:

كصخرة إذ تسائل في مراح
وفي جرم وعلمها ظنون
تسأل عنّ حصيل كل راكب
وعند جهينة الخبر اليقين

مكره أخوك لا بطل:

ويقال: إن أصله كان بيهسا الذي يلقب نعامة حين قتل إخوته طلب بثأرهم، وكان له خال يكنى أبا حشر، فقال له: اخرج بنا إلى موضع كذا وكذا وكتمه ما يريد به، ثم مضى إلى الذين يطلبهم بالذحل- والذحل هو الثأر- فهجم به عليهم فجأة ثم قال: إيه أبا حشر، فلما رأى أبو حشر أنه قد نزلت به البلية جعل يذب عن نفسه ويقاتلهم، فقال الناس ما أشجعه! أقدم على هؤلاء، فعندها قال أبوحشر «مكره أخوك لا بطل» أي ليس هذا بالشجاعة مني.

مالي ذنب إلا ذنب صحر:

وأصله أن صحر هي امرأة لم يعرف الأصمعي من قصتها غير هذا. وكان المفضل يقتص حديثها يقول: هي صحر بنت لقمان العادي، وكان أبوها لقمان وأخوها لقيم خرجا مغيرين فأصابا إبلًا كثيرة، فسبق لقيم إلى منزله، فعمدت أخته صحر إلى جزور مما قدم به لقيم، فنحرتها وصنعت منها طعاما يكون معدا لأبيها إذا قدم، وقد كان لقمان حسد ابنه لقيمًا لتبريزه عليه، فلما قدم لقمان قدمت له صحر الطعام، وعلم أنه من غنيمة لقيم، فلطمها لطمة قضت عليها، فصارت عقوبتها مثلًا لكل من يعاقب ولا ذنب له.. وفيه يقول خفاف بن ندبة السلمي:

وعباس يدب لي المنايا
وما أذنبت إلا ذنب صحر

سمِّنْ كلبَكَ يأكلْك:

قال: كان لرجل من طسم كلب يسقيه اللبن، ويطعمه اللحم، وكان يأمل فيه أن يصيد به، وأن يحرسه، فظل الكلب على ذلك فجاع يومًا وفقد اللحم، فجاء إلى صاحبه فوثب عليه حتى قطعه وأكل من لحمه، وإياه عنى طرفة بن العبد بقوله:

ككلب طسم وقد تربيه
يعله بالحليب في الغلس
ظل علية يومًا يقرقره
إلاّ يلغ الدماء بنهس

الغلس ظلمة آخر الليل، والنهس القبض على اللحم ونتره.

بلغ السيل الزبى:

وهو أن يبلغ الأمر منتهاه، والزبية تحفر للأسد فيصاد فيها، وهي ركية بعيدة القعر، إذا وقع فيها لم يستطع الخروج منها لبعد قعرها، يحفرونها ثم يوضع عليها اللحم، وقد غموها بما لا يحمله فإذا أتى اللحم انهدم غماء الزبية ووقع فيها.

ذكرتني الطعن وكنت ناسيًا:

يضرب للشيء ينساه الإنسان وهو يحتاج إليه، قالوا: وأصله أن صخرا بن عمرو بن الشريد لقي أبا ثور ربيعة بن حوط الفقعسي في غزوة غزاها مع بني فقعس، وصخر في بني سليم فانكشفت بنو فقعس، فقال صخر لأبي ثور: ألق الرمح لا أم لك! قال: أو معي رمح ولا أدري! قال: ذكرتني الطعن وكنت ناسيًا، وكر عليه فطعنه، وهزمت بنو سليم.

ذكرني فوك حماري أهلي:

يضرب مثلًا للرجل يبصر الشيء فيذكر به حاجة كان قد نسيها، وأصله أن رجلًا خرج يطلب حمارين لأهله أضلهما، فمر على امرأة جميلة

المنتقب، فقعد يحادثها، ونسي حماريه لشغل قلبه بها، ثم سفرت فإذا أسنانها منكرة، فتذكر بها أسنان الحمار فانصرف عنها وقال: ذكرني فوك حماري أهلي. ونحوه قول الآخر:

سفرت فقلت لها: هج فتبرقعت
فذكرت حين تبرقعت ضبارا

عصا الجبان أطول:

وذلك أن الجبان يرى أن طول العصا أرهب لعدوه، وأبعد له من أذاه إذا قاومه، يضرب مثلًا لمن يهرب ويهدد، وليس عنده نكير. ولما كان يوم اليمامة رأى خالد بن الوليد رضي الله عنه أهلها خرجوا إلى المسلمين وقد جردوا سيوفهم قبل الدنو فقال لأصحابه: أبشروا فإن إبراز السلاح قبل اللقاء فشل، فسمعه مجاعة بن مرارة الحنفي وكان موثقًا عنده فقال: كلا أيها الأمير ولكنها الهنداوية، وهذه غداة باردة فخشوا تحطيمها، فأبرزوها للشمس لتلين متونها، فلما تدانى القوم قالوا: نعتذر إليك يا خالد. وذكروا مثل كلام مجاعة، ثم قاتلوا قتالًا شديدًا لم ير مثله.

كأنما أُفرغ عليه ذَنوب:

يضرب للرجل الذي ترميه بحجة تسكته، والذنوب: الدّلو، ولا تسمى ذنوبًا إلا أن تكون ملأى، وربما عني به النصيب. وفي القرآن ﴿ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم﴾ وقال الراجز:

إنا إذا شاربنا شريب
لنا ذنوب وله ذنوب
وإن أبى كان له الطبيب

لبست له جلد النمر:

معناه أظهرت له العداوة الشديدة، وجعلوا النمر مثلًا في ذلك؛ لأنه من أجرأ السباع وأشدها، وأقلها احتمالًا للضيم.

يقولون تنمرت له، أي صرت له مثل

النمر أوقع به ولا أحتمله.. قال عمرو بن معد يكرب:

قوم إذا لبسوا الحد
يد تنمروا حلقًا وقدا

من استرعى الذئب ظلم:

أي: من استرعى الذئب فقد وضع الأمانة في غير موضعها، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقالوا الذئب: اسم رجل وهو ابن أخ أكثم بن صيفي. قالوا: غزا أكثم فأسر الأقياس ونهيكا وأخذ أموالهم، ثم بدا له، وأراد إطلاقهم.. فدعا بني أخيه وهم ثلاثة، الكلب والسبع والذئب، فدفع الأقياس ونهيكا إلى الكلب، ووضع الأموال في يدي الذئب، وقال: إذا أطلقتهم فادفع إليهم أموالهم، فانطلق الكلب إلى الذئب فأخبره ألا يطلقهم وقبض الذئب الأموال، فبلغ ذلك أكثم فقال: نعم كلب في بؤس أهله، من استرعى الذئب ظلم.

نفس عصام سوَّدتْ عصامًا:

هو عصام بن شهبر الجرمي، وكان من أشد الناس بأسًا وأبينهم لسانًا، وأحزمهم رأيًا، وكان على جل أمر النعمان، ولم يكن في بيت من قومه أدنى منه فقال له رجل: كيف نزلت هذه المنزلة من الملك وأنت دنيء الأصل؟! فقال:

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والإقداما
وجعلته ملكًا هماما

والناس يقولون لمن يفخر بنفسه: عصامي، ولمن يفتخر بآبائه عظامي. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

يداك أوكتا وفوك نفخ:

يقال ذلك لمن يوقع نفسه في مكروه. وأصله أن رجلًا أراد أن يعبر نهرًا على سقاء، فلم ينفخها ولم يوكها على ما ينبغي، فلما توسط النهر انحل وكاؤها، فصاح الغرق! فقيل له: يداك أوكتا وفوك نفخ.. أي إنك من قبل نفسك أتيت، والوكاء: هو الخيط الذي يشد به رأس السقاء.

هذا وتبقى الأمثال نوعًا من العلم منفردًا بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه، ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها وكثرة معانيها، وجسيم عائداتها.

المراجع

١- جمهرة الأمثال، أبوهلال العسكري.
٢- الأمثال، مؤرج السدوسي.
٣- الأمثال، أبوعبيد.
٤- الأمثال، المفضل الضبي.
٥- الأمثال المولدة، أبوبكر الخوارزمي.
٦- لسان العرب، ابن منظور.
٧- تاج العروس من جوهر القاموس، مرتضى الزبيدي.

التصوير القرآني

د. علي صبح
كاتب مصري

أذهل القرآن الكريم عقول البشر، وتركهم في حيرة ومازالوا يرددون: هل الإعجاز في النسق العجيب؟ أم في النظم البديع؟ أم في الأسلوب الرفيع؟ أم في التصوير البياني؟ أم في التصوير الفني؟ أم في الفن القصصي؟ أم في كل ذلك؟ أم في غير ذلك؟ إن الإعجاز في «التصوير القرآني» لأنه ينبني على ما سبق، بل أكثر مما سبق. حين نزل القرآن الكريم، كان العرب قد بلغوا الغاية في فصاحة اللغة وبلاغتها، لذلك كانت معجزة الرسول ﷺ في لغة العرب، التي أفصح عنها القرآن في صورة أعجزت أهلها، وذلك أدعى الى إقناعهم وأجدر في رد إنكارهم لدعوة الإسلام، فيكون العجز عن المجاراة في لغتهم بمثابة البرهان الساطع والحجة القاطعة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(النساء: ١٦٥). لذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، بل عن الاتيان بآية من مثله، مع أن الله سبحانه وتعالى جعله ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ...﴾(الزمر: ٢٨)

تعددت الجوانب في إعجاز القرآن الكريم، فكان في مضمونه وشكله، وفي كل ما يتصل به، سواء أكان ذلك في موضوعاته المختلفة التي تتصل بالإخبار عن المغيبات، كالشأن في القصص القرآني، الذي يحكي أحوال الأمم السابقة مع الأنبياء والرسل، الذين بعثهم الله فيهم مبشرين ومنذرين، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين والمرسلين، وغيرها من القصص، مثل قصة أصحاب الجنة، وقصة الرجلين، وقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، وسوى ذلك.

أو كان الإعجاز في الموضوعات التي ستقع في المستقبل، مثل هزيمة الروم وفتح مكة، وانتصار الإسلام، وغير ذلك مما أخبر به الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ، بأنه سيقع في المستقبل القريب أو البعيد الى يوم القيامة.

أو كان الإعجاز في الموضوعات التي تتصل بالتشريع الإلهي لهذه الأمم، فتوضح العلاقة بين الخالق والمخلوق، وتنظم أسلوب المعاملة بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين أهله وعشيرته، وبين المجتمع الذي يعيش فيه ومجتمع آخر، وغيرها من التشريعات والنظم، مما يتناسب مع الأجيال والأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الاسراء:٩).

أو كان الإعجاز من حيث النظم العجيب، والأسلوب البديع، في ألفاظه التي وقعت في موقعها، متآخية مع جاراتها، ومنسجمة مع أخواتها، لأداء هذا المعنى، الذي يهز الأعماق، أو من حيث تصويره للمعاني تصويرا تلتقي فيه كل عناصر الإعجاز، في «التصوير القرآني» الرفيع.

وآثرت التعبير في جانب القرآن الكريم «بالتصوير القرآني» لتفرده بالإعجاز، فهو أسمى ما عرفه البلغاء على الإطلاق، فنسبة الشيء الى أصله أولى بجلال القرآن وقدسيته، من حيث مصدره الإلهي، دون غير ذلك من التعبيرات والأوصاف، التي يمكن أن يتصف بها التصوير في القرآن الكريم من المصطلحات الأدبية والنقدية والبلاغية، التي جرت على ألسنة الأدباء والنقاد والبلغاء، وآثروها دون غيرها، مما يتفق مع ذوقهم وإحساسهم، ويشخص مدى إعجابهم وانبهارهم بالاعجاز في التصوير البديع في القديم والحديث على السواء، مثل قول بعضهم: «التصوير الفني في القرآن الكريم» وقول بعضهم «الفن القصصي في القرآن الكريم» فالقرآن يسمو عن تصويره بكلمة «الفن» المستعملة مع العامة، ومثل قول بعضهم: «التصوير الأدبي» كأن القرآن نص أدبي من صنع البشر، وقول بعضهم: «البيان القرآني» وهذا أقرب الى الصواب من حيث النسبة إلى القرآن فقط، لا من حيث المراد، لأن البيان يمثل جانبا واحدا من جوانب التصوير القرآني العميق، وغير ذلك من الأوصاف التي جرت على الألسنة مما لا يتناسب مع جلال القرآن الكريم وقدسيته الربانية.

والقرآن الكريم حين خاطب العقل والشعور، والروح والقلب جميعا، خاطبها بأجلّ الوسائل في التعبير، فبهرها «بالتصوير القرآني» الذي تلتقي فيه كل روافد الإعجاز، ليكشف عنها أروع كشف في جلاء ووضوح، وإقناع وتأثير، والتصوير القرآني هو «إعجاز الإعجاز»، لأن التصوير بمعناه الواسع العميق يفيض بكل ذلك، فهو

المقال ورد إلينا منذ سنوات ولم ينشر

جسد وروح معا، لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا نقصد بالتصوير الصور التقليدية والجزئية، التي اقتصرت على ألوان البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، أو اقتصرت على اللفظ والعبارة، أو اقتصرت على النظم في علاقة الكلمة بالمعنى، دون الأبعاد النفسية والشعورية، التي يعلمها خالق النفس والشعور سبحانه وتعالى، وليس هذا هو المقصود بالتصوير القرآني، بل الأمر أعمق من كل ما سبق، وأرحب أفقًا، إن التصوير القرآني كائن حي خالد، يلتقي فيه ما اجتمع في الإنسان من كل وسائل الحياة، في ارتباط شكله بمضمونه جملة، وما وراء ذلك من مشاعر النفس وخوالجها وعواطفها والصدق فيها، وغير ذلك من عناصر التصوير، التي تملك زمام التأثير في النفس، وتدفع صاحبها إلى الاقتناع العقلي.

والتأثير والإقناع هما الغاية من الإعجاز في التصوير القرآني، وبهما تحول الوليد بن المغيرة من معاند فاتك إلى مهزوم ضعيف، يسترحم محمداً ﷺ، ويضع يده على فمه الشريف فزعا من الهلاك ويقول له: أمسك عليك يا ابن أخي ثم يذهب الى صناديد الكفر، الذين كانوا ينتظرون منه القضاء عليه، فإذا بالحق ينطق به قلبه وعقله، وينطلق على لسانه، ليجري مجرى المثل والحكمة، وإن كان المثل من كافر، وهذا أولى لأنهم قالوا: الفضل ما شهدت به الإعداء، قال الوليد بن المغيرة يصف الإبداع في التصوير القرآني، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن اعلاه لمثمر، وأن اسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه. وصدق الله العظيم اذ يقول:﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الحشر: ٢١).

وعلى سبيل المثال تأمل قول الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠-١١)، ستقف أمامها خاشعا مطرقا لجلال التصوير القرآني في نقل المشهد حيا كما هو، فأبرزت الآيتان الكريمتان عناصر التصوير في فرار الفتية من جبروت الملك في سبيل الله، وهم على خوف شديد، فشخصت السرعة في معناها ومبناها الموسيقي، فقوله تعالى: ﴿إذ﴾ يدل بمعناه الزماني ومبناه الصوتي على قصر الوقت الذي قطعه الفتية في البحث عن الكهف في سرعة خوفا من الوقوع في يد الطاغية، على العكس من كلمة «حين» التي قد تسدُّ مسدَّها في المعنى الزماني، فهي تدل على البطء وطول الوقت مما لا يتناسب مع المقام من السرعة، ودلالة «أوى» عليها أدق من دلالة «لجأ» حين توضع مكانها، فهي تدل على الوصول في تؤدة وتلكؤ.

ثم ما يوحيه لفظ «الفتية» من الشباب والنضارة، وتدفق البذل والكرم في نصر الحق، والصلابة والقوة في جانب الباطل، فموطن الغرابة فيهم أن ولايتهم في شبابهم، والشباب مرحلة الغواية والميل، ولكن تكون ولاية الشيخ الكبير مثار العجب، لذلك كان الشاب المستقيم من السبعة الذين سيظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل... وشاب نشأ في عبادة الله، ثم مما يدل عليه وزن «الفتية» من العدد، وهو دون العشرة، وهم كذلك، لأن العرب استعملت «فعلة» في جمع القلة.

وأما قوله تعالى: ﴿فضربنا﴾ فالفاء وحدها التي تدل في اللغة على الترتيب والتلاحق صورت سرعة استجابة الله لهم، حيث هيأ لهم كهفا يحفظهم فيه دلالة على ولايتهم، والولاية دون النبوة، لما في «الضرب» من معنى الإيذاء والعقاب، لفرارهم بدينهم، بينما الأنبياء لا يفرون، وإنما يواجهون الكفار في ثبات وإصرار، وتسليط «الضرب» على السمع أبلغ في النوم من تسليطه على العين، فقد تتناوم العينان، وصاحبهما يقظان، وإنما النائم الحقيقي هو الذي ضرب على سمعه لا بصره، وهكذا إذا ما تأملت ما في الآيتين من الحروف والألفاظ، لوجدت أن كل حرف ولفظ لا بديل له في التصوير القرآني فهو يفيض بمعان غزيرة، لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ. وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ. أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٧).

الأديب الناقد الطاهر مكي لـ «الوعي الإسلامي»:

حين تتوحد شعائر الأمة ستتوحد مشاعرها

حوار: نجاح إبراهيم منصور

يعد الناقد الدكتور: الطاهر مكي واحدًا من أكبر دارسي الأدب في الوطن العربي، له رصيده المعروف من الدراسات القيمة التي تتناول التراث، لعل أهمها «امرؤ القيس.. حياته وشعره» إلى جانب اهتماماته بالأدب المقارن والأدب الأندلسي على نحو خاص، فله في هذا المجال «بابلو نيرودا» و«ملحمة السيد» و«الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه». وصدر له كذلك «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن».. ويحاول فيه أن يلقي الضوء على الصلة بين آداب العالم الإسلامي وشعوبه؛ كالفارسي والتركي والأوردي والسواحيلي والهوسا.. وإليكم نص الحوار.

● ما رأيك في واقع الأدب العربي في الوقت الحالي؟

– حقيقة نحن نعيش على أدب أزمان خلت، حين كان العرب عربًا، أمّا ما يملأ الساحة الآن فضجيج فارغ، وطبل أجوف، وسراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.. وعلى المستوى النقدي فطغيان الهزيل على الإبداع الجيد لا يفرز إلاّ نقدًا مشوهًا.

● ما رأيك في القول والقائلين بموت القصيدة العمودية؟

– ليست هذه المرة الأولى التي تبهت فيها القصيدة العمودية، فهناك عصور طويلة وعديدة كانت فيها القصيدة متخاذلة، ومنها مرحلة ما قبل البارودي مثلًا، ولكن ما أن نهضت الأمة واستردت وعيها حتى كان من بين نهضتها الشاعر الذي يعلي فنها، فالشعر العمودي قد يبهت وتعيش أمتنا دون شعر ولا شعراء زمنًا؛ لأنها تعيش فترة ضياع، ولكنها حين تسترد ذاتها سوف تجد شاعرها كما وجدته في عصور خلت.

● ما رأيك في مستقبل القصة القصيرة في الأدب العربي؟ وهل يمكن للتطور أن يلغي الملامح الرئيسية لفن القصة القصيرة؟

– ما قلته عن الشعر أقوله عن القصة، لا فن بلا قواعد.. والقصة لها قواعدها إذا أردنا قصة حقيقية، أليس غريبًا أن كبار القصاصين هم الذين يبدعون القواعد، وأن الذين لا يزالون في خطاهم الأولى هم الذين يتجاوزونها جهلًا، فإذا واجهتهم ادعوا بأنهم أحرار في التجديد، ويبتدع ويترك ما وجد إلى ما يجب أن يوجد فلسفة ورغبة، أما من يفعل ذلك عجزًا فليس بمجدد ولا فنان.

● ما الأسس التي اخترت عليها المادة لمضاهاتها في مشروعك للأدب الإسلامي المقارن؟

– وجدت أن هناك قضايا إسلامية عرجت لها الشعوب الإسلامية، ولكن كل شعب كان يمتاح من ثقافته ويعكس مزاجه على هذه القضايا، مثل قضية المعراج في الأدب العربي والفارسي والتركي والألباني والأوردي والسواحيلي، فكل هذه الآداب عرضت لقصة المعراج وعدد كبير منها عرض لشيء من القصص القرآني، مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وبعضها تناول الأدب الشعبي مثل القصص المستمدة من ألف ليلة وليلة، وبعضها عرض لموضوعات من الأدب العربي مثل: شعر الأطلال ومجنون ليلى وكليلة ودمنة، وهناك التقاء حتى في تقنيات القصيدة العربية، فالعروض العربي هو أساس العروض الفارسي مع شيء بسيط من الزيادة في البحور أو النقص في بعضها، وهو أيضًا أساس العروض في الشعر التركي والأوردي والسواحيلي، كذلك هناك بعض الأحداث التاريخية التي تحولت إلى ملاحم إسلامية يدور حولها الشعراء مثل قصة مصرع «الحسين رضي الله عنه».

● لعل من أهم أدوار النقد الوقوف في وجه المستويات الهابطة، ويحاول أن يضعها في حجمها الصحيح.. فلماذا لا يقوم النقاد بهذا الدور؟

– ليس هناك أحد يحترم وقته وجهده يريد أن يهدر قواه فيما لا يفيد، أما السطحيون والتافهون فيكونون عصبة بالغة الخطر عظيمة الشر، وعلى من يتصدى لهم أن يعاني وأن يمضي وقته يدفع عداوتهم، هذا إلى جانب عدم وجود مجلة أدبية متخصصة ومحايدة وموضوعية تنشر لك ما تريده، حتى وإنْ أنفقت عليها الحكومة، ثم هي على أية حال محدودة التوزيع.. فما أهمية أن نكتب في مجلة يقتصر توزيعها على كتابها ومن يتوقعون أن ينشروا فيها مقالتهم؟!

● هل ترفض ما يسميه الحداثيون قصيدة النثر؟

– من حق أيّ أديب أن يبتدع ما شاء، على أن يكون واضحًا أنه يكتب شيئًا

الثقافة العربية هي أصل لثقافات شعوب العالم الإسلامي

الآداب الإسلامية غنية بالقيم.. ونقاط الالتقاء بينها وبين الأدب العربي بلا حدود!

جديدًا، وعليه أن يضع له اسمًا، وعلى محبيه من النقاد أن يبحثوا له عن قواعد نحتكم إليها عند تقييمه، أما سرقة الشعارات، وتسمية ما ليس شعرًا بشعر فهذا هو الخلط بعينه.. والذين يفعلون ذلك لا يثقون بأنفسهم، ومن هنا يستظلون برأي غيرهم. وحين وجد الأندلسيون- منذ ألف عام- أن أنغام الشعر التقليدي لا تلبي حاجاتهم في الطرب ابتدعوا فنًّا تتعدد فيه البحور داخل نظام محكم وقواعد معروفة، وسموه «الموشحات»، وهي جنس أدبي مختلف عن الشعر تمامًا، ولا يحل محله، وإنما تزامنا وتقاربا حوالي ألف عام، والعجيب أن الموشحات اختفت! بينما ظل الشعر التقليدي، وحينما كتبوا هذه الموشحات بلغتهم العامية اعتبروها فنًّا مستقلًا آخر وسموه «الزجل»، فهل عند الخارجين على قواعد الشعر اسم لفنهم الجديد؟!

● ما أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستك عن الأدب الاسلامي المقارن؟

– اكتشفت أن الآداب الإسلامية غنية وزاخرة في الشعر والنثر، وأن نقاط الالتقاء بينها وبين الأدب العربي بلا حدود؛ لأن العرب ولغتهم العربية، وهي لغة القرآن الكريم واللغة الوحيدة في العالم قديمه وحديثه التي نزل بها كتاب سماوي، عاشت ولم تنقرض كغيرها، وهذه اللغة تمثل أصلًا أساسيًا من أصول الثقافة في كل بلاد العالم الإسلامي، ولها مكانة في قلب كل مسلم، ومن هنا فإن دراسة آداب هذه الشعوب والتبصر بما بيننا وبينها يمكن أن يكون مركبًا فعالًا للوصول إلى قلوب أبنائها، ولكي نشد أبصارهم إلى لغتنا ويدركوا أن معرفتها إضافة وإضاءة للغتهم وآدابهم القومية.

● في الفترة الأخيرة نجد عناية واضحة بالجوانب الأدبية على الساحة الثقافية، فهل هذا يعتبر انتعاشًا للحياة الثقافية؟

– لا أظن أن العناية المتزايدة بالجوانب الأدبية تمثل انتعاشًا من كل الوجوه، بل يجب أن نميز بين الاعتبارات الأدبية والاعتبارات الثقافية العامة.. فالأدباء الآن يعنون باستمالة القارئ وبسط المسائل بسطًا عامًّا، وتحويل كثير من الاعتبارات إلى ما يشبه الإثارة.. هذا كله قد يفيد أحيانًا، لكن ظاهرة تفاقم الأدب تستحق النظر، وهي ظاهرة قديمة في تاريخ المجتمع العربي الحديث والقديم، وكثير جدًّا من القراء لا يسمعون عن كبار المثقفين الذين أسهموا مثلًا في حياة مصر من النواحي العلمية والعملية، فكلمة المثقف نفسها إذا أطلقت تبادرت إلى الذهن كلمة الأديب، وكأن الطبيب والقانوني والمهندس ليسوا مثقفين، فالمعالجة الأدبية طاغية وهذه العناية موروثة منذ زمن بعيد، ولكن الحياة المعاصرة لا تحتاج كثيرًا إلى هذه الروعة، ونحن نتناسى هنا أن قراء الأدب الخاص والعام يقلّون يومًا بعد يوم، ومن واجبنا إذن أن نقدر حاجة المجتمع إلى ثقافة علمية وعملية تعمق عقولنا ونفوسنا.

إن الثقافة العلمية لا تزال مع الأسف قشرة سطحية تزاحمها توجهات أدبية؛ لأنها أكثر يسرًا وأكثر شعبية، لكنها ليست دائمًا أكثر فائدة، فيجب أن تجرى دراسات ميدانية توضح احتياجات القراء الحقيقية؛ عسى ألا تكون هذه الاحتياجات في واد وكتابات الأدباء في واد آخر.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٦)

(من أخطاء التصحيف الناتجة عن الهمز والمد)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية – المغرب

ينبغي ألا نضع على أعيننا عصابًا يعمينا عما يحاك للعربية الفصحى في السِّر وفي العَلن من أبناء جلدتنا ومن غيرهم، ومن ثمة نهمل شجرة الفصحى يطَوِّحها الظمأ والهجر، فتبدأ أوراقها في التساقط أخوَلَ أخْولا مثل أوراق الخريف. بل علينا أن ندرك ـ كما سائر الأمم الحية ـ أن اللغة هي مفتاح لإصلاح عقولنا ومادة لتنمية أفكارنا وإكسير لإشباع حاجاتنا، ومن ثمة يعد امتلاك اللغة الصحيحة: التي تقوم بدور تمثيل أشياء الواقع، مثل امتلاك العُملة الصحيحة التي تُمكِّننا من أن نتاجر بها فنربح، ونتعلم بها فنعرف، ونصنع بها فنكسب، ونتواصل بها فنتبادل الأفكار الفاذة فنشبع ونرتقي. عندما ندرك ـ كما أدركت الأمم المتقدمة ـ أن سوء استخدام اللغة هو المسؤول عن كثير من عِللنا، فإننا من دون تَمَارٍ سنقيم الدليل الساطع على تثبيت سلطانً الصحة والسلامة اللغوية في كل ما نكتب وما نتلفظ به حتى تصبح الصحة عادة مركوزة في الطباع، كما كان أسلافنا من أمثال الكسائي الذي تعلم النحو على الكِبَر عندما نَبَّهَه قوم إلى خطئه لما جاءهم وقد أعيى، فقال: قد عييت، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن؟! قال: وكيف لَحَنْتُ؟ قالوا: إن كنتَ أردتَ من انقطاع الحيلة فقُلْ: عييت، وإن أردت من التعب فقل: أعييت. ومنذ تلك اللحظة سأل عمَّن يعلمه النحو.

هذا هو ديدن هذا العالِم وأمثاله في ذلك الزمن الذي تبدو فيه وسائل ومراكز التعليم والتعلم أبعد من بيض الأنوق، بل أبعد من مطلع الغَفْر والقمر، فهل سعينا نحن في زمن العولمة الذي أصبح فيه التعليم والتعلم منا على طرف الثُّمام، أن نطير في هذه الزاوية بطائرة تنجينا من خبل الكلام، وهل

أعددنا زُبر الحديد اللازمة التي تدرأ هذا السيل الجُراف الذي يقشر أديم العربية الفصحى، وهل استذرَعْنَا أُمَّات المعجمات لتمييز الصريح عن الرغوة في ما نتفوه به من الكلام الذي بزل فيه الفساد، وهل ركبنا البحر(١)، لمعرفة وظائف الترتيب والتركيب لعناصر اللغة، وما هي الضميمة التي تصلح لهذا العنصر اللغوي دون الآخر، وهل ألزمنا مؤسساتنا التعليمية وأساتيذنا وشُداتنا بالرجوع إلى كتب الإملاء ومقررات مجامعنا العلمية العربية التي تحدد القواعد والضوابط التي فُرِغ من أمرها منذ ما ينوف عن ألف عام؟

أسئلة كثيرة تجد جوابها البليغ في التصحيفات والتحريفات الإملائية المسؤولة عن سوء الفهم الناتج عن رسم الكلمة العربية على غير أركانها الوثيقة، حيث كان الأوائل يعُدُّون الخط لسان اليد، كما يتضح ذلك من تخصيص ابن قتيبة في كتابه «أدب الكاتب» فصلاً سماه: «كتاب تقويم اليد(٢) من الصفحة ١٨٢ إلى الصفحة ٢٣٧. كما كان الأوائل حُرُصًا على شكل وتحصين الكتابة عن التصحيف والتحريف من خلال إعجامها الذي يصونها عن استعجامها، وشكلها الذي يقيها من إشكالها، فقد أوثر عن حماد الراوية المشهور أنه قرأ هذه الآية القرآنية على هذه الشاكلة: «صنعة الله ومن أحسن من الله صنعة» بدل:﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾(البقرة: ١٣٨)، كما قرأ الآية ١٥٦ الواردة في سورة الأعراف هكذا: « ...قال عذابيَ أصيب به من أساء...» بدل قوله تعالى﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ...﴾(الأعراف:١٥٦) كما قرأ الآية رقم ١٢ الواردة في سورة الجاثية هكذا: «وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منَّة» بدل قوله تعالى:﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منْهُ﴾ هذه التصحيفات وغيرها هي التي حركت الهِمَمَ إلى إعجام الكتابة العربية وشكلها وصيانتها من تحريفات المحرِّفين على شاكلة قول أحد الشعراء:

وشكلتُهُ ونقطتُه فأمنْتُ مِنْ
تصحيفه ونجوْتُ من تحريفه
بُسْتانُ خَطٍّ غير أنَّ ثمارَه
لا تُجْتنَى إلاَّ بشَكل حروفه

إن الهمز والمَدَّ والتَّرقين والشكل بالحركات الخمس (الضمة والفتحة والكسرة والسكون ثم الشدة) يزيل ضروب الاحتمالات للكلمة الواحدة، ويحصر دلالتها لإفادة المعنى الواحد والوحيد، كما يتضح من الغلطة الآتية التي تقترفها غفلتنا وسهونا وأحيانا كسلنا اللغوي:

حان موعد آذان الظهر حسب توقيت مكة المكرمة.

هذا الخطأ التصحيفي الذي تطالعنا به بعض القنوات الفضائية في أثناء كل نداء للصلاة، خطب بازل لا يدرؤه إلا رأي قارح، يظهر الفرق بين الأذان للصلاة بهمزة القطع، وبين جمع الأذن، الحاسة المعروفة، آذان بالمَدِّ، كما يتجلى ذلك في الآيات القرآنية التي فرَّقت بلا امتراء بين الدلالتين. قال تعالى من سورة التوبة آية ٣: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر...﴾ كما قال من سورة الأعراف آية ٤٤: ﴿فأذَّن مؤذِّنٌ بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ وغيرها من الآيات التي تشير إلى أن الأذان بهمزة القطع هو الإعلام. قال ابن منظور المصري: « وآذن يُؤْذِن = إيذانًا، وأذَّن يؤذِّن تأذينا... والمشدد مخصوص في الاستعمال بإعلام وقت الصلاة(٣) أما الأذْنُ بالسكون على الذال المعجمة فهي من الحواس، جمع آذان بالمد. قال تعالى من سورة النساء آية ١١٩:﴿ولآمرنَّهم فلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام...﴾ وقال من سورة البقرة آية ١٩:﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ وغيرها من الآيات القرآنية التي تبين كيف يجعل الكفار في آذانهم وَقْرا لكي لا يسمعوا ما يُدعَوْن إليه من الإيمان بالله.

إذا كان البحتري يَعُدُّ شر الإساءة تكرارها على هذه الشاكلة:

لا تلحقَنَّ إلى الإساءة أختَهـــا
شرُّ الإساءة أن تُسيء مُعـــاودا

فإنني أدعو قنواتنا الفضائية التي تعيد هذه السوأة الصلعاء، إلى الإقلاع عن هذا الخطأ التصحيفي الذي يجعل الإعلام بالصلاة والنداء لها، كأنهم يقولون: حان موعد حواس السمع = الآذان. وهذا لعمري لا يقول به أحد ولا يرضى أن يسمع عنه مهما بلغ خبله! ولذلك يجب أن تستبدل تلك القنوات وغيرها بتلك الجريرة العبارة الآتية:

حان موعد أذان الظهر حسب توقيت مكة المكرمة. قال الشاعر السعودي القصيبي رحمة الله عليه:

حتى مآذننا جفَّ الأذان بهـــا
وصاحت القدس مَن يهدي لها عُمَـرا؟

هذه قبسة قابس غزوتُ منها التنبيه إلى الرجوع إلى كلمات القرآن الكريم التي تدق علينا أبواب المعرفة اللغوية السليمة، لأجل الإقلاع عن مثل تلك الخطآت القبيحة التي تظهر غفلتنا وكسلنا وتهاوننا في الاستمساك بالصحة اللغوية، إذ لو وقع مثل هذا الخطأ من أهل الحجاز قبل نزول الوحي، ولاسيما من قريش التي لا تهمز لكان الأمر هيِّنا، ذلك أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي ﷺ ما همزنا» (٤) أما وقد تكرر هذا الخطأ في قنواتنا، وفي لوحات مساجدنا حتى تكرَّجَ، فإنه يجب طرده ومحوه مما نكتب إلى غير رجعة.

الهوامش

١ ـ تعني عبارة «ركبت البحر» قراءة كتاب سيبويه المعرف بـ: (الكتاب)

٢ ـ أدب الكاتب – أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق وضبط وشرح العلامة محمد محيي الدين عبدالحميد –الطبعة الرابعة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣م م . السعادة بمصر.

٣ ـ لسان العرب. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري– المجلد ١٣– ص ١٢– ط ٣– ١٤١٤هـ ١٩٩٤م دار صادر بيروت.

٤ ـ قطوف أدبية. دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث– د. عبدالسلام محمد هارون– ص٥٤١– ط١– ١٤٠٩هـ نونبر ١٩٨٨م مكتبة السنة – القاهرة.

التبعية اللغوية.. وعقدة الإحساس بالدونية

إبراهيم متولي - كاتب صحفي مصري

التبعية انقياد للآخر، تتبعه حيثما توجه، دون تفكير في صحة ما يفعل أو خطئه.. التابع تسيطر عليه فكرة أن الآخر لا يخطئ وأنه على صواب دائم.. فرق كبير بين التبعية والاقتداء، الأولى تخلو من التفكير، والثانية تقوم على الإعجاب بجوانب معينة في المقتدى به، إضافة إلى أن الاقتداء ينتج عنه كيان قوي، لأنه قائم على انتقاء جوانب القوة في الآخرين، أما التبعية فإنها تتسم بغياب التفكير النقدي، والإحساس بالدونية، وأن السبيل إلى الارتقاء لا يكون إلا بتقليد الآخر، دون التفات إلى الظروف البيئية والمجتمعية المختلفة، نتيجة ضعف الثقة في الذات، وعدم تكليفها بالبحث عن جوانب الإبداع الكامنة فيها.. المشكلة تتلخص في الانبهار والتقليد فحسب، ما يدفعنا إلى تضخيم الآخر وتقزيم الذات، ولو أننا منحنا أنفسنا الفرصة، وأعدنا اكتشاف ما يكمن فيها من ثروات معطلة، لأمكننا أن نكون إضافة جديدة ومهمة للعالم، لأن الأقوياء في زماننا بل في كل زمان لا ينظرون إلى المسخ المشوه الذي لا يمثل إلا صورة باهتة ضعيفة، وإنما ينجذبون نحو الأصل القوي الذي يبهر الأبصار، يظهر فيه إبداع الصانع النابع من ذاته، وفهمه للهدف الذي من أجله صنع ما صنع.

نحن في عالمنا العربي منبهرون بالغرب، نحاول تقليده بشتى السبل، في جميع المجالات، لا نسأل أنفسنا: ما الفائدة التي جنيناها من تقليده؟ هل صرنا من الأمم المتقدمة؟ هل أضفنا إلى المنجزات التقنية شيئًا جديدًا؟ هل قدمنا نظريات علمية جديدة؟ هل حققنا إنجازًا يستحق أن يلفت إلينا أنظار العالم؟

التبعية اللغوية أسوأ أنواع التبعية التي لحقت بنا في السنوات الأخيرة، نترك ما يجمعنا نحن العرب إلى ما لا ينتمي إلينا، وطننا اسمه «الوطن العربي»، المشترك فيه أن أهله يتحدثون اللغة العربية، إن سلبنا عنه هذه الصفة صرنا بلا هوية، يتمزق الكيان ويضيع التاريخ المشترك.. باللغة يفكر الإنسان وبها يتواصل، لو فقدنا اللغة فقدنا التواصل، وتناثرت حبات العقد دون أن تجد من يلملمها مرة أخرى.

للتبعية اللغوية في سنواتنا الأخيرة مظاهر واضحة للعيان، لكننا غافلون عن أخطارها، وأتناول أبرزها في النقاط التالية:

١- **التعليم:** ظهرت في البلاد العربية التي تعرضت للاستعمار مدارس للجاليات الأجنبية، يجري التدريس فيها بلغة كل جالية.. كان هذا الوضع في ذلك الوقت طبيعيًا.

قاومت الشعوب العربية المحتلة محاولات الاستعمار عادت بلدان المغرب العربي إلى محاولة التدريس باللغة العربية، لكن في السنوات الأخيرة عمّ في بلدان الوطن العربي-ما استعمر

منها وما لم يستعمر- داء التدريس باللغة الأجنبية، سرى الداء بالتدريج في صورة مدارس اللغة التي بهرت الناس بالاعتناء بالتلاميذ واستخدام الوسائل الحديثة في توصيل المعلومات للطلاب.

صارت هذه المدارس وسيلة للتميز الطبقي، فمن يلتحق بها يحسب ضمن الطبقة المتميزة من المجتمع، وكلما زادت المصاريف الدراسية زاد التميز، أما من لم يلتحق بهذه المدارس فإنه يعد من طبقة أقل، يؤكد هذا الدكتور محمد بن أحمد الضبيب في كتابه «اللغة العربية في عصر العولمة»، مشيرًا إلى أن العرب العاملين في مجال التربية والتعليم لم ينظروا إلى «الآثار الخطيرة التي يسببها تعليم اللغة الأجنبية للصغار على انتماءاتهم الوطنية، فيكرس في نفوسهم الغضة التبعية للأجنبي والاستخفاف بكل ما هو عربي، وازدراء التراث العربي والتعلق بأنماط الثقافة الأجنبية الوافدة، وفي ذلك كله تعميق للهزيمة النفسية وتعويق عن النهوض، هذا إلى جانب أن كثيرًا من المدارس الخاصة التي انتهجت هذا النهج قد كونت نوعًا من الطبقية في المجتمع الواحد أدت إلى شروخ ثقافية في المجتمع وأسهمت في تفتيت وحدته». «مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ص٢٢».

لا يعني هذا نبذ اللغة الأجنبية في التعليم، وإنما وضعها في الموضع الصحيح الذي يتمثل في تعليم اللغة الأجنبية وليس التعليم بها، فالواقع أننا أحللنا اللغة الأجنبية محل لغتنا في تعليم العلوم التطبيقية، وتجري الآن محاولات لزحزحة اللغة العربية عن العلوم الإنسانية، كما يحدث في بعض الجامعات التي تخصص أقسامًا لتعليم التجارة والحقوق باللغة الإنجليزية، وهذه الأقسام تتطلب دفع مصاريف أعلى من الأقسام العربية، وينجذب الطلاب القادرون إليها، لأن الوسائل التعليمية فيها أفضل، بالإضافة إلى أن دفع المزيد من المصاريف يوحي بالتميز، وتتمثل خطورة الوضع في أنه مع مرور

الوضع الصحيح للغة الأجنبية تعلمها وليس التعليم بها وإحلالها محل لغتنا الأصلية!

الأيام وتوالي الأجيال تصير اللغة العربية غريبة بين أهلها، ويصبح العرب غير قادرين على التواصل مع ثقافتهم العربية التي تكونت على مدار آلاف السنين، بهذا يصيرون بلا هوية، لن يكونوا عربًا، لأن الانتماء إلى العرب في الأساس انتماء إلى لغتهم، وفي الوقت ذاته لن يكونوا جزءًا من أصحاب اللغة التي أتقنوها، بل سيكونون - فقط- تابعين، وهذا ما حدث للدول الفرانكفونية، فهي ناطقة بالفرنسية، لكن لا يستطيع أحد أن يدعي أنهم فرنسيون.

يؤكد الدكتور أحمد أبو زيد في كتابه «هوية الثقافة العربية» أن «اللغة ليست مجرد أصوات أو ألفاظ منطوقة أو كلمات مكتوبة، وإنما هي كيان متكامل من الفكر والوجدان والتراث والتاريخ والقيم الدينية والأخلاقية، كما أنها أداة اتصال وتواصل، ولذا فإن استبدال لغة أخرى بها فيه إهدار لكل هذه الأبعاد وانسلاخ المجتمع نفسه عن تاريخه وعن ماضيه وعن هويته الثقافية، كما قد يكون فيه إضعاف، بل وتضحية بعلاقاته الثقافية والفكرية مع الأقطار الأخرى التي تشترك معه في تلك اللغة، وفارق كبير جدًا بين أن يتعلم المرء اللغات الأجنبية لتكون وسيلة للتبادل الفكري مع الثقافات المختلفة، وبين أن يتبنى تلك اللغة لتكون هي أداته في التفكير والتعبير على حساب لغته الأصلية». (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٨٥).

من الغريب أن ينجرف العرب إلى التخلي عن لغتهم، بكل ما تحمله من تراث وتاريخ وثقافة، إضافة إلى ما تتميز به من ثراءٍ وسهولة.. كان من الواجب عليهم أن يطوروا لغتهم وينهضوا بها بدلًا من هدمها، يكفي أنها لغة حية تواصل بها أهلونا عبر القرون، وعنها نقل الأوروبيون الحضارة الإسلامية التي كانت سببًا قويًا في نهضتهم الحديثة.. اللغة العربية مليئة بوسائل الحياة والتطور، فهي لغة اشتقاقية، تسمح بتوليد الكلمات الجديدة، واستيعاب الكلمات من اللغات الأخرى في حالة الضرورة، إنها ليست لغة جامدة، لننظر ماذا فعلت إسرائيل، بعثت لغتها العبرية، وأحيتها من الموات، لتكون لغة للتخاطب ودراسة العلوم المختلفة، وإذا كانت العبرية استطاعت ذلك بعد مواتها، أفلا تستطيع العربية التعبير عن مصطلحات العلوم المختلفة؟ إننا نرتكب جرمًا كبيرًا إن تخلينا عن لغتنا العربية، لن يكون الجرم في حق أمتنا فحسب، وإنما سيكون في حق الإنسانية كلها، لأننا سنهدر جزءًا مهمًا من تاريخ الإنسانية.

٢- الأماكن العامة:

نلاحظ في دولنا العربية أنه عندما يتصل أحدنا بفندق أو شركة أو مستشفى، يأتينا صوت من يرد على المكالمة باللغة الأجنبية، ولا ينتقل إلى العربية إلا حينما يدرك أن المتصل عربي سواء كان من أبناء البلد أو من بلد عربي آخر.. هذا الوضع غير طبيعي، لأن المفترض أننا في بلد عربي، لغته العربية، لكن ما يحدث هو العكس، لأن هذه الأماكن تراعي الأجانب- سواء القادمين للعمل أو السياحة- أكثر من مراعاتها أبناء الوطن، وهذا لا يحدث في الدول الأخرى، لأنه يمثل تنازلًا عن مقوم من أهم مقومات الوطنية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد بن محمد الضبيب: «العيب فينا إن لم نتكلم اللغة الأجنبية، لا في الوافد الأجنبي الذي يفترض فيه أن يتعلم لغة البلاد التي يأتي إليها للعمل، كما يحدث في كل بلاد العالم، وهو أمر لا يحتاج إلى دليل فكل من قدر له السفر خارج المملكة «العربية السعودية» يدرك ذلك دون عناء كبير.. انظروا إلى العمال الأتراك في ألمانيا وهولندا، وإلى

العمال المغاربة في فرنسا وإسبانيا، وإلى العمال المصريين في النمسا، وإلى أجناس العمال المختلفة في أميركا، هل يخاطبهم المواطنون في هذه الدول بلغة غير لغة البلاد الرسمية؟ بل هل يجرؤ أحد من هؤلاء الوافدين أن يخاطب المواطنين بغير لغتهم الرسمية؟» (ص٥٦).

٣- لافتات الشوارع والمحلات: تقع أعيننا في أي بلد عربي على لافتات الشوارع المكتوبة باللغة الأجنبية، وعن كتابة أسماء المحلات باللغة الأجنبية حدث ولا حرج، في محاولة من أصحابها لإضفاء الصبغة الأجنبية عليها، ظنًّا منهم بأن هذا يجعل العميل يشعر برقي المحل أو المتجر، فتجد اللافتة تحمل اسمًا أجنبيًا بحروف أجنبية مثل Baby Care أي رعاية الطفل، أو اسمًا أجنبيًا بحروف عربية مثل "جولدن فنجرز" أي الأصابع الذهبية، أو الأسهم العربي بحروف أجنبية، مثل كلمة «بدر» التي يكتبها البعض Badr ، ويحدث هذا رغم أن الأغلبية العظمى من العرب لا يتقنون اللغة الأجنبية.

يرى الدكتور كمال بشر في كتابة «خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة» أن ما يحدث له أسباب، من أهمها «عامل نفسي ينزع إلى سلوك قديم من تفضيل الأجنبي، بتصور تفوقه وامتيازه في سلوكه وإنتاجه وسلعه وأدواته، ومن ثم يلجأ رجال الأعمال والتجار وأضرابهم من الناس إلى إطلاق الأسماء الأجنبية على شركاتهم ومحلاتهم، وجذبًا للعامة وإغراءً لهم، أو قل تضليلًا وتمويهًا، وقد نسي هؤلاء وأولئك أن هذا الأسلوب يؤدي في النهاية إلى تعميق فكرة «الفوقية» لكل ما هو أجنبي، وفكرة «الدونية» لكل ما هو قومي، لا في مجال الأمور المادية والاستهلاكية وحدها، بل قد يمتد أثره إلى مجال الفكر والقيم والعادات». يضيف: «وقد انضم إلى هذا العامل النفسي الموروث، منذ سيطرة الجو الأجنبي التركي والإنجليزي، عامل آخر صنعناه بأنفسنا وأفسحنا نحن له الطريق ليستقر بيننا آمنًا مطمئنًا.. ذلك أن موجة «الانفتاح» الاقتصادي وما جرته أو واكبها من قوانين استثمار رأس المال الأجنبي قد أتاحت فرصة ذهبية وفتحت الباب على مصراعيه للشركات الأجنبية ذات الجنسيات المختلفة التي حملت معها لغاتها وأسماءها، الأمر الذي أغرى غير العارفين بالسير على دربهم واتباع سبيلهم بتسمية شركاتهم ومحلاتهم الوطنية والإعلان عنها بلغات أجنبية خالصة أو بكلمات أجنبية مسخت مسخًا بكتابتها بالحروف العربية، وقد فعلوا هذا إما لمجرد التقليد وإما بقصد الادعاء بأن بضائعهم ومنتجاتهم أو أعمالهم ومشاريعهم لا تقل في الجودة أو الامتياز والدقة عما أتى به هذا الوافد الغريب أو هي هي، إن لم تفقها أو تفضلها». «دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩٥م، ص١٧٨».

وقفة:

ما ذكرناه يمثل بعض مظاهر التبعية اللغوية في وطننا العربي، وهناك مظاهر أخرى ، منها كتابة لافتات المؤتمرات باللغة الأجنبية حين يشارك فيها وفود من بلدان غربية، وإن كتبت عناوين المؤتمرات بالعربية فإنها تأتي أسفل العنوان المكتوب باللغة الأجنبية، وبحجم خط أصغر من المكتوب باللغة الأجنبية، ولن نجد مثيلًا لهذا في دول الغرب، ففي المؤتمرات التي تذهب إليها وفود عربية لا تحدث معاملة بالمثل بكتابة لافتات بالعربية، ولو افترضنا حدوث هذا فإن اللغة العربية لن تتقدم على اللغة الأجنبية.. الدول التي تعتز بنفسها تحترم لغتها، وهذا ما نجده في دولة زُرعت في أرضنا العربية غصبًا هي إسرائيل التي تحترم لغتها التي أحيتها بعد اندثار، ففي مؤتمراتها نجد اللغة العبرية مقدمة على أية لغة أخرى، وإن كتبت الإنجليزية في لافتة مؤتمر فإنها تأتي أسفل العبرية وبحجم خط أصغر.

ومن مظاهر التبعية اللغوية تضمين الكلام العربي كلمات أجنبية، في محاولة للتميز، فيأتي الكلام مسخًا مشوهًا، وهو تصرف لا نجده في الدول المتقدمة، والسبب أننا نشعر بالدونية وبتفوق الآخر الغربي علينا، وهذا هو طابع المغلوب، يحاول أن يقلد المنتصر.

عذرًا يا أبا الزهراء

رفعت بروبي- شاعر

نقدم كل أعذار
إلى من جاء بالرحمات للناس
إلى من جاء بالفرقان
مبعوثًا ليهدي الناس للحق
نقدم كل أعذار
فعذرًا يا أبا الزهراء قد جفت
مآقينا
وقد جرحت حناجرنا وقد طويت
صحائفنا
فما عدنا كمثل الأمس نخطر في
ثياب التيه
تناوشنا ذئاب الغرب بالأفلام،
بالإعلام تغرس حقدها فينا
لكم خدشت مشاعرنا وكم جرحت
أمانينا
وجاء الحاقد الموتور يعمل سيفه فينا
وراح يبثا صورًا أساءت للنبيينا
فبئس رسومه الشنعاء، بئس رسومه
النكراء
فعذرًا يا أبا الزهراء ما امتلكت
حناجرنا سوى الكلمات نلقيها
سوى الآهات نرسلها، سوى
الحسرات تدمينا
سوى دمعاتنا الحرَّى
لتجري في مآقينا، تؤرق ليلنا زمنًا
وتعلن أن أمتنا تناثر عقدها حينا
وأغرقنا بآفات تخدر عقل أمتنا
وقد غابت ضمائرنا وضعنا في رحى
الأيام ننهش لحم إخوتنا
ونسرق خبزهم حينا وأدمنا تجافينا
وباركنا تخاذلنا فضاع المسجد
الأقصى!
أضعنا حقنا لما تشرذمنا، تفرقنا،
تقاعس سيفنا زمنا
وأدمنا تخاذلنا، فألبسنا ثياب هوان
وضاعت في مدى الأزمان هيبتنا
وحاربنا ذئابَ الغرب بالأقلام،
بالإعلام
تكسّر رمحنا لما تناسينا كتاب الله،
أهملنا تراث الأمس
بعثر في روابينا
أضعنا سيفنا البتار في أرجاء وادينا
فجرعنا كؤوس الذل أنواعًا وألوانا
ورحنا نرقب القعقاع يخطر في
نواحينا
ورحنا نرقب الخطاب يعلن في
مساجدنا بداية صحوة كبرى
ليعلي راية الإسلام خفاقة
فعذرا يا أبا الزهراء قد تاهت
جيوش الحق
قد ضاعت أمانينا
فما عدنا كمثل الأمس نخطر في
ثياب التيه
إلى من جاء بالفرقان مبعوثا ليهدي
الناس للحق
نقدم كل أعذار
فعذرا يا رسول الله
قد جفت مآقينا.

ثورة على المستشرقين والاسـ

علم الشرق.. من طه حسين إلى إدوارد سعيد ودوراكوفيتش

عرض : خالد عزب - باحث مصري

الكتاب: علم الشرق
المؤلف: أسعد دوراكوفيتش
الناشر: البابطين- الكويت ٢٠١٠
المترجم: عدنان حسن
عدد الصفحات: ٣٨٤
الحجم: ٢٤×١٧

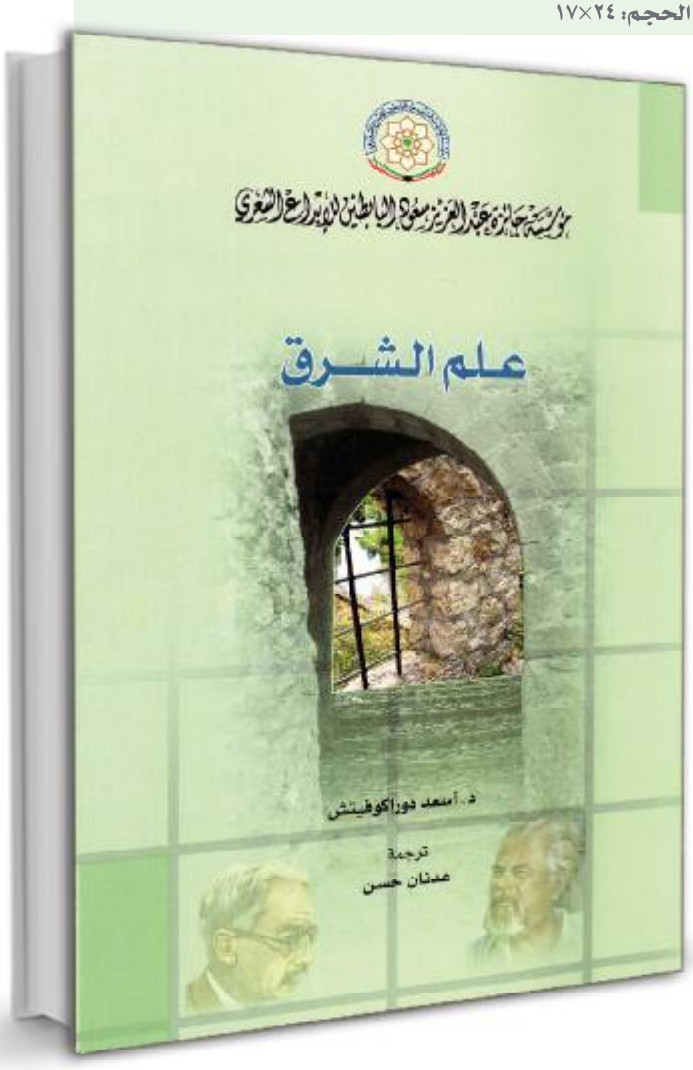

صدر عن مؤسسة البابطين كتاب «علم الشرق» للعالم البوسني أسعد دوراكوفيتش وترجمه إلى العربية عدنان حسن.. هذا الكتاب هو إلى حد كبير وبشكل جوهري عن شعرية الأدب العربي القديم، مع ذلك فإن البحث المتساوق لهذه المنظومة الهائلة استتبع دراسة بعض المظاهر الأخرى من الروحانية الإسلامية الشرقية أيضًا، وبالدرجة الأولى تلك المسلمات الشعرية التي يمكن التعرف عليها في الفنون الإسلامية الشرقية عمومًا، كمبادئ الإبداعية في منظومة مؤثرة تمتد، على السلم التاريخي، من الشعر العربي الجاهلي إلى نهضة القرن الثامن عشر، وفي «البعد المكاني»، من الشعر نفسه في الجزيرة العربية القديمة إلى المؤلفين البوسنيين في اللغات الشرقية في القرون الخامس عشر أو السادس عشر أو السابع عشر.

يرى المؤلف أن الأدب العربي القديم هو مملكة الشعر، فقد ظهرت الأشكال الأدبية النثرية في وقت متأخر نوعًا ما، لذلك حتى في يومنا هذا ليس مفاجئًا أن اللغة العربية لا تمتلك مصطلحًا آخر لـ Poetics سوى فن الشعر. من الطبيعي أن تكون هذه الحقيقة قد أثرت على مضمون كتابه، فهو يقوم على شعرية الشعر العربي القديم الذي يشمل عصر الكلاسيكية، الذي تطلق عليه تسمية غير ملائمة من قبل المؤرخين الأدبيين.

تشراق ودراسات الأدب العربي

في الواقع كانت مشكلة تحقيب الأدب العربي هي التي حضت المؤلف على إنتاج هذا الكتاب. في الوطن العربي، كما في الدراسات الشرقية عمومًا، لم يكن ثمة أي تحقيب متأصل؛ بل تحقيب مشتق من العصور السياسية في تاريخ الوطن العربي- الإسلامي (الأدب الأموي، الأدب العباسي... الخ) ومسمى وفقًا لها. توحي هذه المقاربة بأن الأدب العربي، كونه قد تطور على أرض شاسعة على مدى قرون، لا يعامل في شكل متأصل وكمنظومة، بل بالأحرى يجزّأ إلى حقب منفصلة لا تكشف شيئًا عن الأدب نفسه.

خلال ثلاثة عقود من دراسة المؤلف للأدب العربي كأستاذ جامعي، كان دائمًا مستاء بشدة من مقاربات الأدب العربي القديم التي قدمته بمصطلحات وضعية، كوصف كرونولوجي واستعراض مرتب فيلولوجيًا يعين موقع هذا الإنتاج الأخاذ ضمن حقب تاريخية وسياسية مختلفة محددة على نحو صارم. كان من سوء حظ هذا الأدب أن الفيلولوجيين (العرب والمستشرقين) هم أكثر من تعامل معه: ففي حين أن الفيلولوجيين يعود إليهم الفضل الكبير في اكتشاف وتقديم المصادر بلغة فيلولوجية، فإنهم بسبب طبيعة حقلهم المعرفي، لا يقدرون على فهم الأدب كقيمة فنية يتم تحقيقها، خصوصًا كقيمة، في علاقات دينامية إلى أقصى درجة بأعمال أخرى، وعهود أدبية- وليست سياسية- أخرى. لكي نفهم ونقدم هذا التراث الأدبي المؤثر كتراث تحديدًا- وبالتالي، كاستمرارية مصانة من خلال إعادة إنتاج وتجاوز القيم المبتدعة قبل إذ- يجب تأسيس شعريته كمنظومة متصورة على نحو عريض جدًا تنبذ في شكل معقول التجزؤ الذي لا أساس له والتسميات المشوشة.

هذا التراث الغني بوفرة يرى المؤلف أنه يجب أن يفهم من الداخل، من التراث نفسه، ويجب تحديد وشرح المسلّمات الجمالية للأدب العربي القديم بواسطة المنهج العلمي المناسب الخاص بالشعرية. من الضروري بالقدر نفسه أن نبرهن على درجة استمرارها في التراث، أو مقدرتها على التكيف لكي تبقي التراث نابضًا بالحياة. هذه المقاربة فقط هي التي ستكشف، كما يؤكد المؤلف عدم كفاية التحقيب المقبول عمومًا للأدب العربي القديم (الكلاسيكي).

في الوقت نفسه يستخدم المؤلف مصطلحًا جديدًا هو Orientology (علم الشرق)، ليبعد نفسه بقوة عن مصطلحي الاستشراق Orientalism أو الدراسات الشرقية oriental studies الملوثين إيديولوجيًا، فباستعمال مصطلح علم الشرق يشير إلى نهج علمي، لامركزي أوروبي في مقاربة هذا الحقل من البحث، إضافة إلى الطبيعة المتأصلة للتحليل وأحكام القيمة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للقارئ النبيه أيضًا رغم كونه مشدوهًا أن يكتشف عددًا من الدلالات أو المضامين الأخرى في مصطلح علم الشرق- بما في ذلك وجود تواصل معين مع أعمال إدوارد سعيد وجاك دريدا.

المفاهيم التقليدية للشعر العربي القديم ناتجة عن الإخفاقات في فهم المبادئ الإجمالية لهذا التراث

لكن أسعد دوراكوفيتش بهذا ينحت علمًا جديدًا خارجًا عن نسق إدوارد سعيد وثائرًا على الاستشراق حينما يجعل الشرق موضوع علم، لكنه هنا لم يخرج عن الشعر كحقل لدراسته، وفي الوقت نفسه يعترض منهج بروكلمان في دراسته للأدب العربي، ويثور على شوقي ضيف في تحقيبه لدراسة الأدب العربي عبر العصور، مما يجعل هذا الكتاب محط تساؤلات ونقد ونقاش، لكنه يقترب أكثر فأكثر إلى منهجية طه حسين في كتابه «الشعر الجاهلي» وكأنه يعيد اكتشاف طه حسين وقدراته التنظيرية لنا.

لقد قاده بحثه إلى استنتاج أن الأدب العربي القديم هو منظومة مترابطة في شكل ملحوظ، بالمصطلحات الشعرية، أي أنه يمتلك تفرده الخاص به الذي يتم تبريره، في جوانب كثيرة في هذا الكتاب، وأن بعض المفاهيم

التقليدية له والأحكام حوله- كالحكم السلبي حول «الطبيعة المادية» للشعر العربي القديم- تنشأ عن الإخفاقات في فهم المبادئ الجمالية لهذا التراث. عمومًا، إن مظاهر كثيرة في هذا الأدب تكتسي مظهرًا مختلفًا تمامًا عندما يتم تقديمها باستخدام منهج متأصل في منظومة شعرية حية. علاوة على ذلك، إن تعريفًا صحيحًا للعناصر الجمالية المكونة، وتحليلًا متأنيًا لوظيفتها ضمن الثقافة العربية- الإسلامية يكشفان عن الدرجة العالية لكونيتها. أي بمعنى أنها من ناحية أولى، تبدو قوية بما يكفي لتشكيل منظومة مستقلة خارج الأدب العربي، حتى خارج أدب الشعوب الإسلامية الأخرى في تطورها ما قبل الحديث. ومن الناحية الأخرى فإن هذه العناصر الجمالية يتم كشفها كمكونات لأشكال فنية أخرى- من الأرابيسك الزخرفي إلى أشكال أخرى.. هذا يصور في الواقع (الشعرية) التي تُجعل كونية في الوطن العربي- الإسلامي، كمنظومة واسعة جدًا من الإبداع الفني عمومًا.

إن التوازي بين الأدب العربي القديم وأدب اليونان وأوروبا القديمين، سيفرض نفسه بقوة على قارئ غير مطلع على الأول (الأدب العربي). على رغم أن هذه الآداب تطورت في شكل مستقل، فيجب الاعتراف بأن مهد الأدب العربي هو عصره القديم ما يدعى «الأدب الجاهلي»، وأن هذا العصر القديم قد أثر على الأدب العربي لاحقًا بطريقة مشابهة لكيفية تأثير الأدب اليوناني القديم على ما أصبح يُعرف باسم الأدب الأوروبي، أو الأدب اللاتيني القروسطي. بالتأكيد، ثمة اختلافات ملحوظة

تفسير الأدب العربي القديم يفرض نفسه كتفسير لجمالية القرآن

بينهما، لكن أوجه تشابههما كثيرة ويمكن أن تكون ذات أهمية لدارسي الأدب المقارن.

قاد البحث المترابط في جماليات الأدب العربي القديم إلى استنتاج غير متوقع، وهو أن النص القرآني يبدو أنه النص المحوري لهذا الأدب، على رغم أنه تطور بعد مئات السنين من تقدم النص في التاريخ. ومن المعروف جيدًا أن القرآن قد واجه شعر العصر مباشرة، لكن البحث في جماليات الأدب العربي القديم يكشف أن كل الأدب (ما بعد القرآني)، وخصوصًا الشعر، صار يُعرف وفقًا له. أثبتت قوة النص القرآني أنها فعالة في شكل لا يمكن التنبؤ به هذه القوة يُسلط المؤلف الضوء عليها وتمنح معنى كاملًا من طريق دراسة متأصلة للأدب بوصفه منظومة جمالية، لهذا، وعلى نحو غير متوقع تمامًا، فإن تكوين وتفسير الأدب العربي القديم يفرض نفسه أيضًا كتفسير خاص لجمالية النص العربي في القرآن الكريم، نظرًا للموقع المحوري للنص القرآني.

إن تحليل دوراكوفيتش لعلاقة القرآن بالشعر على مستوى الإيديولوجيا ومستوى الشكل- في مظاهر تجاورهما الإيديولوجي والشعري- قد يبدو أحيانًا استنتاجيًا، أو يعطي تحليلًا في شكل متحيز موقعًا استثنائيًا للنص المقدس بالنسبة إلى الأشكال الأخرى للتراث، فهو يدرك أنه لا

تحيز يليق بالعلم الذي يصبو إليه هذا الكتاب. فإن المؤلف قدّر أن الشعرية، كمنظومة متماسكة موطدة على مبدأ التأصل، لا يمكن أن تحتمل أي شكل من التحامل مهما يكن، وهو ما ينطبق على العلم عمومًا، وأدرك أن الشعرية لا يمكن الإفصاح عنها بهذه الطريقة، ولفت انتباه القارئ إلى حقيقة أن مقاربته المنهجية هي متأصلة بطبيعتها، هذا يعني أن الكتاب يقدم تفسيرًا متسقًا للمسلمات الشعرية المتأصلة للقرآن من جهة، ولمسلمات الشعر من جهة أخرى، بالإضافة إلى تفسير لعلاقاتهما الضمنية أيضًا في التراث نفسه. ومن هنا يجيء اختلافه المنهجي عن طه حسين في رؤيته لعلاقة النص الشعري بالقرآن الكريم في كتابه «الشعر الجاهلي».

لهذا، فإن القارئ الذي يكون خارج هذا التراث وغير مطلع تمامًا على القرآن كنص أساسي له، يمكن في أحيان قليلة أن يتولد لديه الانطباع بأن المؤلف له موقف متحامل. الأهم من ذلك أن الباحث لا يمكنه أن يستبعد إمكانية أن مثل هذا التصور يمكن أن ينتج من الموقف المسبق للقارئ. ولكون المؤلف مدركًا لخطر الاعتراضات الممكنة وفق هذه الخطوط، فقد أجرى تحليلًا دائمًا وتوصل إلى استنتاجات من موقع النص القرآني، متحررًا من أي تحامل. إن تأثير النص القرآني في هذا التراث هو حقًا قوي ومتنوع، بحيث إنه في جوانب كثيرة أيضًا قد مثّل اكتشافًا قاده إلى الاتساق في هذه المقاربة المتأصلة، بسبب ذلك قدمت هذا الكتاب للقارئ والباحث كي نفتح به نقاشًا موسعًا حول ما توصل إليه مؤلفه.

ألبسة المعاني

عامر أحمد عامر
باحث مصري في الدراسات الإسلامية

من معايير جودة التعابير أن تكتسي معانيها المجردة ألبسة محكمة من الألفاظ الموائمة لها، لا فضفاضة تشعر القارئ بالحشو الممل، ولا ضيقة تشي باقتضاب مخل، فالمعنى الذي تشعر النفس معه بالضيق والحزن لا يستقيم أن تعبر عنه ألفاظ وصور توحي بالفرح والبهجة، وإلا وقع الأديب فيما اصطلح عليه أهل البلاغة بـ(مخالفة الجو النفسي)، ومن ذلك مثلًا قول أحمد شوقي:

قف بتلك القصور في اليمّ غرقى
ممسكًا بعضها من الذعر بعضًا

فجو الرعب المسيطر على البيت يتناقض مع وصف القصور التي من المفترض أن تدُخل رؤيتها على النفس الهناءة والسعادة، كما أنه يتنافر مع الأبيات قبله وبعده.

والمعنى الذي تستثقله النفس لا بد أن تجسده ألفاظ، بل حروف، تثقل على اللسان لتنقل بدقة ثقل المعنى، وكذلك المعاني السلسة السهلة لها حروفها وألفاظها التي توظف للتعبير عنها، ومن ذلك قوله تعالى في سورة النجم، إبان إنكار القرآن على المشركين جعلهم لله الأنثى ولهم الذكر، ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾(النجم:٢٢)، وفي قراءة ابن كثير ﴿ضئزى﴾، وهي أشد في النطق، إذ كان من الممكن أن توصف القسمة بالجائرة، وهذا هو المعنى المراد، لكن حروف لفظة ﴿ضيزى﴾ أو ﴿ضئزى﴾، بما يتطلبه نطقها من مجهود يثقل اللسان تجعلها تقوم بالمعنى قيامًا لا يمكن لكلمة أخرى مثل «جائرة» أو «ظالمة» أن تؤديه.

وفي سورة الكهف لما بدأ العبد الصالح الخضر يؤول لنبي الله موسى ما كان من أمر السفينة والغلام والجدار، قال له: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾(الكهف:٧٨)، وبعد انتهاء التأويل قال: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرًا﴾، فلما كانت الحقيقة في بداية الأمر غائبة عن موسى كان ما فعله الخضر ثقيلًا عليه، ولذلك ناسب أن يأتي لفظ﴿تستطع﴾ بثبوت التاء الثانية، فلما زال العجب بمعرفة الحقيقة خفَّ الثقل في المعنى فحذفت التاء الثانية ﴿تسطع﴾ ليخف الثقل في اللفظ.. ولعل هذا من أسمى دلائل الإعجاز البياني لكلام رب العالمين.

وكذلك من معايير جودة الكلم أن تتواءم موسيقاه، أو قل جرسه الصوتي، مع المعنى الذي يحويه.

جاءني شاعر ذات يوم، عارضًا علي قصيدة رثاء، ليقف على رأي نقدي فيها، وإذ بها من بحر الوافر، قلت له: إن الوافر موسيقاه راقصة فرحة لا تتناسب بحال من الأحوال مع مقام الرثاء.

تأمل مثلًا قوله تعالى في سورة النور:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(النور:٥٥)، إذ تعيش في الآية هدوءًا أضفاه جرسها، ناسب جو الطمأنينة الذي يوعد به المؤمنون.

وتأمل قوله تعالى:﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، تلحظ فيها الإيقاع السريع المتلاحق الذي يستنهض في الآيات السبع الأُوَل همة رسول الله ﷺ للقيام بأمر الدعوة، ومعروفة قصة نزول هذه الآيات، وهي ثاني ما نزل من القرآن بعد ﴿إقرأ...﴾، أمَّا باقي الآيات فإيقاعها السريع أشبه بضربات مثل تلك التي ستلحق بالكافرين يوم القيامة.

الحضانة في الإسلام

عبد بن محمد بركو - كاتب صحفي سوري

تعتبر حضانة الأطفال في الأسر المطلقة من المشكلات الأساسية التي تصيب الأطفال والآباء والأمهات على حد سواء، وتزيد من حدة الخلافات بين الوالدين، فالحضانة إمَّا أن تكون حضانة الأم أو حضانة الأب، وفي الحالتين يتحمَّل الوالدان من الناحية الشرعية مسؤولية رعاية أطفالهما، وسنقدم في هذا البحث كافة الجوانب المتعلقة بالحضانة في الدين الإسلامي الحنيف.

الحضانة لغة مأخوذة من الحضن،وهو الجنب وهي الضم إلى الجنب. وشرعًا هي: تربية الولد لمن له حق الحضانة. أو هي تربية وحفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه لعدم تمييزه، كطفل وكبير مجنون. وذلك برعاية شؤونه وتدبير طعامه وملبسه ونومه، وتنظيفه وغسله وغسل ثيابه في سن معينة ونحوها (١).

وعرّف الحصكفي الحنفي الحضانة بأنها تربية الولد، وزاد ابن عابدين في حاشيته على ذلك قوله: هذا على إطلاقه معناه اللغوي، أما الشرعي فهو تربية الولد لمن له حق

الحضانة كما أفاد القهستاني (٢).
وزاد الخطيب الشربيني على التربية الحفظ، كما عممها على كل من لا يستقل بنفسه، فقال: الحضانة حضن من لا يستقل وتربيته (٣).

أهمية الحضانة في تربية الأطفال

تعتبر حضانة الأطفال من أهم الأسباب المؤدية إلى نموهم السليم عضويًا وعقليًا، وتبلور شخصياتهم وذواتهم نفسيًا واجتماعيًا، لأنها تكون في المرحلة الأساسية من مراحل نموهم الجسدي والعقلي والنفسي.
وتلعب الحضانة السليمة دورًا مؤثرًا في نجابة الأطفال ونجاحهم الدراسي مستقبلًا وتوازن شخصياتهم، فضلًا عن كونها وسيلة تربوية مهمة لغرس الفضائل والقيم الأخلاقية والتعاليم الدّينية والعادات الجيدة والأساليب التربوية الصحيحة وتنمية القدرات العقلية والتكيف الاجتماعي مع المحيط، وإن الحضانة الواعية والحانية والدافئة هي السّفينة التي تنقل الأطفال إلى بر النمو الجسدي والعقلي والأخلاقي السليم وهي التي تمثل حماية للأطفال من كل المشاعر السّلبية كالعزلة والانطواء والعدوان والخجل وضعف الشخصية والكراهية التي يمكن أن تنجم عن ترك الطفل وحيدًا في مهب الضياع.

موقف النّبي ﷺ من تربية الأطفال وحضانتهم

كان موقف النبي الكريم ﷺ من الأطفال في أعلى قمم التربية والحضارة المدنية، حيث انطوى على الحب والعطف والرحمة واللطف.
لقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في معاملة أبناء زوجاته الذين كانوا في حضانتهنّ حتى كان لهم أبًا بعد الأب يفتخرون به ويعتزون.
وأول هؤلاء أولاد خديجة الأربعة، وأولاد سودة الخمسة، وأولاد أم سلمة الأربعة... وسواهم.
وهكذا كان لنا جميعًا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة في تربية الأطفال ورعايتهم وحضانتهم وتنشئتهم التنشئة الإسلامية التربوية الصالحة.

الحضانة عند العرب

كان من عادات العرب القديمة وجود المراضع وهنّ النساء اللاتي كنّ يتولين حضانة الأولاد وإرضاعهم، وكانت هذه العادة موجودة عند معظم القبائل العربية ومنها قريش، حيث كان يدفع الرضيع إلى المرضعة المربية فيمكث عندها فترة تمتد من سنتين إلى أربع سنوات فينشأ الطفل على قوة الجسم وفصاحة اللسان.

حضانة الطفل في الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان

جاء في المادة السابعة (فقرة أ) في الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان:
«لكلّ طفل منذ ولادته حقٌّ على الأبوين والمجتمع، والدولة، في الحضانة، والتربية، والرعاية المادية، والعلمية، والأدبية، كما تجبُ حماية الجنين والأم وإعطاؤها عناية خاصة».
كما جاء في المادة السابعة (فقرة ب): «للآباء ومن يحكمهم الحقُّ في اختيار نوع التربية التي يريدون لأولادهم، مع وجوب مراعاة مصلحتهم ومستقبلهم في ضوء القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية» (٤).

حضانة الطفل في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

جاء في (المادة ٢٥) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ما يلي:
«للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية».
وجاء في (المادة ٢٦):
«للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم» (٥).

حضانة الطفل في الإعلان العالمي لحقوق الطفل

نصّت المادة الثانية من الإعلان العالمي لحقوق الطفل الذي أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٥٩ على: «حق الطفل في الحماية الخاصة، ومنحه الفرص القانونية لمساعدته على النمو جسديًا، وعقليًا، وروحيًا، واجتماعيًا، بصورة طبيعية، تتفق مع جو الحرية والكرامة، وتقديم مصلحة الطفل دائمًا».
ونصّت المادة الرابعة على «حقّه في التغذية الكافية، وفي السكن، والرياضة».
ونصّت المادة السادسة على «حاجة الطفل للمحبة والتفهم للتنمية الكاملة المناسبة لشخصيته وحقه في النمو تحت رعاية والديه وتأمين العطف والطمأنينة الأدبية والمادية وعدم حرمانه من حضانة أمه والتأكيد على واجب الدولة في تأمين إعالة الأطفال اليتامى والفقراء، مع مساعدة العائلات المحتاجة» (٦).

الهوامش

١- مغني المحتاج: ٤٥٢/٣.
٢- رد المحتار على الدر المختار: ٥٥٥/٣.
٣- مغني المحتاج: ٤٥٢/٣.
٤- الخطيب، د.عدنان: حقوق الإنسان في الإسلام، دمشق ١٩٩٢م.
٥- الطيب، د. مدثر عبدالرحيم: حقوق الإنسان - دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م.
٦- المحمصاني، صبحي: أركان حقوق الإنسان - ص ٢٣٩ وما بعدها.

كيف تقي طفلك من التحرش الجنسي؟

بشرى شاكر
باحثة وإعلامية مغربية

من الأمور التي تحدث في العالم بأسره- دون استثناء بلداننا العربية- والتي مازال الحديث عنها يعد من الأمور المسكوت عليها في مجتمعاتنا، ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال، وهي ظاهرة، وإن كنا نسمع عنها لدى الغرب كثيرًا وتنقل محاكمات فاعليها عبر وسائل الإعلام، إلا أنها ظاهرة موجودة في مجتمعاتنا العربية أيضًا، حتى وإن لم تتوفر إحصاءات دقيقة بعدد الأطفال الذين يتعرضون لها في بلداننا، وهذا لاعتبارات عدة، منها الشعور بالخجل والتخوف من نظرة المجتمع للطفل وأهله، والخوف من الجاني أحيانًا قد يؤدي لصمت الطفل أو الأسرة بأكملها، في حالة كان الجاني من المقربين، وقد تكون القسوة التي يتخذها بعض الآباء كوسيلة لتربية أبنائهم سببًا في صمت الطفل عما يتعرض له أيضًا خوفًا من العقاب.

إلا أن بعض المختصين في العديد من الدول العربية بدأوا ينحون نحو تعرية هذه الظاهرة المسكوت عنها، وتم إجراء أبحاث عدة في العديد من المجتمعات العربية، ففي إحدى الدول العربية كشفت دراسة أن واحدًا من أربعة أطفال يتعرضون لمثل هذا الاعتداء، وهو رقم مهول مقارنة مع حجم السكوت عن هذه الآفة.

وفي بداية الألفية الثالثة أكدت وحدة الطب الشرعي بالأردن أنه يتم التوصل بمعدل٤٣٧ إلى ٥٠٠ حالة سنويًا، في معظمها يكون الجاني من العائلة، وأظهرت دراسات أخرى في لبنان تم تسجيلها في جريدة «l'orient le jour» أن الجاني يكون في معظم الأحيان ذكرًا، وفي المغرب ارتفع الإعلان عن مثل هذه الظواهر، خاصة بعد اكتشاف جثث طفلات صغيرات تم الاعتداء عليهن في مدينة وجدة، منذ حوالي ثلاث سنوات، وجثث لأطفال آخرين في مدينة تارودانت الجنوبية، مما أوجب تأسيس جمعية «ما تقيش ولدي» أي لا تقرب طفلي، وهي جمعية تعنى بصيانة حقوق وكرامة الطفل وحمايته، خاصة من الاعتداء الجنسي، وأخيرًا اتهام وزير التربية الوطنية الفرنسي الأسبق لوك فيري لوزير سابق باغتصاب أطفال في مدينة مراكش بالمغرب.

فكيف نحمي أطفالنا من التحرش الجنسي؟

أول ما يجب أن نعلمه هو أن غالبية الأطفال الذين يتعرضون للتحرش الجنسي يقع عمرهم بين السنة الرابعة والحادية عشرة، وفي أغلب الأحيان- وحسب دراسة أخيرة- فإن قرابة ٨٠٪ من مستغلي الأطفال جنسيًا أو المتحرشين بهم يكونون من بين الأشخاص الذين يعرفهم

٨٠٪ من الذين يستغلون الأطفال جنسيا ممن يعرفهم الطفل ويثق فيهم .. واحذروا من تكرار الواقعة!

الطفل جيدًا، لأنهم يكونون الأقدر على أن يجعلوه يثق بهم أكثر، كما أن الدراسة نفسها تبين أن الطفل لا يتعرض للاستغلال أو التحرش من قبل هذا الشخص مرة واحدة، وإنما تكرر المحاولات- خاصة في بلداننا العربية- وكما أسلفنا يوجد تكتم كبير على مثل هذه الحالات، وحيث لا توجد ثقافة الحوار المطلق بين الأطفال وآبائهم أو مدرسيهم، فضلًا عن كون الطفل الذي يعرف المعتدي عليه غالبًا كما قلنا يكون ملزمًا بالصمت، إما بالتهديد من قبل هذا الأخير بعدم فضح السر، أو بسبب اقتناعه بعدم إفشاء الوضع، وربما يخفي الطفل ما يتعرض له خوفًا من تلقي العقاب من قبل والديه أيضًا.

ولكن، كيف يمكننا أن نتعرف على طفل عنف جنسيًا أو تعرض لتحرش؟

ليس بالضرورة أن تظهر علامات تعنيف على جسد الطفل لنعرف أنه تعرض لاعتداء أو تحرش، ولكن في الحالات التي لا يوجد فيها شاهد على ما حدث يمكن أن نفهم من خلال بعض الملاحظات، فعادة ما يتغير سلوك الطفل، فبعد أن كان مرحا يلعب ويلهو كأي طفل في عمره، ينزح نحو الانطواء وقد يبكي لأبسط الأسباب، وربما يبدو عليه الخوف حينما يقترب منه شخص بعينه أو أحد الجنسين سواء أكان رجلًا أم امرأة، ويصبح شديد الخوف ويستيقظ ليلًا بسبب مشاهدته لأحلام مزعجة، وربما يصرخ ليلًا أو يتمتم بكلمات غير مفهومة، ويصاب بحمى متكررة لا يكون مصدرها فسيولوجيًا، وقد يعاني من مشاكل اضطراب الهضم أو عدم الرغبة في تناول الطعام، يفقد ثقته في نفسه وأحيانًا يبدو وكأنه يخفي شيئا ما، وكأنه يشعر وأنه السبب في أمر ما ويحس بالذنب..

يرافق كل هذه الأعراض تدن واضح في مستواه الدراسي، كما أنه أحيانًا يمكن للطفل أن يردد كثيرًا عند رؤية قريب معين، أنه لا يحبه.. كأن يقول مثلًا: لا أحب ابن عمي، لا أريد أن يلعب معي أو أشياء كهذه، حينها لا يجب أن ننهره وننعته بقلة الأدب، أو نرغمه على الصمت، بل يجب أن نفهم لم لا يحب هذا الشخص دون غيره؟ علينا أيضا الانتباه لما يرسمه الأطفال، ففي العديد من رسوماتهم يتحدثون بما لا يمكنهم النطق به.

حينما نلاحظ بعض هذه الأشياء الجديدة على الطفل أو جلها، فإن لم يكن الأمر متعلقًا بوضع صحي، فبالتأكيد هو أمر نفسي، وإذا استبعدنا مشاكل الأهل والانفصال والمشاكل الدراسية فلا يمكن استبعاد إمكانية تعرضه للتحرش الجنسي أو حتى الاعتداء، وحينما نكتشف أن ذلك حدث لا قدر الله، فإنه علينا أن نتدارك الأمر بسرعة، لأن الطفل الذي يعيش حياته مستغلًا من قبل قريب أو صديق بالتأكيد لن يكون راشدًا سويًا أبدًا، فإما أن يصبح شاذًا جنسيًا للابتعاد عن الجنس الآخر، ولتركيزه على أن مرافقة نفس جنسه هو الوضع السليم.. وأكثر الأطفال المتعرضين لمثل هذه الاعتداءات

ممن لم يعالجوا ولم يثبت ما حصل لهم وكبروا، لم يستطيعوا الزواج، بل ابتعدوا عن العلاقات والارتباط كليًا، وقد يؤدي ذلك إلى تعاطي المخدرات وحتى الانتحار في سن المراهقة، أو غير ذلك من السلوكات الشاذة.

وعليه، فإنه ما إن تظهر علامة من العلامات السابقة على الطفل علينا أن نتوقف لمعالجة الأمر فورا.

لعل أهم الطرق لحماية الطفل هي الوقاية، وقد قال رسولنا الكريم ﷺ: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»، ومن تأديب الابن تعليمه ما له وما عليه، وهذا أيضًا نوع من الوقاية، ولا يمكن أن نقي أطفالنا من هذا الخطر المحدق إلا إذا استطعنا أن نفهم بعض النقط للطفل لنجعله يحترس، كأن نخبره أن جسده خلقه الله له لكي يحميه من أي معتد، وبالتالي فإنه ليس عليه أن يترك أحدًا يعتدي عليه، وكأن ننبهه أنه لا يجب أن يثق بكل شخص يطلب منه أن يرافقه لمكان ما، حتى وإن كان من عائلته، وإن حصل هذا فعليه أن يستأذن من والديه أولا، والأهم أن نركز على محاورته وتعويده على أن يحكي لنا تطورات يومه في المدرسة وبين أصدقائه يوميًا، هذا كله بأسلوب صحيح وسليم، فلا يجب أن نبرز له أن هناك خطرًا يحدق به في كل لحظة حتى لا نجعل منه طفلا منعزلًا وانطوائيًا متوجسًا.

لكن وفي حال حدوث هذا الأمر المقيت لا قدر الله، فإن الطفل يمكنه أن يروي ما حدث له بطريقة أسهل لشخص قريب منه ويثق به، وإن لم يتحدث بسهولة وبسرعة، وسيتطلب الأمر حنكة من الأم أو الأب أو المربي بصفة عامة لكي يجعل الطفل يتحدث عما يشعر به أو يؤذيه، والأفضل ألا

علينا أن نقنع الطفل المعتدى عليه بأنه ضحية وليس مجرما.. وأنه ليس الوحيد الذي يحدث له ذلك

تكون الأسئلة مباشرة وإنما يمكن مثلًا أن نسأل الطفل عن سبب تبوله من جديد في الفراش، أو نقول له إننا نشعر أن هناك شيئًا ما يقلقه بالبيت أو المدرسة، أو أننا نحس أنه متضايق، ونسأل إن كان بإمكاننا أن نعرف لماذا؛ لكي نساعده، يمكن أن نخبره أيضًا أننا لاحظنا تغيرات على جسده ربما يكون هناك من يعامله بسوء، وإذا ساعدنا في معرفة ما يحدث معه فسوف نوقف هذه المعاملة السيئة ونحميه منه.. والأهم أن يشعر أننا نريد حمايته وليس عقابه.

عادة ما يشعر الطفل- حتى بعد أن يخبرنا- بأنه الوحيد من تعرض للتحرش بين أقرانه ويتضايق من ذلك فيطلب منا عدم إخبار الآخرين وأن يبقى ذلك سرا بيننا، حينها علينا أن نفهمه أن هذا يحدث مع الكثيرين وأنه عليه ألا يخجل مما حصل، لأنه لم يكن سببًا فيه وإنما هو مجرد ضحية، لأنه إن ظل يفكر في كيفية إخفاء ما حصل له، فسيظل قابعًا تحت ثقل ما وقع له، وفي حال المراهقين الذين لا يتحدثون ويعتبرونه سرًا قد يصل بهم الحد إلى الانتحار.

علينا أيضا أن نحرص على إبعاده عن أحداث مثل هذه، ونحاول عدم تعرضه للخوف والرهبة من أن يتعرض لها من جديد، علينا أن نفهمه أنه ليس في موقف الدفاع عن نفسه أو موقف يدلي فيه بشهادته، فهذه الأشياء يعاقب عليها القانون وبالتالي فهو يحميه من المعتدي وليس عليه أن يخاف منه مرة أخرى.

المتابعة النفسية مهمة جدًا في حالة تعرض الطفل للاعتداء واكتشاف ذلك، فهو قد تعرض لصدمة عنيفة ومؤهل للتعرض لصدمات متوالية في حال عدم معالجته ومساعدته على تجاوز ما حصل معه، ففي بادئ الأمر، لا يستوعب الطفل ما يحصل معه ولا يعي تمامًا كل المستجدات والاعتداءات التي لحقت به، ويصعب عليه أن يعترف بما حصل معه خاصة وأنه يظن كما أسلفنا أنه الوحيد الذي تعرض لذلك وأن باقي الأطفال لم يتعرضوا للاعتداء، في مثل هذه الحالات من المفيد جدًا الاستعانة بأخصائي نفسي أو محلل نفسي وذلك لمساعدة الطفل على تجاوز الصدمة للحديث عما حدث، فالاعتراف بما حدث أول خطوة النجاة من الصدمة، وقد يمر زمن قبل حديث الطفل المعتدى عليه، وليس علينا أن نرغمه على الحديث في حينه وإنما نحترم رغبته في الصمت، ونبقى على استعداد لسماعه ونحاول مساعدته على الكلام دون أن ندفع به إلى ذلك دفعًا.

في حال كان المعتدي أحد أفراد الأسرة وخاصة أحد الوالدين- وهذا يكون في الكثير من الأحيان للأسف- يكون نفسيًا من الصعب على الطفل الإقرار بما حدث معه، لأنه يرى فيهما مثالية الأبوين، ويريد أن يحتفظ رغم كل شيء بالصورة المثالية للمعتدي التي تعد مرجعية له، فهو ودون أن يطلب منه ذلك، يحاول أن يحمي المعتدي عليه، ولذلك يمتنع عن الحديث عما حصل معه، وللأسف كلما تأخر الطفل في الحديث وكلما كانت ثقته بالمعتدي عليه كبيرة، كلما

كان الوضع النفسي متفاقمًا، لذلك علينا أن نفهم كيف نتعامل معه لنجعله يدرك أن من يحميه يعتدي عليه ولا يستحق أن يتستر عليه.

من الأخطاء التي يجب أن نتجنبها تمامًا أن نجعل من الطفل طفلًا معتدى عليه أمام الجميع، ونحرمه بالتالي من طفولته ولعبه ومرحه، بل علينا أن نتجاوز نحن ما حدث لكي يستطيع هو تجاوزه، فلا يجب أن ننسى أبدًا أنه طفل قبل كل شيء، كما أنه علينا، إذا ما تبين أن المعتدي أو المتحرش من العائلة، أن نسأل باقي أطفال العائلة إن كانوا قد تعرضوا لاعتداء مماثل وأيضًا بطريقة لا تؤذيهم ولا تخيفهم.

وأخيرًا لا ننسى أن الأطفال هم من يشكلون جيل المستقبل، علينا أن نتعلم كيف نرعاهم ونحميهم قبل كل شيء.

رئيس وحدة بحوث الأطفال ذوي الاحتياجات د. نجوى عبدالمجيد:

التوحُّد يحبس الطفل في قوقعة تعزله عن العالم

هدير جلال
القاهرة دار الإعلام العربية

يتزايد عدد «ذوي الاحتياجات الخاصة» في المجتمعات العربية باستمرار حتى وصل إلى ٣٤ مليونًا وفقًا للإحصاءات الأخيرة لمنظمة العمل العربية.. ويظل مرض التوحد إحدى أبرز الإعاقات وأصعبها وأكثرها معاناة.. لذلك حرصت «الوعي الإسلامي» على لقاء د.نجوى عبدالمجيد، أستاذة الوراثة البشرية ورئيسة وحدة بحوث الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة بالمركز القومي للبحوث، والتي تحدّثت عن الأمراض الأكثر شيوعًا بين الأطفال العرب وبصفة خاصة مرض التوحّد.. فإلى الحوار..

إصابة الطفل ترجع لأسباب بيئية من الدرجة الأولى وليست وراثية

• حدّثينا عن الأمراض الأكثر شيوعًا التي يمكن أن يصاب بها الطفل وتجعله ضمن فئة ذوي الاحتياجات الخاصة؟

– الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة هم الذين يعانون من تطور غير سوي في الأعصاب، فليس شرطًا أن يكون الطفل متخلفًا عقليًا حتى يكون من ذوي الاحتياجات الخاصة؛ بل هناك العديد من الأمراض المرتبطة بهذه الفئة وخاصة أمراض السلوك مثل مرض التوحّد ومرض فرط الحركة وهشاشة كروموسوم X.. وذوي الاحتياجات الخاصة ليسوا فقط معاقين أو يأخذون الشكل المنغولي، بل هناك أمراض مثل السابق ذكرها لا تؤثر في شكل المريض فقط، بل أيضًا في سلوكه.

• إذن.. ما أكثر العوامل المسببة للإصابة بهذه الأمراض؟

– هذه ليست فقط أمراضًا وراثية تنتقل إلى الأبناء من الآباء أو الأمهات، بل معظمها يظهر نتيجة عوامل بيئية مثل التطعيمات الزائدة، فالطفل منذ ولادته يحصل على كمية كبيرة من التطعيمات، وأيضًا المضادات الحيوية الزائدة، فالكثير من الأمهات يقمن بإعطاء أطفالهن أدوية باستمرار مع ظهور أعراض أي مرض عليهم، المشكلة هنا ليست في المادة الحافظة في هذه التطعيمات أو الأدوية، بل الأساس هو ضعف الجهاز المناعي لدى الأطفال؛ فإذا أصيب الجهاز المناعي للطفل في أثناء حمله بأي جين معطوب سيؤدي ذلك إلى ظهور المرض عليه، إضافة إلى ذلك نجد أن الإصابة بالمرض يمكن أن تحدث نتيجة التلوث الكيميائي الناتج عن مركبات الرصاص والمعادن الثقيلة أو نتيجة لتدخين الآباء بجانب الأطفال، وأيضًا هناك سبب آخر في غاية الأهمية وهو التغذية السيئة فإذا

العقاقير الدوائية عوامل مساعدة للشفاء وليست الأساس!

لم يحصل الطفل على الغذاء اللازم والصحي في الفترة الأولى من حياته سيؤثر في جهازه المناعي، ومن ثم سيساعد ذلك على ظهور المرض، والتغذية السيئة مرتبطة أيضًا بالطعام الذي تتناوله الأم في أثناء فترة الحمل؛ لذلك يجب عليها أن تحرص على تناول الأطعمة الصحية السليمة.

• عادة ما تصاب الأسرة ببعض المشاكل النفسية مثل الاكتئاب والحزن عند معرفة إصابة طفلها بإحدى الإعاقات.. فهل انفعالات الأسرة وسلوكها يؤثران في نفسية الطفل؟

– الحالة النفسية للأسرة تؤثر بالطبع في الطفل، فكلما طالت فترة استنكار الأسرة للمرض أثر ذلك في سرعة توجّه الأسرة لبدء العلاج والاستجابة له، ومن خلال تعاملي مع كثير من الحالات لاحظت أن أكثر من يُظلم بسبب مرض الطفل هي الأم؛ والتي يحملونها أسباب المرض حتى إذا لم يكن لها أي دخل في ذلك، فعلى سبيل المثال إصابة الطفل بالتوحد ترجع إلى أسباب بيئية من الدرجة الأولى وليست وراثية، حتى وإن كان المرض وراثيًا فقد يكون موروثًا من الأب أو من الأم، أو في شكل طفرة وليس موروثًا من أيًا منهما، إلا أن بعض العائلات مازالت تصف الأم بما يسمى بـ«وصمة العار» نتيجة إصابة طفلها، وذلك يجعل الأم تبتعد عن صديقاتها تجنبًا للإحراج وخاصة أن بعض هذه الأمراض مرتبط بعنصر المفاجأة، فالأم لا تستطيع أن تتوقع تصرفات الطفل؛ فقد يقوم بالصراخ فجأة أو بضرب من أمامه.. وكل ذلك يجعل الأم تبتعد قدر الإمكان عن التواجد في أماكن التجمعات، ما يؤثر في النهاية على حالتها النفسية.

• إذن كيف يمكن تحويل الانفعالات السلبية للأسرة تجاه المرض إلى طاقة إيجابية؟

– يتم ذلك من خلال التوعية، حيث يجب على الطبيب أن يشرح كل ما يتعلق بالمرض للأسرة وأن يوضح لهم كيفية التعامل مع الطفل، وما احتياجاته في هذه الفترة، ومن الضروري أيضًا أن يقدم لهم الدعم من خلال عرض حالات مرضية مشابهة لحالات شفيت أو تحسنت بفضل اهتمامهم بالعلاج وحرصهم على تنفيذ إرشادات الطبيب.. كما أن توفير الرعاية الصحية للطفل مهم جدًا؛ لأنها تساعد على تحسين سلوكه، ومن ثم تؤثر إيجابيًا في الأسرة وتعطيها الأمل.

وبسبب أهمية الحالة النفسية للأسرة قمت بإنشاء شبكة اجتماعية تسهل التعارف بين أسر الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، استطاعوا من خلالها النقاش حول موضوعات متعلقة بأمراض أبنائهم وحول المراكز المسؤولة عن العلاج، وعن أفضل الأطباء والمدارس المختصة بإعادة تأهيلهم، فمثل هذا التعارف يسهل على الأسرة كثيرًا من الأمور ويجعلها تستفيد من تجارب غيرها، كما يقلل الأعباء النفسية لدى أسر المرضى.

• عادة ما تكون نظرة المجتمع لذوي الاحتياجات الخاصة سلبية.. فما الأدوار التي تقوم بها الجمعيات المعنية في توعية المجتمع؟

– الغالبية العظمى من الناس لديها نظرة سلبية تجاه هؤلاء الأطفال، فإما هي نظرة شفقة أو نفور، ولكي نستطيع تغيير هذه النظرة نحتاج إلى تدخل

أعلى من صانعي القرار والمؤسسات الكبرى لصالح هذه الفئات، ونحتاج إلى تغيير المفاهيم والمعتقدات حول هؤلاء المرضى، وسيتم ذلك من خلال حملات توعية مستمرة للمجتمع في الإعلام وعلى أرض الواقع من أجل تعريفهم بهذه الأمراض وطبيعتها وأساليب علاجها، ولا بد من وجود مساعدة دائمة لهؤلاء المرضى تجعلهم مثل الآخرين؛ وهذا بالفعل ما تفعله الدول الأجنبية، ففي أحد المؤتمرات التي حضرتها كان المنظمون منغوليين، فلقد تقبلهم المجتمع هناك نتيجة تغير المفاهيم السائدة حولهم.

• هل يجوز الدمج بين الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال العاديين في المدارس؟

– هناك أطباء متخصصون في عملية الدمج وهم من يجب أن يحددوا إذا كان هذا الطفل مناسبًا للدمج أم لا، وذلك لأن عملية الدمج تتوقف على طبيعة الطفل نفسه، فهناك آثار سلبية للدمج تظهر على بعض الأطفال وآثار أخرى إيجابية تظهر على غيرهم، فمثلًا قد ترى الأم أن الطفل يمتلك درجة عالية من الذكاء فتقوم بإدخاله مدرسة عادية بدون استشارة الطبيب، فيؤدي ذلك إلى تدهور حالته أكثر من قبل، وذلك قد يرجع إلى عدة أمور منها أن السلوكيات لديه مازالت مضطربة أو أن عملية التخاطب مازالت سيئة، فدخول الطفل المدرسة مع أطفال عاديين تجعله يقارن نفسه بهم، ما يحمله مزيدًا من الضغوط ويسبب له اكتئابًا وعنفًا في بعض الأحيان.

• ما حجم اهتمام المؤسسات المعنية في الوطن العربي بذوي الاحتياجات الخاصة؟

– هناك اهتمام نسبي بذوي الاحتياجات الخاصة في البلاد العربية، لكن المشكلة أن بعض المراكز الحكومية غير مقبولة، كما أنها تتوفر

الأم أكثر من يعاني.. وهي في الوقت ذاته متهمة بإصابته بالمرض!

في العواصم الكبرى فقط ولا توجد في المحافظات إلا المراكز الأهلية «الخاصة» والتي تعد أكثر انتشارًا في الدول العربية، وهذا في حد ذاته يسبب مشكلة كبيرة للأسرة، وخاصة في ظل التكاليف العالية لعلاج هذه الأمراض، لكن هذا لا ينكر قيام بعض الحكومات في عدة دول عربية بإنشاء مراكز عالية الجودة وجيدة الخدمات لرعاية هؤلاء الأطفال.

• يقال بأن المرض النفسي يحتاج إلى وقت أطول في العلاج من المرض العضوي.. فهل هذا صحيح؟

– أجل هذا صحيح، لكن الاكتشافات الحديثة ساعد استخدامها على سهولة العلاج، مثل اكتشاف الرنين المغناطيسي والذي يستطيع تصوير أجزاء المخ إلى حبيبات صغيرة جدًا فضلًا على عرض ما بداخله، فعلى سبيل المثال قديمًا كان يقال بأن مرض «التوحد» هو مرض نفسي عادة ما يصيب الطفل الأوسط لعدم الاهتمام به.. هذا اعتقاد خاطئ وليس له علاقة بالحقيقة فهذه الاكتشافات أثبتت أن السبب في التوحد هو حدوث تغيرات فسيولوجية في المخ.

• كيف يتم علاج هذه الأمراض؟ وهل يعتمد فقط على الأدوية؟

– الأدوية الخاصة بهذه الأمراض ليست معالجة بنسبة ١٠٠٪، فهي عامل مساعد فقط وليست أساسية، لكنها تساعد بشكل كبير على تحسين سلوكيات الأطفال، وهناك أيضًا أطعمة معينة تساعد في العلاج لكنها ليست أطعمة عادية تقوم الأم بإعدادها، فبالرغم من أن مواد هذه الأطعمة من البيئة إلا أننا نقوم بإعدادها بطريقة معينة، لقد جاءت إلينا هذه الفكرة بعد سنين من الأبحاث والاختبارات والتي حددنا من خلالها العناصر والفيتامينات الهامة التي يحتاجها جسم هؤلاء الأطفال وبعدها قمنا بتعويضها من خلال هذه الأطعمة، وبالفعل ساعدت هذه الأطعمة على تحسين سلوكيات الأطفال وتهدئتهم.

• هناك أمراض يتم اكتشافها بمجرد ولادة الطفل وأخرى تحتاج إلى سنوات لاكتشافها وأشهرها مرض التوحّد والذي قمتِ بذكره في عدة أمثلة، فماذا عن هذا المرض؟

– التوحّد يعد مرضًا تطوريًا، حيث يبدأ بفقد المكتسبات، فمثلًا يكتسب الطفل اللغة ثم يفقدها ويبدو كأنه أصم، وهو لا يعد مرضًا نفسيًا فقط، ولا مرضًا عضويًا فحسب، بل هو عبارة عن مرض يصيب الجهاز المناعي والعصبي للطفل فيسبب فقد اتصال بين مراكز المخ المختلفة وإلى حدوث مشاكل لديه في كيفية الاتصال بمن حوله؛ فيؤثر في التطور في ثلاثة مجالات أساسية: التواصل والمهارات الاجتماعية والتخيل، وأعراضه تبدأ في الظهور خلال السنوات الثلاث الأولى، وهو يصيب الذكور بنسبة تعادل ثلاثة أضعاف نسبة الإناث.

• بما أن التوحّد يظهر بعد مدة من ولادة الطفل، فما الأعراض التي يمكن أن تلاحظ من خلالها الأم إصابة طفلها بالتوحد؟

– تلاحظ الأم على طفلها أمور عدة تشير إلى إصابته بالتوحد؛ مثل عدم استطاعته النداء على والده ووالدته، وكذلك أنه لا يحب العناق ويتسم بالتحفظ وفتور المشاعر، ولا يحب النظر لعيون الآخرين عند التحدث معه، ولعل من أبرز ما يمكن أن تلاحظه

الأم أيضًا على طفلها هي موجات الغضب والبكاء والضحك غير المبررة، فالمتوحد يبكي ويضحك في أي وقت وبدون أسباب، كما أنه يعشق الأمور التكرارية فعند اللعب بلعبة معينة تراه متعلقًا بها، كما أنه يفضل الانعزالية.

• هل هناك آثار سلبية تنتج عن التشخيص الخاطئ للمرض أو عن اكتشافه المتأخر؟

– بالطبع هناك تأثيرات سلبية منها تدهور حالة الطفل نتيجة عدم أخذ العلاج الصحيح، فالتوحد له مضاعفات غريبة ويكون علاجها صعبًا، حيث يمكن للتوحد أن يؤدي إلى التخلف العقلي، وهذا لا يحدث إلا إذا تدخلت عوامل أظهرته مثل الاهتزازات والكهرباء الزائدة وحالات الصرع، كما أن الاكتشاف المبكر يعد عاملًا أساسيًا لتقصير رحلة العلاج في أي مرض.

• إذن كيف يمكن للأطباء التأكد من مرض الطفل؟

– نتيجة لتشابه أعراض بعض الأمراض مع غيرها مثل مرض التوحد، فأعراضه مشابهة تمامًا لمرض «كروموسوم x الوراثي»، إلا أن الأخير هو مرض وراثي ينتقل من الأم إلى الأبناء من الذكور وقد ظهرت الآن برامج مهمة مسؤولة عن تشخيص مرض التوحد وأخرى لتشخيص مرض فرط الحركة والنشاط الزائد، فيمكننا الاعتماد على تقنيات الهندسة الوراثية الـDNA في تشخيص المرض، أو من خلال مقابلة مع المريض وأسرته يتم فيها عرض مجموعة الأسئلة التي تسمى بـ ADIR، وتلك الأسئلة تستغرق حوالي نصف ساعة، ويعد ذلك الأسلوب هو أحدث طريقة لتشخيص التوحد.

• كيف يمكن تأهيل الأطفال المصابين بالتوحد بما يساعد على إعادة دمجهم في المجتمع؟

– أهم خطوة في إعادة تأهيل هؤلاء الأطفال هي تعديل السلوك، ومن بعدها تأتي مرحلة التخاطب والتي تساعدهم على الحديث والتفاعل مع المجتمع بشكل طبيعي، هناك الآن أشياء مستحدثة تساعد على التأهيل مثل استخدام الأوزون أو بعض الحمى الغذائية والتي لا تتناسب مع جميع الأطفال، لكن في رأيي هذه الحلول مؤقتة وليست دائمة فهي تساعد على التحسن المؤقت وبعدها يعود الطفل إلى حالته الأصلية، أما تعديل السلوك والتخاطب فهما يؤثران بشكل إيجابي في الطفل.

• هل هناك أنشطة معينة اجتماعية أو رياضية يمكن أن يشترك فيها هؤلاء الأطفال بما يساعد على سرعة تأهيلهم ودمجهم في المجتمع؟

– يتوقف ذلك على طبيعة مرض الطفل؛ فمثلًا الطفل المنغولي مناسب جدًا للمشاركة في أي أنشطة رياضية، وذلك لأن طبيعة شخصيته ودودة ولطيفة، على عكس مرضى التوحد الذين لا يجب أن يشتركوا في أي نشاط رياضي إلا بعد عملية تعديل سلوكهم، وذلك لأنهم انفعاليون، لكن من الممكن أن يتعلموا بعض الأنشطة الفنية مثل الموسيقى والرسم، فمن خلال تعاملي مع هؤلاء الأطفال وجدت أن الكثير منهم لديهم مواهب فنية مميزة وخاصة في هذين المجالين، حتى إن بعضهم قد يتفوّق على أقارنه من الأطفال الطبيعيين.

أسرار النجاح

تسنيم منذر الكيالي/ طالبة أردنية

فتحتُ ذات يوم خزانة قديمة في بيتنا وجعلت أنظر إلى ما فيها من محتويات، فإذا بعيني تقع على ظرف ورقيّ أثار فضولي، هممت بفتحه لأرى ما فيه، فإذ به يحوي صورًا قديمة لي ولإخوتي عندما كنا أطفالاً صغارًا لا تتجاوز أعمارنا السّنة أو السّنتين، قلّبت الصّور الواحدة تلو الأخرى، منها ما أضحكني ومنها ما دمعت له عيني.

سرحت في التفكير وأنا أقول: يا الله! كيف كنّا وكيف صرنا؟ وكيف أنّ هذا الإنسان الذي يرى نفسه أعظم المخلوقات في هذا الوجود لم يكن في الحقيقة شيئًا يذكر قبل أعوام قليلة! فمن منّا يتخيل أن العالِم الجليل أو الرئيس الكبير أو مديرَ ذات السلطة أو العامل البسيط أو أيًّا كان من المشاهير أو الأناس العاديين لم يكن له أيُّ وجود يُذكر يومًا ما على هذه الأرض التي نعيش ؟! مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى الإنسَانِ حِينٞ مِّنَ الدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـًٔا مَّذۡكُورًا﴾(الإنسان:١).

ومن منا يتخيل أن كل هؤلاء الأشخاص- الذين هم أعلى منّا مرتبة والذين هم أقل منّا مرتبة أيضًا- قد كانوا في يوم من الأيام أطفالاً مثلنا مثلهم، يلعبونَ وينامون ويأكلون ويشربون ويمرحون كسائر الأطفال؟ أجل.. فإننا كلنا بشر وجميعنا خُلقنا لا ندري عن الحياة أي شيء.

التواضع لله

هناك تساؤلات كثيرة أصبحت تجيء إلى ذهني، إن كان البشر بعضهم مثل بعض فلماذا إذن يتكبّر القوي منّا على الضعيف، ويتواضع الضعيف لمن هو أقوى منه سلطة ومكانة؟ ألا يتذكر الإنسان أنّ كل من على هذه الأرض قد خلقوا سواسية ضعفاء وأطفالاً لا يفقهون شيئًا بل ويحتاجون إلى من يرعاهم ويعتني بهم؟ ألا يتذكر

الإنسان أنه لا فرق بينه وبين غيره إلا بتقوى الله تعالى؟ ألا يعلم أن الله تعالى بيده أن يُعلي من شأن الضعيف ويذلّ القوي بلحظة واحدة فتنقلب كل الموازين؟ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(يس: ٨٢) ، فكل شيء على الله هيّن، وما نحن إلا عبيد بيده، وكل البشر هالكون لا محالة، فلن يبقى إلا وجهه.

استغلال المواهب

تبادر إلى ذهني أمر آخر يثير تساؤلي أيضًا؛ إن كنّا قد خلقنا جميعًا لا نفقه شيئًا عن هذه الحياة فلماذا إذن نجد الكثير من الاشخاص إن رأوا شخصًا كثير العلم أو المعرفة أو الشهرة مثل شيخ يحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو عالم بكل الأحاديث وأصول الدّين خُيّل إليهم بطريقة أو بأخرى أنه ولد هكذا؟! أو ظنّوا أنه شخصٌ له قدراتٌ عجيبة تفوق قدرات عامّة البشر، فيتخيّلون أنّ بينهم وبين هذا الشيخ طريقًا طويلة تمتد آلاف الأميال، بل ويكاد لا يكون لها نهاية وكأنّها صحراء واسعة، إن مشى فيها أحدٌ تاه، ولم يدرِ أين الاتّجاه، ولم يعلم حتى إن كان سيجتازها حيًّا أم لا! وبناءً على هذه التخيلات فقد قرّر الكثير من الأشخاص ألا يدخلوا إلى هذه الطريق الطويلة منذ البداية، وظنّوا أنّ مكانهم الذي هم فيه أكثر راحة وأمانًا لهم من خوض مغامرة في صحراء لا تحمد عقباها، بل واكتفوا بالمشاهدة من بعيد إلى من يصل إلى الجهة الأخرى من هذه الطريق! ولو علموا أن هذه الطريق الطويلة الممتلئة بالأشواك والعقبات هي ذاتها الطريق الموصلة إلى النّجاح لما مكثوا يائسين في أماكنهم، ولبحثوا عن منفذ يعبرون منه إلى الناحية الأخرى.. ناحية النجاح!

قمة جبل

هذه حياة الكثيرين منّا، نظن أنه ليس بمقدورنا اللحاق بمن وصلوا إلى القمة، ونكتفي بمشاهدة أحدث ما يتوصّلون إليه من مكاننا، فهم كمن وصل إلى أعلى قمة جبل عالٍ فأصبح كل من في الواد ينظر إليه ويشاهده من بعيد!

ظانّين أنه أحسن منهم، وأن الله تعالى قد فضّله عليهم وفتح عليه وحده، لا والله فليس من وهبه الله النجاح هو الوحيد القادر على أن يصل إلى أعلى الدرجات، فكلّنا قادرون على ذلك فالله تعالى لم يفضّل عبدًا من عباده على الآخر في كل شيء، بل أعطى كل إنسان من النعم والقدرات والمواهب ما يساوي الإنسان الآخر من المواهب والقدرات والمنح وإن اختلفت في أنواعها وأشكالها، فكلّنا سواسية فيما وهبنا خالقنا، فتجد أنه حتى من أخذ الله منه نعمة من النّعم فقد عوّضه الله بغيرها ..كنعمة البصر مثلاً، فترى لدى الكثيرين ممن فقدوها مواهب وقدرات عظيمة، وفي الغالب تكون حاسّة السمع واللمس لديهم أقوى من المبصرين، وأكبر مثال على ذلك هيلين كيلر، فقد كانت فاقدة للسمع والبصر ومع ذلك فقد تعلّمت الكتابة والقراءة بخمس لغات- الإنجليزية والألمانية والفرنسية واللاتينية واليونانية- ودرست النحو والآداب وحصلت على بكالوريوس في العلوم وهي في سن الرابعة والعشرين وحصلت على شهادة دكتوراه في العلوم وشهادة دكتوراه في الفلسفة، بل وكانت تستثمر أوقات فراغها بالخياطة والتّطريز والقراءة كما استطاعت تأليف الكتب وتدريس غيرها من فاقدي البصر وكانت مصدر

إلهام للكثيرين! فالفرق بين بني البشر هو في استغلال الطاقات والقدرات التي وهبهم الله إياها.

عزيمة وإرادة

أين نحن من ذلك التفوق ومن تلك العزيمة؟ تجد الواحد منّا إذا ما تحقّقت له رغبة من رغباته قعد حزينًا لا يكلّم أحدًا وكأن الدّنيا قد أغلقت أبوابها جميعها أمامه، وإن فقد شيئًا ثمينًا على قلبه يئس من الدنيا وما فيها! ولكن هيلين لم تكن كذلك فقد قالت ذات يوم إحدى عباراتها المشهورة التي كانت حافزًا لها في التّغلب على العقبات وهي: «عندما يغلق باب للسعادة فإنه سيُفتح باب آخر، ولكننا في كثير من الأحيان ننظر طويلاً إلى الأبواب المغلقة بحيث لا نرى الأبواب التي فُتحت لنا» فالأشخاص العظماء هم وحدهم القادرون على اكتشاف ما يستطيع العقل البشري فعله فيستثمرونه في إعمار كوكبنا، وقد ميّزنا الله تعالى عن سائر مخلوقاته بأن وهب لنا هذا العقل البشري الذي بإمكان صاحبه

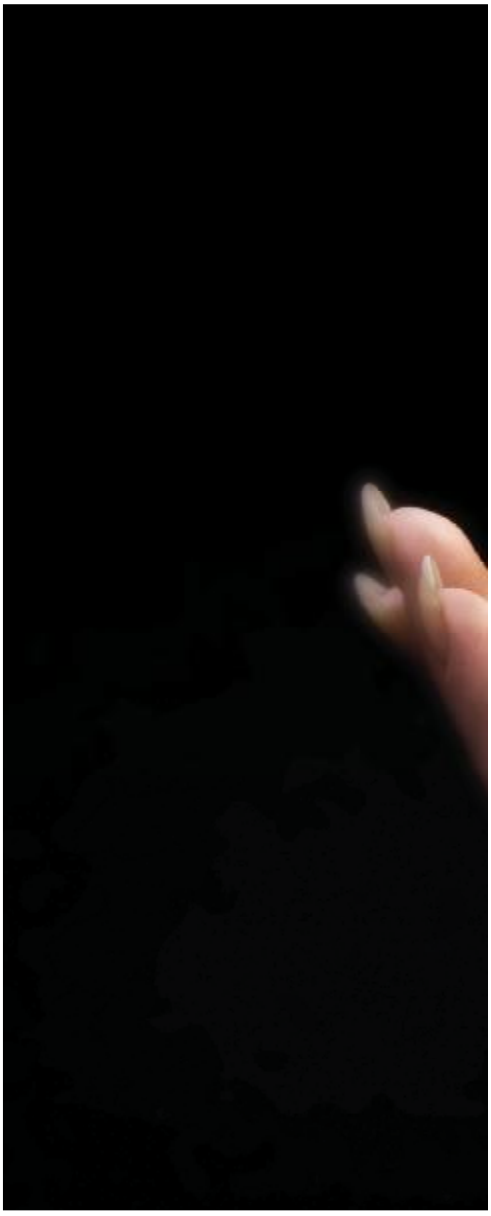

إن قام بتفعيله وتطويره أن يصنع أكبر المعجزات، أمّا إذا أهملناه وقلّلنا من شأنه فسيتدنى مستوى التّفكير لديه وستضعف قدرته الاستيعابية شيئًا فشيئًا ويوم القيامة سيكون حجة علينا أمام خالقنا! أفلا نكون عبادًا شاكرين لربّنا عاملين بنعمه بعزيمة وإرادة وإصرار على تحقيق الغايات؟

أروع مثال

ولا تجد أروع مثلاً من رسول الله ﷺ في تحقيق القمة في النجاح، مع أنه نشأ يتيمًا وفقيرًا، ولكنه لم يستسلم لواقعه بل تحداه وبلغ القمة في الشموخ والعظمة فقد أُنزل عليه الوحي وعمره أربعون عامًا، فمن يتخيّل أن بمقدور أحد منّا أن يغيّر واقع أمّة بأكملها وينشر مفاهيم جديدة وعظيمة ويحارب كل المعتقدات الخاطئة وهو قد جاوز الأربعين عاماً؟! وبرفقته مجموعة من الصحابة العظماء الذين كانوا كبارًا في السّن أيضًا ولكنهم أصحاب هدف سام عالٍ فبلغوا المجد في الرقي ونشر حضارة جديدة دون كلل أو استسلام أو يأس.

إنّني أسأل نفسي دومًا: أليس هؤلاء الأشخاص المبدعون العظماء بشرًا كسائر البشر؟ ألم يكونوا أطفالاً مثلنا مثلهم أيضًا لا يعلمون أيّ شيء؟ فكيف إذن وصلوا إلى ما وصلوا إليه؟! لم ينظروا إلى ما ينقصهم وعزموا ألا يكملوا سيرهم إلا به! بل نظروا إلى ما معهم من نِعم وطاقات فقاموا باستثمارها واستغلالها في تحقيق النّجاح، وجعلوا القمّة دائمًا نصب أعينهم يتطلّعون إلى بلوغها كلّما ضاقت عليهم الدّنيا، فكانت حافزًا يدفعهم إلى المضي قدمًا رغم كل الصعاب والأشواك والعقبات التي واجهتهم في طريق النّجاح.

تحكّم بواقعك

مشكلتنا في الواقع أننا ننظر إلى الأمور السطحية فقط ومن كل جانب، ولا نتعب أنفسنا بالتعمق في اكتشاف خبايا الأمور، بل ونسلّم أنفسنا ببساطة إلى هذا الواقع الغامض كي يتحكّم هو بنا، وكلّما مالت الرّياح ملنا حيث تميل، تمامًا كالطفل الصغير، ينظر إلى الحياة فيرى عائلته دائمًا حوله يعتنون به فيظن أن العالم كله خلق لأجله وأن الحياة بدأت مع مولده، وأنها ستمضي على نفس الوتيرة إلى ما لا نهاية، بل ويُخيّل إليه أن أمه وأباه قد كانا كبيرين منذ البداية، وأنهما قد خلقا كما هما الآن يعلمان كل شيء ولا يخطر بباله أنهما قد كانا طفلين مثله في يوم ما، فإنه يرى الظّاهر من الأمور فقطً ولا يعلم أعماقها، فيطمئن قلب هذا الطفل الصغير ويسلّم نفسه إلى الواقع وإلى أهله كي يعتنوا به، فما بيده حيلة! ولكن لو أن الواحد منّا عمل بجد فاكتشف ما في خبايا عقله ونفسه من قدرات واستغلّها، ولم يكتف بالظاهر منها فقط بل وتعمّق في الاكتشاف لحقق الكثير من المستحيلات، فلا تدع الواقع يتحكّم بك تحكّم أنت بالواقع ولا تكن كمن تقوده رياح وأمواج هذه الحياة، كن صاحب شخصية ورأي تدافع عنه، اصنع ما لم يصنعه أحد من قبلك ولا تقل «لا أستطيع» و«أنا هكذا»، فالكلّ قادرٌ على التغيير كبارًا كانوا أم صغارًا.

معبد قديم

وهنا أذكر حادثة صغيرة حدثت معي تذكّرتها الآن وكانت قد أثرت في نفسي؛ ففي أحد الأيام ذهبنا في رحلة سياحيّة إلى إحدى البلدان (غير العربية)، وكان من ضمن الرحلات أن نذهب إلى معبد قديم فيه أوثانٌ مصنوعة من الذّهب والعياذ بالله، فسأل أبي المرشد السّياحي الذي كان معنا وكان ممن يعبدون تلك الأصنام: لماذا تعبدون أشياء أنتم صنعتموها ولن تضرّكم أو تنفعكم في شيء؟ فقال: هذا ليس من شأني ولا أدري لماذا، فأنا أعبد فقط ما وجدت عليه آبائي وأجدادي! حينها حمدت الله على نعمة الإسلام وقلت سبحان ربنا القائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(البقرة: ١٧٠)، فهذه وللأسف طبيعة الإنسان يخاف من التغيير، وإنه لا يتعب نفسه في اكتشاف الحقيقة والشيء جديد، فهو يريد كلّ شيء أن يأتيه على طبق من ذهب دون جهد أو تغيير في النفس والواقع.

تقوي الأوعية الدموية وتساعد على إنقاص الوزن..

احمِ قلبك بحبة فستق!

محمد سعد
القاهرة - دار الإعلام العربية

كثير من النعم أوجدها الله سبحانه وتعالى وجعل فيها منافع كثيرة للإنسان تتوالى اكتشافاتها علميًا يومًا بعد يوم.. وهذا ما ذهبت إليه دراسة حديثة أجراها باحثون بجامعة «بنسلفانيا» الأمريكية أكدت أن تناول الفستق يؤدي إلى تقليل مخاطر الإصابة بأمراض القلب، ويساهم في تقوية الأوعية الدموية، وكذا إنقاص الوزن.. «الوعي الإسلامي» التقت عددًا من الأطباء للحديث عن علاقة «حبة الفستق» بالقلب.. فإلى التفاصيل.

د.هاني محمد أمين استشاري أمراض القلب تحدث عن آخر ما توصلت إليه الدراسات والأبحاث الصحية حول فوائد الفستق (الحلبي) في التقليل من مخاطر أمراض القلب، مؤكدًا أنه يحتوي على مجموعة من العناصر التي تعمل على تقوية الأوعية الدموية ويستخدم في حالات إنقاص الوزن

يخفض الكولسترول ويحمي الشرايين ويضاعف حماية الجسم ضد المخاطر

للسمنة المفرطة، ومن ثم يقلل من احتمالات الإصابة بأمراض القلب، فهو يعمل على خفض نسبة الكولسترول في الدم، وحماية الشرايين منه وزيادة الأكسدة في الدم، ما يقوي من حماية الجسم في حالات تعرضه لمخاطر قلبية.

ويشير إلى أن الفستق أشجار تنتمي إلى فصيلة «بيستاشيا» التي يمتد تاريخها إلى نحو ٨٠ مليون سنة، وتضم العديد من أنواع الأشجار المنتجة للفستق، ويتم زراعتها ببعض البلدان العربية منذ آلاف السنين، وقد اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية بزراعته منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي، حيث تنتشر أشجاره بولاية كاليفورنيا وتُعد أمريكا من ثاني أكبر الدول إنتاجًا للفستق حاليًا.

وتابع: على الرغم من قدم هذه الأشجار إلا أن فوائدها الصحية لم يتم اكتشافها إلا منذ وقت قريب، حيث كان يعتقد قديمًا أن الفستق يعمل على زيادة الوزن، وأنه يعرض الإنسان لأمراض الشرايين وبعض الأمراض الأخرى، إلا أن العديد من العلماء والباحثين أثبتوا عدم صحة ذلك، وأكدوا خلال أبحاثهم التي اعتمدتها أشهر المراكز الصحية العالمية أن الفستق من أكثر الأغذية حماية من أمراض القلب، ويساهم في علاج السمنة وزيادة الوزن.

«أمين» أضاف أن هناك أنواع أغذية

تزيد نسب الإصابة بأمراض القلب كالإفراط في تناول الدهون والأملاح والمخللات والمواد الكحولية إضافة للشاي والقهوة، حيث أكدت مجموعة من الأبحاث أجريت بجامعة جونز هوبكنز الأمريكية أن تناول الإنسان لأكثر من فنجاني قهوة يوميًا يعرضه أكثر للإصابة بأمراض القلب، وكذلك المياه الغازية لاحتوائها على نسب عالية من الصودا.

احم قلبك

د.عبدالخالق حامد أستاذ التغذية، أكد بدوره أن هناك نوعين من الغذاء الأول صحي، والثاني غير صحي وضار، فالغذاء الصحي يستفيد منه الإنسان بجميع احتياجاته؛ نظرًا لاحتوائه على مجموعة من المكونات مثل: البروتينات والكربوهيدرات، والنشويات، والدهون، والفيتامينات والأملاح المعدنية التي تزود الجسم بالنشاط والحيوية وتساعد على الوقاية من الأمراض.. بينما النوع الثاني وهو الغذاء غير الصحي لا يستفيد منه الإنسان بقدر تأثيراته السلبية واحتمالات تسببه للأمراض الخطيرة التي تهدد صحة الإنسان.

كما أكد على أهمية التنويع والتوازن وعدم الإفراط في تناول كميات كبيرة.

وأوضح أن الفستق من أكثر الأنواع الغذائية حماية للإنسان من أمراض القلب، حيث يحتوي على مواد مركزة من أفضل العناصر الغذائية والمعادن والفيتامينات، ولها فوائد صحية عديدة، حيث نصحت رابطة القلب الأمريكية والعديد من الهيئات العالمية المعنية بالغذاء

الإكثار من المياه الغازية وتناول أكثر من فنجاني قهوة يوميا خطر على قلبك!

والصحة تناول هذه المكسرات خاصة الفستق لوضعه على مائدة الطعام بصورة يومية، حيث يعمل على التقليل من الإصابة بأمراض القلب كما يعمل على علاج أمراض السمنة وزيادة الوزن المفرط.

وحول أنواع الأغذية المفيدة للقلب أشار إلى أهمية الإكثار من عسل النحل، حيث يعمل على تقوية النسيج العضلي للقلب، كما أنه غذاء سهل الهضم والامتصاص، كما يعمل البصل والثوم على عدم ارتفاع مستوى الكولسترول بالجسم، والحفاظ على ضغط الدم ومستوى الجلوكوز بالدم.

كما ينصح بتناول جميع أنواع الأسماك التي تساعد الإنسان على عدم التعرض لأخطار القلب وذلك لاحتوائها على أحماض دهنية غنية بعناصر الأوميجا التي تعمل على توفير الحماية من الإصابة بالأزمات القلبية كالذبحة الصدرية، مشيرًا إلى إحدى الدراسات التي أكدت أن تناول الفرد لمقدار ٢٨ جرامًا من السمك يوميًا يقلل من فرصة الإصابة بالأزمات القلبية إلى النصف بالنسبة إلى الأشخاص الذين يفتقر غذاؤهم إلى الأسماك.

كما أكد أن مريض القلب يحتاج إلى نظام غذائي وإرشادات يجب اتباعها ومنها تناول الأطعمة قليلة الدهون وعدم الإكثار من تناول الأملاح والسكريات مع الإكثار من تناول الخضروات والفاكهة والابتعاد عن تناول جميع أنواع المنبهات كالقهوة والشاي والكاكاو والحرص على الحركة والنشاط وممارسة الرياضة المنتظمة، مضيفًا أن عدم الانتظام في تناول الوجبات الغذائية في أوقاتها وتناول وجبات إضافية بين الوجبات الرئيسية، والإكثار من تناول الطعام المقلي من أكثر الأسباب التي تزيد من احتمالات الإصابة بالأمراض خاصة أمراض القلب.

عادات غذائية

بدوره، أكد د.حسن السيسي استشاري أمراض القلب أن هناك العديد من الأغذية التي تقوي وتحمي القلب من الأمراض وينصح بتناولها باستمرار خاصة الفستق، التفاح، الموز، البروكلي، الجزر، وأيضًا السمك والليمون والشاي الأخضر، البرتقال، الفراولة. موضحًا أن هناك علاقة بين العادات الغذائية الخاطئة وانتشار أمراض القلب خاصة في مجتمعات الدول الثالث، حيث

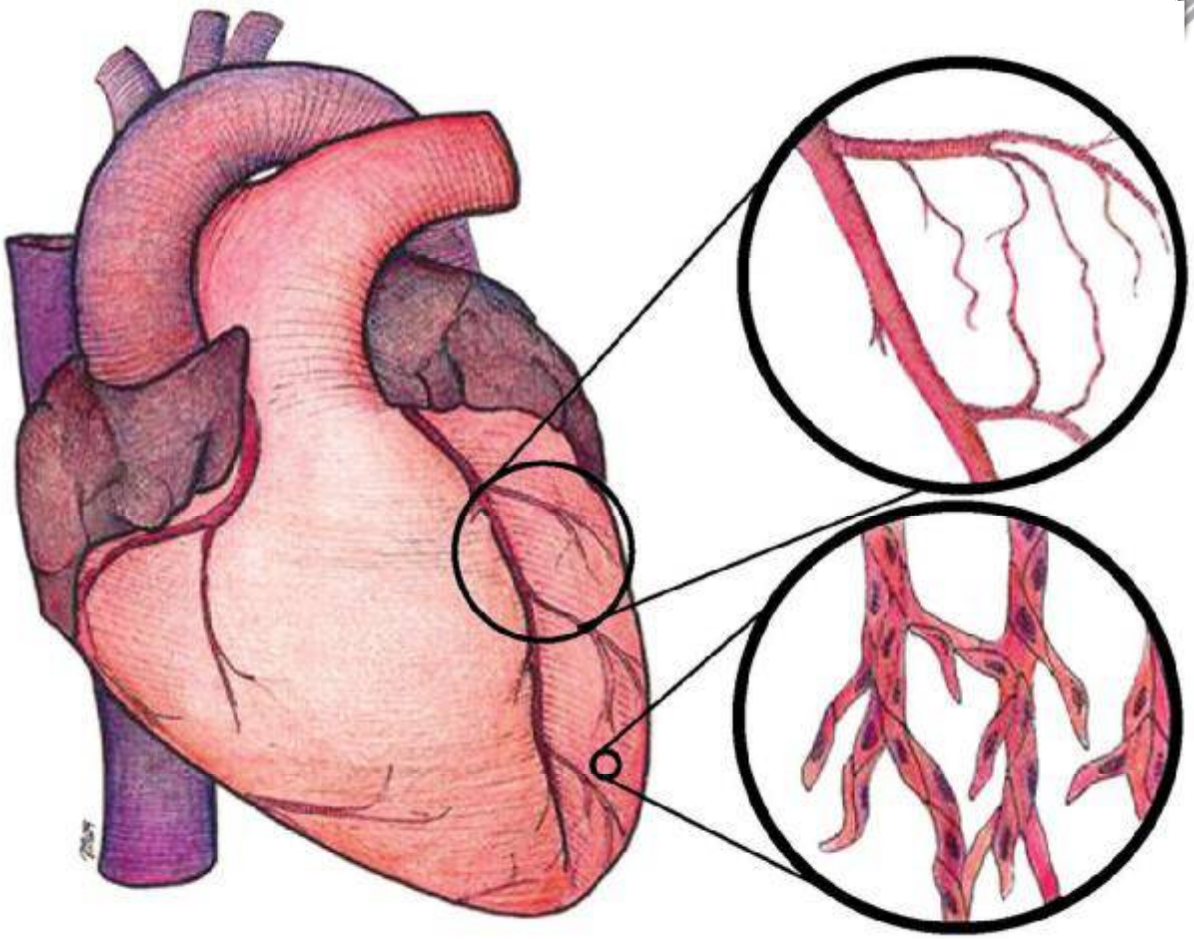

يلاحظ ارتفاع نسب الإصابة بأمراض الشرايين.

وعن العادات الغذائية الخاطئة التي تزيد من الإصابة بأمراض القلب، أوضح أن أكثرها عدم الاعتدال في تناول الطعام، الابتعاد عن ممارسة الرياضة وخاصة رياضة المشي، تناول الأملاح بكميات كبيرة في أغلب الأطعمة، وهذه عادة سيئة منتشرة بصورة كبيرة في البلدان العربية، عدم الاعتماد في أكلنا على الحبوب الغنية بالعناصر الغذائية السليمة مثل بذور القمح والأرز الأسود وبذور الكتان المطحون، أيضًا عدم تناول كميات كافية من الخضروات والفاكهة وتناول الأطعمة الغنية بالدهون والكولسترول.

الصدفية والقلب

أخيرًا.. أوضحت د.نادية غورست أستاذ الأمراض الجلدية، أن الأمراض الجلدية ليست بعيدة عن أمراض القلب، حيث تشير الدراسات الطبية إلى أن المصابين بأمراض الصدفية أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب، مضيفة أن الصدفية على الرغم من أنها مرض غير معدٍ إلا أن نسب

مرضى الصدفية والعلامات الصفراء أكثر عرضه لتصلب الشرايين والذبحات الصدرية

الإصابة به كبيرة بمختلف الفئات العمرية، حيث يصيب الجلد والمفاصل والأظافر، ويعتقد أن للوراثة سببًا في حدوثه مع عوامل خارجية هي الإكثار من شرب الكحول أو التوتر العصبي أو بعض الالتهابات، كما أكدت «غورست» أن هناك أيضًا بعض الأمراض الجلدية الأخرى التي لها علاقة بأمراض القلب كالعلامات الصفراء التي تصيب منطقة جفن العين وهي نتيجة تجمع كولسترول بالجسم، حيث تشير الإحصاءات الصحية أن هناك أكثر من ٥٠٪ من المصابين بأمراض العلامات الصفراء بالجفن أكثر عرضة لأمراض القلب والشرايين.. واتفقت مع الآراء السابقة على أهمية تناول الفستق في الحماية من الأمراض خاصة المرتبطة بالقلب.

الشاعر والناقد الأدبي د.جابر قميحة.. إلى رحمة اللّه

فقدت الأمة العربية والإسلامية في الـ ٩ من نوفمبر ٢٠١٢ شاعرًا وكاتبًا مسرحيًّا وأديبًا وناقدًا من الطراز الأول، طالما ذب عن حياض الأدب الإسلامي ووضع أطره وحدد مناهجه وشكل تصوراته، وطالما انتظر قراؤه بشغف مقالاته الدورية في المجلات (وعلى رأسها مجلة الوعي الإسلامي) والصحف والشبكة العنكبوتية.. انتقل الدكتور جابر قميحة إلى جوار ربه عن عمر ناهز الـ٧٨ عامًا بعد صراع طويل مع المرض.

ولد الدكتور جابر المتولي قميحة عام ١٩٣٤ بالمنزلة بمحافظة الدقهلية، وحصل على ليسانس دار العلوم، جامعة القاهرة عام ١٩٥٧، وماجستير في الأدب عام ١٩٧٤، ودكتوراه في الأدب العربي الحديث عام ١٩٧٩، كما حصل على ليسانس في القانون من كلية الحقوق عام ١٩٦٥، ودبلوم عالٍ في الشريعة الإسلامية ١٩٦٧.

وعمل الفقيد مدرسًا وموجهًا للغة العربية، ومدرسًا للأدب العربي الحديث بكلية الألسن بجامعة عين شمس، ثم أستاذًا مساعدًا، وأستاذًا مشاركا بجامعة الملك فهد بالظهران، وترك عدة دواوين شعرية منها «لجهاد الأفغان أغني»، و«الزحف المدنس»، ومن مؤلفاته الأدبية والنقدية «منهج العقاد في التراجم الأدبية»، و«أدب الخلفاء الراشدين»، و«التقليدية والدرامية في مقامات الحريري»، و«أدب الرسائل في

صدر الإسلام»، و«الشاعر الفلسطيني الشهيد عبدالرحيم محمود»، و«التراث الإنساني في شعر أمل دنقل»، و«رواية وليمة لأعشاب البحر في ميزان الإسلام والعقل والأدب».. رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى.

رياض الخير.. في رياض الجنة

فجعت مجلة «الوعي الإسلامي» بوفاة ابن بار من أبنائها ورجلًا مخلصًا من أنبل رجالاتها، الشيخ الأستاذ رياض عطية هيبة الذي وافته المنية إثر حادث أليم على طريق القاهرة- الإسكندرية الزراعي، صبيحة يوم الأربعاء الـ ٧ من نوفمبر ٢٠١٢، عن عمر تجاوز الثلاثين بعامين اثنين.

ولد الشيخ رياض هيبة في اليوم الأول من شهر ديسمبر عام ١٩٨٠ بقرية الزمارنة، إحدى قرى مدينة دمنهور، عاصمة محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية، وما إن أتم دراسته الابتدائية حتى ألحقه والده- رحمه الله- بمعهد قراءات دمنهور، ثاني أقدم معاهد القراءات بمصر، لما رأى نبوغه في حفظ القرآن الكريم وتجويده، ليسلك بذلك خطًا مغايرًا ومنفردًا في السلم التعليمي المعتاد لرفاقه وأبناء جيله، وقد كان- رحمه الله- عند حسن الظن به، فقد حصل على عالية القراءات بتفوق، ثم تخصص القراءات، وكان الأول على الجمهورية ثم التحق بكلية القرآن الكريم وعلومه بجامعة الأزهر بطنطا وحصل على درجة الليسانس بتقدير ممتاز (٢٠٠٤)، وكان أول دفعته، بل والدفعات التي سبقته والتي تخرجت حتى وفاته- رحمه الله.

عمل الشيخ رياض إمامًا في وزارة الأوقاف الكويتية من عام

٢٠٠٥ حتى عام٢٠١٢، وعمل مصححًا لغويًّا ومراجعًا شرعيًّا بمجلة «الوعي الإسلامي» منذ عام ٢٠٠٩، وغادر، رحمه الله، الكويت بعد وداع أصدقائه وزملائه قبل أشهر من وفاته، بعد أن عين معيدًا بكلية القرآن الكريم وعلومه بجامعة الأزهر بطنطا، وقد وافته المنية أثناء ذهابه إلى عمله.

شهد له، رحمه الله، القاصي والداني بحسن الخلق وطيب المعشر والتواضع الجم، مع ما أوتيه من حفظ كتاب الله كاملًا لا يخرم منه حرفًا بقراءاته العشر الصغرى والكبرى من طرق الشاطبية والدرة والطيبة، وسند متصل بالرسول الكريم ﷺ، وقد نال - رحمه الله - كثيرًا من المراكز الأولى في مسابقات وزارة الأوقاف في القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.. بكاه كل من عرفه وتعامل معه.. اللهم تقبله عندك مع النبيين والصديقين والشهداء.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

كتب الفتوى في المذاهب الأربعة:

أمَرَ الله تعالى عبادَه المؤمنين بعبادته وطاعته، وعلّق فلاحَهم في الدنيا والآخرة عليهما؛ فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج : ٧٧)، ولذلك أرسل الأنبياءَ والمرسلين ليدلُّوا الناسَ على سبيل عبادته، ثمّ أمَرَ العلماءَ والفقهاءَ من المسلمين بذلك، وقد عَلِم الله تعالى ضعفَ الناس وقلّة حيلتهم؛ فأمرهم بالرّجوع إلى أهل الذكر إذا لم يعلموا؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل : ٤٣).

وقد دَرَجَ العلماء على بيان حكم الله تعالى عمومًا؛ فعقدوا المجالس الفقهية، وألّفوا كتب الأحكام، ورتّبوها على الكتب والأبواب، فكان منها في تحقيق مذهب مّا، وتارة في تقرير مسألة معيّنة، وتارة في عرض الخلاف العالي، أعني الفقهَ المقارن.

وأمّا وجهُ الخصوص في بيان الأحكام فكان من خلال السؤال واستفتاء العلماء في النّوازل والأسئلة الفقهيّة؛ وهو ما يسمّى بالفتاوى؛ فعُقدت المجالس لذلك، وصُنّفت المؤلّفات؛ من خلال جمع الفتاوى المتناثرة لإمام من أئمة الشريعة، أو لجَمْع منهم في مذهب معيّن، أو من تصنيف فقيه على أبواب الفقه؛ وهذا كثير.

وتأليف كتب الفتاوى – على هذه الشاكلة – لا يكاد يحصى في المذاهب الأربعة: عند الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، ويحسن بنا الوقوف على بعضها؛ ليسهل على القارئ الكريم اقتناؤها والرّجوع إليها عند الحاجة، ومنها:

– من كتب الفتاوى في المذهب الحنفيّ:

– «المنتف في الفتاوى»، تأليف: شيخ الإسلام علي بن الحسين السُّغدي؛ المتوفى سنة (٤٦١هـ).

– «فتاوى قاضيخان»، تأليف: فخر الدين

فتاوى الوعي

الإشاعة والتشهير في الصحف والمجلات

الموضوع (٢٣٤) مايو ١٩٩٧

سئلت «لجنة الفتوى في الأزهر الشريف» السؤال التالي:

نحن مضطرون إلى قراءة الصحف والمجلات للاطلاع على الأخبار وزيادة المعلومات، ولكن نجد فيها أمورًا خارجة أحيانًا عن الدين والذوق؛ كالصور الفاضحة، والإعلانات عن سهرات راقصة، وترويج أفكار شاذة، وغير ذلك؛ فهل نقاطع الصحف أم ماذا نفعل؟ وهل من الدّين نشر هذه الأشياء؟

فأجابت اللجنة بالتالي:

يطلق الكتّاب على الصحافة اسم السلطة الرابعة –بعد التشريعية والتنفيذية والقضائية– لقوة أثرها في توجيه الشعب وفي إصدار الأحكام على الأشخاص والتصرفات، وتكوين الرأي العام، وهي تقوم على الإعلام والإخبار، وعلى الرأي والمعلومات المتنوعة.

تعددت وسائل الإعلام وتطورت، وكثر منها في هذه الأيام الصحافة بأنواعها المختلفة، والإذاعة المسموعة والمرئية، والكتب والنشرات وما إليها، وهي –كما قلنا– تقوم على نشر الأخبار وعلى التعليق عليها أو على أشياء أخرى، وعلى نشر الأفكار ومناقشتها للتأييد أو الرفض إلى غير ذلك من الموضوعات، والواجب عليها الالتزام بالقيم والآداب والقوانين التي تضمن لها عدم الانحراف، وتضمن نجاحها في رسالتها، ومن ذلك:

١ –التزام الصدق في نقل الأخبار، بالتحري عنها والتثبت منها، وعدم التعجل في النشر للفوز بالسبق الصحفي، وأدلة ذلك مذكورة في موضوع الإشاعة.

٢ – نشر المعلومات المفيدة التي تحكمها القيم الدينية والقوانين الصحيحة، والبعد عن ترويج الأفكار الشاذة والمنحرفة.

٣–الحيدة في التعليق، ونقد الآراء، وعدم التحيز والتعصب والخروج بذلك عن حدود الآداب.

٤– البعد عن نقد الثوابت من قواعد الدّين، لأن ذلك يؤدي إلى رفضها وبلبلة الأفكار حولها، والنصوص في ذلك كثيرة.

٥ –إذا كانت القوانين تحمي حرية الرأي والصحافة؛ فليس معنى ذلك أنها حريّة مطلقة، ولكن هي مقيدة بقيود الثوابت من شعائر الدين والأخلاق والأعراف الصحيحة.

٦ – الرقابة الشديدة على الصحافة ووسائل الإعلام لضمان عدم انحرافها، ووضع العقوبات الرادعة على المخالفات، وبخاصة على الإشاعات والأخبار الخطيرة في الحرب والسياسة مثلًا.

حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني الحنفي المتوفى سنة: (٥٩٢هـ).
- «الفتاوى التاتارخانية»، تأليف: عالم بن العلاء الأندريني الدّهلوي الهندي، المتوفى سنة: (٧٨٦هـ).
- من كتب الفتاوى في المذهب المالكيّ:
- «فتاوى ابن أبي زيد القيرواني»، تأليف: الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ).
- «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام»، ويسمى بـ«فتاوى البُرزُلي» والبرزلي هو: أبوالقاسم ابن أحمد البلوي القيرواني (ت٨٤١هـ).
- «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»، تأليف: أحمد بن يحيى الونشريسي أصلًا الفاسي دارًا ووفاة (ت٩١٤هـ).
- من كتب الفتاوى في المذهب الشافعيّ:
- «فتاوى العز بن عبدالسلام»، تأليف: شيخ الإسلام عبدالعزيز بن عبدالسلام (ت٥٧٧هـ).
- «فتاوى الرملي»، تأليف: شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي (ت٩٥٧هـ)، جمعها: ابنه، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ).
- «الفتاوى الفقهية الكبرى»، تأليف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبوالعباس (ت٩٧٤هـ) جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (ت٩٨٢هـ).
- من كتب الفتاوى في المذهب الحنبليّ:
- «مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله»، تأليف: عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ).
- «مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه»، تأليف: إسحق بن منصور المروزي (ت٢٥١هـ).
- «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (ت٧٢٨هـ)، وقد طبعت عدة مرات، وآخرها تلك المجموعة التي استلّها جامعها: ابن القاسم رحمه الله تعالى وابنُه من مختلف المكتبات والكتب، وطبعاها بالمملكة السعودية في سبعة وثلاثين مجلدًا، وكان المجلدان الأخيران فهارسَ للفتاوى.

ولعلّنا في مقالات لاحقة نتكلم عن مناهج المفتين وعاداتهم في كتبهم، إن شاء الله تعالى.

٧ - العناية الشديدة بالناحية الدينية تحريرًا ونشرًا ورقابة وجزاء، فللدين أثرُهُ الذي لا ينافس في تصحيح الفكر وتقويم السلوك.

وعلى من يقرأون الصحف ألا يسارعوا في تصديق أخبارها الفردية التي لم تصدر عن جهة موثوق بها، والمبادرة بالرد على الأكاذيب من الأخبار والأفكار، ولا أقول بمقاطعتها تماما، فلا غنى عنها. وبالجملة فإن رسالة الصحافة والإذاعة ووسائل الإعلام الأخرى تقوم على أمور أربعة أساسية: نظافة النشر، ويقظة التلقي، وصدق الرقابة، وعدالة الجزاء.

وهي كلها متضامنة في تحقيق رسالتها، والتقصير في واحد منها يؤدي إلى انحرافها الذي يجرف أمامه المتهم والبريء: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥). بتصرف يسير جدًا.

إعلانات الزواج وذكر مواصفات النساء

الفتوى رقم (١٧٩٣٠)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التّالي:

ما حكم إعلان البنات عن أنفسهن في الجرائد والمجلات مع مواصفاتهن لمن يرغب خطبتهن والزواج منهن؟

فأجابت بما يلي:

إعلان المرأة في الجرائد والمجلات عن رغبتها في الزواج وذكر مواصفاتها، يتنافى مع الحياء والحشمة والستر، ولم يكن من عادة المسلمين، فالواجب تركه، وأيضًا هذا العمل يتنافى مع قوامة وليها عليها، وكون خطبتها عن طريقه وموافقته.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نشر الإعلانات الدعائية للبنوك الربوية

(٣١٣٧/٤٠٨/١٠)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُه:

هل يجوز نشر إعلانات خاصة بالبنوك الربوية بالمجلة مقابل مبالغ؟

فأجابت اللجنة بالتّالي:

إذا كانت الإعلانات الدعائية المسؤول عنها تتضمّن دعوة إلى الربا، أو إغراء به وتشجيعًا عليه أو على أي محرم آخر، فإنّها لا تجوز، وذلك لتواتر النصوص على حرمة الربا، وحرمة كل ما يعين عليه. والله أعلم.

إعداد : خالد محمد خلاوي

مميزات جديدة في نظام ويندوز فون ٨ للهواتف الذكية

أعلنت شركة مايكروسوفت رسميًا عن إطلاق نظام ويندوز فون ٨ المخصص للعمل على الهواتف الذكية، وقالت مايكروسوفت إنها سعت إلى تطوير نظام تشغيل خاص بالهواتف الذكية يلبي احتياجات المستخدمين على تنوعها، وقد جاء ويندوز فون ٨ ليقدم للمستخدم ما يحتاجه، بخلاف ما تقدمه بقية الهواتف بأنظمتها الأخرى التي تركز واجهاتها على الأيقونات كما هو الحال في أندرويد وiOS.
وأكدت مايكروسوفت في مؤتمر صحفي بأنه قد تم تصميم ويندوز فون ٨ ليناسب كافة المستخدمين على اختلاف أعمارهم واهتماماتهم وطرق استخدامهم للهاتف.
ويحتوي نظام ويندوز فون ٨ على الكثير من الميزات الجديدة، ومن أبرزها ميزة إظهار المعلومات الحية على الشاشة الرئيسية للهاتف من خلال التطبيقات المخصصة

لهذا الغرض والمدعوة "Live Apps"، والتي تمكن المستخدم من متابعة الأخبار والأحداث المختلفة حتى من خلال شاشة القفل التي يمكنها أن تعرض آخر التحديثات والصور من مختلف التطبيقات بشكل مباشر، وبالأخص تطبيقات الشبكات الاجتماعية كتطبيق فيسبوك وتويتر وغير ذلك.
كما يمكن تخصيص شاشة القفل بطرق عديدة سواء كانت عن طريق التعديل اليدوي أو عن طريق التطبيقات المختلفة.
ويعد ويندوز فون ٨ النظام الوحيد الذي يقدم هذه الميزة في

تويتر يصل إلى نصف مليار تغريدة يوميًا

ذكر الرئيس التنفيذي لشركة تويتر ديك كوستولو في تصريح لموقع V٣ البريطاني، بأن خدمة التدوين المصغر (تويتر) تقوم حاليًا بمعالجة ما يعادل نصف مليار تغريدة في اليوم، وذلك خلال الكلمة التي ألقاها في مؤتمر «Internet Advertising Bureau's Engage» الذي أقيم في العاصمة البريطانية لندن.
وبحسب البوابة العربية للأخبار التقنية فإن كوستولو أشار إلى أن تويتر تقوم حاليًا بتجربة أداة الإعجاب «like» وأداة النجمة «star» التي ستحل قريبًا محل أداة المفضلة «favorite» المعتمدة سابقًا منذ عدة سنوات. ويشار إلى أنه في وقت سابق قدم موقع The Next Web تقريرًا يتحدث فيه عن تجربة جديدة تقوم بها تويتر تتعلق بهذا الشأن. إلا أن تويتر رفضت التعليق حول الموضوع.
ويذكر أن موقع تويتر أطلق رسميًا في أكتوبر من عام ٢٠٠٦، وقد تطور خلال فترة قصيرة ليصبح من أسرع مواقع التواصل الاجتماعي نموًا في العالم.

الآن يمكنك البحث عن الملفات التي أرفقتها في بريد gmail يوميًا

ميزة جديدة أضافها عملاق البحث جوجل من خلال خدمة البريد الإلكتروني gmail تتيح للمستخدمين البحث في الرسائل المرسلة والواردة عن ملف محدد أو صورة محددة تم ارفاقها مع الرسائل.
وحسب ما جاء في شرح الخدمة الجديدة على مدونة جوجل الرسمية، يمكنك استخدام عبارة has:attachment مع إضافة كلمة البحث بعدها، لتعرض لك كافة النتائج المرتبطة في كل مرفقات الإيميل الوارد والصادر.
كما يمكنك قصر البحث عن ملفات الـ PDF فقط، كمثال، باستخدام العبارة التالية في مربع بحث الجيميل has:attachment filename:pdf

الوقت الحالي كما قالت الشركة.
وأشارت مايكروسوفت بأن متجر التطبيقات الخاص بويندوز فون ٨ يحتوي حاليًا على أكثر من ١٢٠ ألف تطبيق، مع توقعات بازدياد كبير في أعداد تلك التطبيقات على اختلافها في الفترة المقبلة.
وأضافت مايكروسوفت بأن متجر التطبيقات يحتوي الآن على ٤٦ من بين أشهر ٥٠ تطبيق على الإطلاق على منصات الهواتف الذكية المختلفة، فضلًا عن الألعاب المشهورة والمتوفرة حاليًا لدى انطلاق النظام مثل Where's My Water و Angry Birds Star Wars وغيرها، كما سيتوفر لويندوز فون ٨ قريبًا مجموعة جديدة من الألعاب الشهيرة مثل Temple Ride و Jetpack Joyride.
وبحسب مايكروسوفت، تقدم ميزة Data Sense توفيرًا في استهلاك حزم البيانات يصل حتى ٤٥٪، كما أنها تراقب حجم الحزمة الخاصة بالمستخدم، وتتكيف معها في حال اقترابها من حد الاستهلاك المخصص بحيث لا تتجاوزه، إضافة إلى إمكانية مراقبة حجم الاستهلاك من خلال الرمز الخاص بها الذي يظهر ضمن الشاشة الرئيسية لنظام التشغيل، كما يمكن الاطلاع على معدل استهلاك البيانات الخاص بكل تطبيق على حدة.
وقامت مايكروسوفت بإضافة ميزة خاصة بالأطفال ضمن ويندوز فون ٨ أطلقت عليها اسم "Kid's Corner"، وهي ميزة تسمح للوالدين بالتحكم فيما يستطيع الطفل استخدامه ضمن الهاتف من تطبيقات وألعاب وغيرها، وتساعد هذه الميزة -بحسب مايكروسوفت- الآباء في الاطمئنان على سلامة أطفالهم لدى استخدامهم للهواتف التي تعمل بويندوز فون ٨ الجديد.
ومن التطبيقات المميزة التي تم دمجها ضمن نظام ويندوز فون ٨ هو تطبيق People الذي يجمع جهات الاتصال الخاصة بالمستخدم وأصدقائه في مكان واحد ويقدم إمكانية مشاركة الصور مع الآخرين، حيث تم بناء التطبيق على مبدأ غرف المحادثة. وضربت الشركة مثالًا على غرفة للعائلة وغرفة للأصدقاء، وغير ذلك. وتحتفظ كل غرفة من هذه الغرف بخصوصيتها أي لا يمكن للأصدقاء على سبيل المثال مشاهدة المحتوى الخاص بغرفة العائلة.
إضافة إلى ذلك قامت مايكروسوفت بتحديث تطبيق One Note الذي ينتمي لحزمة برامج أوفيس لكي يصبح قادرًا على تحويل الملاحظات الصوتية إلى ملاحظات مكتوبة.

مصابيح كهربائية يمكن التحكم بها من آيفون

أعلنت شركة فيليبس للإلكترونيات عن طرح جيل جديد من المصابيح الكهربائية للبيع حصريًا في متاجر شركة آبل، وأطلقت فيليبس على تلك المصابيح الجديدة اسم Hue، وهي عبارة عن مصابيح مزودة بصمامات إلكترونية خاصة تعمل بتقنية ZigBee التي تتميز باستهلاكها المنخفض للطاقة، وبإمكانية التحكم بها لاسلكيًا من خلال أجهزة آبل على أجهزة آبل المحمولة مثل آيفون وآيباد، عن طريق تطبيق يعمل ويمكن التحكم بشدة الإضاءة وتغيير ألوانها عن طريق اختيار إحدى الإعدادات المتنوعة الموجودة في التطبيق، أو دمج مجموعة من الألوان مع بعضها للحصول على لون الإضاءة المرغوب.
ويمكن ربط حتى ٥٠ مصباحًا من هذه المصابيح مع بعضها لاسلكيًا، إضافة إلى إمكانية وضع مؤقت زمني لتشغيلها أو إطفائها في أوقات معينة، ويستطيع المستخدم أن يقوم بحفظ أنماط الإضاءة التي قام بإنشائها بحيث يمكنه تشغيل أي منها وتعديلها في أي وقت بلمسة واحدة، كما يمكن توظيف هذه المصابيح عن طريق التطبيق الخاص بها لتعمل كمنبه.

يوتيوب يتيح ترجمة الجمل المكتوب على الفيديو إلى ٣٠٠ لغة

خدمة جديدة أضافها موقع يوتيوب إلى كل المستخدمين في الموقع، تتيح لك ترجمة الجمل المكتوبة على أي فيديو تقوم برفعه على اليوتيوب الى أكثر من ٣٠٠ لغة عالمية، وذلك باستخدام خاصية الـ caption من خلال صفحة محرر الفيديو حيث يمكنك طلب ترجمة هذه الكلمات بنفسك من خلال أداة ترجمة جوجل الشهيرة التي سيوفرها لك الموقع دون أن تغادر صفحة الفيديو .

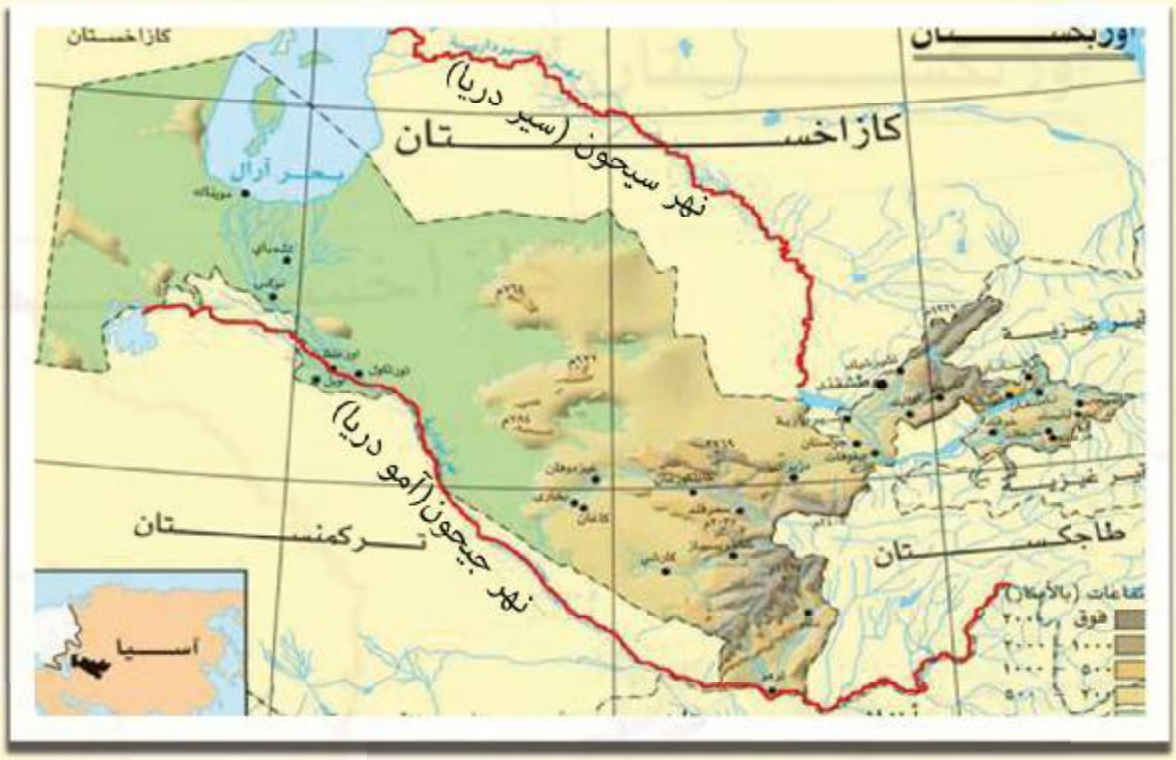

مَاوَرَاء النهر (١)

د. محمد المحمدي النورستاني
باحث دراسات إسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية

مصطَلَحُ «ما وراء النهر» من المصطلحات الجغرافية التي كان يستخدمُها البُلدانيون القدامى، ولم يعد يُستَخدَم الآن، وهو يُطلق على المنطقة الواقعة بين نهرَيْ «جيحون» و«سَيْحون»، ويُطلقُ البعضُ عليها الآن اسمَ (آسيا الوسطى)، وسيأتي تحريرُه.

أولًا: المقصود بـ(النهر) في هذا المصطلح:

لتوضيح المقصود بـ(النهر) في هذا المصطلح، ولبيان المنطقة التي يُطلق عليها بلاد (ما وراء النهر)، لابدّ من الحديث عن نهرَيْ (جيحون) و(سيحون).

١- نهر جيحون:

المقصودُ بـ(النهر) في هذا المصطلح هو نهر (جيحون)، وكان يُسمّى قديمًا (أوكسس)، بينما كان نهرُ (سيحون) يُسَمّى (جكزرتس)، وإطلاقُ اسمَي (جيحون) و(سيحون) على النهرين السابقَين كان من العرب في بداية عصور الإسلام.

وفي بدايات القرن السابع، كاد يُترك استعمالُ اسمَي (جيحون) و(سيحون)، حيث عُرف الأولُ في الغالب بـ(آمو)، أو (آمو دَرْيَا)، أو (دَرْيَايْ آمو) – ومعناه: نَهر آمو(١) – أمّا سيحون فعُرِف بـ(سَيْر دَرْيَا) (٢).

ولازال النهران يُسمّيان الآن بهذين الاسمَين: (آمو دَرْيا)، أو(دريايْ آمو)، و(سير دريا).

وينبع نهرُ جيحون (آمو) من بحيرةٍ في هضبة (البامير)، التي ترتفعُ منها جبالُ (الهملايا)، وتتفرعُ عنها جبالُ (هندوكوش) في شمال أفغانستان(٣).

ويتكوّنُ نهرُ جيحون من مجموعةٍ من الأنهار التي تصبُّ من جبال بامير، وعمودُه الأساسيُّ هو نهرُ (جرياب) (ويُعرف حاليًا باسم پَـنْج، ويُعرف أيضًا باسم وخاب، ويخرجُ من بلاد (واخان)، الواقعة أقصى الشمال الشرقيّ في أفغانستان، ثم تنضمُّ إليه أنهارٌ كبيرةٌ أخرى.

ويقطع نهرُ جيحون من منبعه إلى مصبّه مسافة (٢٥٤٠) كيلومترًا، منها (١١٢٤) كيلومترًا في أفغانستان، والباقية في الجمهوريات التركستانية الأخرى.

وتقعُ على نهر جيحون مجموعةٌ من المدن، ففي نهر جيحون الأعلى (بالقرب من منبعه) في أفغانستان عددٌ منها، كما أنّ اسم (طخارستان) كان يُطلقُ على الأراضي الواقعة على ضفتي هذا النهر في مجراه الأعلى في أفغانستان، وذلك في المنطقة الواقعة بين بدخشان وبلخ.

ومن المدن المعروفة التي تقعُ على نهر جيحون على الجانب الأفغاني: (شيرخان بَنْدَرْ)، و(حيرتان بَنْدَرْ)، وهما الرابط الوحيد بين أفغانستان وبين جمهورية آسيا الوسطى.

كما تقعُ على النهر نفسه – على الضفة الشمالية منه – مدينةُ (ترمذ)، ثم يمرُّ هذا النهرُ على عدة مدن اندثرت، ولم تعد معروفةً إلا للمختصين، وتقعُ أطلالُها في جمهورية تركمانستان، وهذه المدنُ هي: كالف، وزم، وآمل، ودرغان.

وهكذا نرى أن نهر جيحون (آمو دريا) – مع نهر سيحون – يرسم الخريطةَ لبلاد ما وراء النهر، ويحدّدُ معالمها الجغرافية، وعلى ضفافه قامت المدنُ والدولُ الكثيرة(٤).

وإذا أُطلقَ (ما وراء النهر) فالمراد به: ما وراء هذا النهر المذكور، إلى نهر (سيحون) ويُسمى الآن (سَيْر دَرْيَا) كما سبق.

وكان نهر (جيحون) يعدُّ قديمًا الحدّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أي: إيران، وتوران، فما كان في شماله من أقاليم – أي: ورائه: فقد سمّاها العربُ (ما رواء النهر)(٥).

وفيما يلي توضيحٌ عن نهر (سيحون).

٢- نهر سيحون (سير دَرْيا)(٦) :

ينبعُ هذا النهرُ من مرتفعات (بامير) الشمالية، وعمودُه الأساسيُّ هو نهرُ (قر دريا)، ثم يتصلُ به نهرٌ رافدٌ أكبر منه، وهو نهرُ خيلام (ويُسمّى حاليًا: نارين)، وهذه المنطقةُ تقعُ في جمهورية قرغيزيا (السوفيتية سابقًا).

ويتّجهُ نهرُ سيحون (سير دريا) غربًا من منبعه في قرغيزيا حتى يدخلَ في جمهورية أوزبكستان عند مدينة (خوقند)، التي أصبحت تابعةً لجمهورية أوزبكستان، ثم يتجه شمالاً صوب مدينة طشقند عبر أقاليم:

إيلاق، وأشروسنة والشاش. ويُعرف (سيحون) في هذه المنطقة باسم نهر الشاش، وتقع مدينةُ طشقند – عاصمة أوزبكستان – إلى الشرقِ من نهر سيحون.

ثم يدخلُ نهرُ سيحون أراضي جمهورية قازاقستان من جنوبها الغربي، ويواصل زحفه شمالاً حتى يصبّ في بحيرة خوارزم (بحر الآرال)، قاطعًا بذلك الجزء الغربيّ من جمهورية قازاقستان.

ويبلغُ طولُ نهر سيحون (سير دريا) من منبعه إلى مصبّه (٢٧٠٠) كيلومتر، يجري خلالها عبر ثلاث جمهوريات إسلامية (سوفيتية سابقًا)، وهي: قرغيزيا، ثم أوزبكستان، ثم قازاقستان.

فما وراء النهر) هو المنطقة الواقعة بين هذين النهرين، ويشغلُ أكثرَه الآن: جمهوريةُ (أوزبكستان)، والجزء الباقي يشغله: جزءٌ يسيرٌ من قرغيزيا، والجزء الجنوبيُّ الغربيُّ من جمهورية (كازاكستان).

على أن البعضَ لا يتقيّدون بهذا التحديد، فيُطلقون (ماوراء النهر) على جميع الأقاليم الواقعة شمال نهر (جيحون)(٧).

أقاليم بلاد (ما وراء النهر) :

يمكن تقسيم بلاد (ما وراء النهر) إلى خمسة أقاليم:

١-إقليم الصّغد: وهو صُغديان القديمة، مع قصبَتَيْه: بخارى، وسمرقند.

٢- إقليم خوارزم: وهو في غرب الصّغد، وهو الإقليم المعروف بـ(خيوة)، ويشمل على دلتا نهر جَيْحون.

٣- إقليم الصّغانيان: وهو في الجنوب الشرقيّ، ومعه الخُتّل وغيرهما من الكور الكبيرة التي تقعُ في أعالي جيحون.

وقد درجَ البلدانيون على ضَمّ إقليم (بدخشان) إلى ما وراء النهر، وأنه يشكّل مع إقليم (الصغانيان) إقليمًا واحدًا، وقد عدّوا بدخشان من ما وراء النهر وإن وقعت في ضفته اليسرى – أي: الجنوبية–، لأن المنعطف الكبيرَ للنهر فيما وراء طخارستان وحول بدخشان يكادُ يُطوّقها.

٤- إقليم فرغانة: وهو في أعلى نهر سيحون.

٥- إقليم الشاش: وهو اليوم (طشقند)، مع النواحي التي في الشمال الغربي الممتدّة حتى مصبِّ سيحون في مناقع بحر آرال(٨).

دخول الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر:

أصبحَ نهرُ جيحون إسلاميًا منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أرسلَ الأحنفَ بن قيس لفتح بلخ وهراة، وتوالت الفتوحات في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم توقفت أيام الفتنة، لتعاودَ مسيرَها في عهد معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – وتبلغ ذروتَها في أيام عبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك، على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، فتجعلَ نهرَ جيحون وجميعَ روافده نهرًا إسلاميًا خالصًا، من منبعه إلى مصبّه، كما جعلت أيضًا نهرَ سيحون (سير دريا) من منبعه إلى مصَبّه – تقريبًا– نهرًا إسلاميًا خالصًا(٩).

وفي المقال القادم سأتحدّث– بإذن الله تعالى– عن أسماء (ماوراء النهر) قديمًا وحديثًا، وعن وصف البلدانيين لهذه المنطقة، وعن مآثرها.

الهوامش:

١– ذكر بعضهم أنه سمي بهذا الاسم إلى مدينة (آمل)، وتقع في خراسان، إلى الغرب من جيحون على مسافة ميل واحد منه، على الطريق من (مرو) إلى (بخارى)، وكان يطلق عليها (آمل زم) أو (آمل شط)، تمييزًا بينها وبين (آمل طبرستان). وكانت تسمى أيضا (آمو). أو (آمويه)، وبها سمي هذا النهر الذي يمر بجوارها، وقد دمرها المغول، ثم أعيد بناؤها، وتسمى الآن (جهار جوي)، أي: الأنهار الأربعة، على أن لسترنج لم يرتض هذا التعليل، مع أنه قوي، والله أعلم.
انظر: (بلدان الخلافة الشرقية) (ص:٤٧٧– ٤٧٩).

٢–انظر: (بلدان الخلافة الشرقية) (ص:٤٧٧).

٣– تسمى جبال بامير سقف العالم، لأن فيها أكثر الجبال ارتفاعًا في العالم، وهي تدخل في عدة دول، منها: جمهورية طاجكستان، والتبت، وكشمير، وتتفرع منها جبال هندوكوش الواقعة في شمال أفغانستان.

٤– (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) للدكتور محمد علي البار (١/٢٣٠–٢٣١).

٥– (بلدان الخلافة الشرقية) (ص:٤٧٦).

٦–انظر (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) للدكتور محمد علي البار (١/٢٤١–٢٤٢).

٧– على أن بعضهم يكون مصيبًا في تحديد بلاد ما وراء النهر، إلا أنه يخطئ في نسبة الأقاليم والمدن إليه، كما هو حال الدكتور رمضان رمضان متولي، والذي ألف كتابًا بعنوان: (أئمة علم الحديث النبوي في بلاد ما وراء النهر: دراسة تاريخية)، وأدخل فيه أئمة سجستان وخراسان وفارس، أمثال الأئمة: مسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبي داود السجستاني، والنسائي، وابن حبان والبستي، وهذا خطأ واضح. فبلاد سجستان تحد بلاد خراسان جنوبًا، كما أن بلاد خراسان تحد بلاد ما وراء النهر جنوبًا.

٨– انظر: (بلدان الخلافة الشرقية) (ص٤٧٦– ٤٧٧).

٩– انظر: (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) للدكتور محمد علي البار (١/٢٣١).

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

هذه الآية من الآيات التي أنزلها الله تعالى تسلية لنبيّه ﷺ؛ لما كان يُعاب به من كفار قريش وغيرهم، واختلف أئمة التفسير فيمن نزلت على خمسة أقوال، ولعل أقربها إلى الصواب ما ذكره ابن كثير رحمه الله قال: «قال البزار: حدّثنا زياد بن يحيى الحساني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصّنبر المُنبَتر من قومه يَزعم أنّه خير منّا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السّدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه؛ قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾» هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح».

والحديث أخرجه أيضًا النسائي في السنن الكبرى (١١٦٤٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢)، وغيرهما.

والصّنبر وفي رواية الصُّنيبير بالتصغير، والصنبور الرجل الفَرْد الضعيف الذليلُ الذي لا أهل له ولا عَقب ولا ناصر.

والأبتر من الرجال: الذي لا وَلَد له، ومن الدّوابّ من لا ذنَب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر، والبتر القطع، بترت الشيء بترًا قطعته قبل الإتمام، والانبتار الانقطاع، والباتر السيف القاطع، والأبتر المقطوع الذّنَب.

وهذا الحكم الذي حكم الله به من القطع لا يختص بمبغض واحد، بل هو شامل لكلِّ مَن أبغض النبيّ ﷺ وسبّه وانتقصه، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال ابن جرير في تفسيره بعد ذكر بعض الأقوال في الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يُقال: إنّ الله تعالى ذِكرُه أخبر أنّ مبغض رسول الله ﷺ هو الأقلّ الأذلّ المنقطع عقبه، فذلك صفةُ كلِّ مَن أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه» اهـ.

■ **محمود عبدالخالق السعداوي**
كاتب وباحث إسلامي مصري

المحرر:

لقد كفى الله نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام المستهزئين، وضرب رسولنا الكريم المثل في معاملة من حوله، حتى ولو آذوه ومن هنا جاء الحكم- كما ذكرتم- بأن مبغض الرسول صلوات الله عليه هو الأقل الأذل.. نشكر لكم مساهمتكم التي اضطررنا إلى اجتزائها لضيق المساحة.

قواعد الإملاء

تسلمت العدد الجديد من (الوعي الإسلامي) لشهر ذي القعدة ١٤٣٣ وأسعدني الإهداء الجميل الرائع الذي رافق العدد (قواعد الإملاء) جزاكم الله خير الجزاء وأسعدكم الله بمغفرته ورضوانه.

أخي الكريم: تتألق الوعي الإسلامي بتميزها شكلًا ومضمونًا وسمو موضوعاتها وأبوابها وحسن إخراجها ووالله إنها شرف لكم وللكويت وللغة القرآن الكريم في زمن تشكو فيه اللغة العربية جفاء بعض أبنائها والميل الشديد إلى غيرها من اللغات و(التبجح والتشدق) باستعمال الإنجليزية في التخاطب وأسماء المحلات والمصانع ولغة العقود والمعاملات في البلاد العربية، مع العلم أن الشركات المنتجة لكثير من الأجهزة عربت إنتاجها حتى صار بإمكان الرجل الذي لا يعرف في الإنجليزية حرفًا أن يتعامل مع تلك الأجهزة ويستفيد منها بلا أدنى صعوبة.

أخي الكريم: ومما يزيد سعادتي ومعي كل المتخصصين في لغة القران والمشتغلين بتعليمها أن أجد هذا الملحق الممتاز لمجلتكم قد انتشر بين أكبر عدد من القراء.

أسألكم كم يطبع من المجلة والملحق؟ ثم هل يمكن أن نقدم لكم طلبًا بإرسال كمية من الملحق مع المجلة أو بدونها لأنني مدرس للغة العربية في المرحلة الثانوية والملحق سيخدمنا خدمة جليلة.

أنتظر جوابكم الكريم حفظكم الله من كل سوء وحفظ الله الكويت وأهلها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

■ **أخوكم: عبدالعزيز بن صالح العسكر**
عضو الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

المحرر:

نشكر لكم النقد البناء وسوف ترسل «المجلة» أعدادًا إضافية إلى الجمعية. في القريب العاجل إن شاء الله.

المطبوعات على الأرض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أولًا: جزاكم الله خيرًا على الجهد المبذول في تحرير وإخراج وطباعة هذه المجلة القيمة، والمحتوى الرائع الذي بذلتم فيه جهدًا مباركًا.

ثانيًا: أبعث لكم هذه الرسالة لما لاحظته من وجود صفحة

حرمة ترويع المسلم للمسلم

عجت الساحة الإسلامية في وقتنا الحالي بالكثير والكثير من الحوادث المؤسفة التي يندى لها جبين الحر، هي الحادثات التي نهت عن إتيانها الشريعة الإسلامية السمحاء، إنها الحوادث المؤسفة التي يروع فيها المسلم - المسلم، بل ويقوم بالاعتداء الضاري عليه وقد يتطور الأمر للتنكيل به بل وذبحه دون جريرة تذكر وبلا ذنب أتاه، مخالفًا بذلك ما أمرت به السنة النبوية الشريفة التي نهت كثيرًا عن ترويع الآمنين، وأوردت السنة النبوية حرمة أن يحمل الإنسان السلاح على أخيه المؤمن، والحقيقة التي لا مراء فيها أن سنة نبينا العظيم ﷺ قد حفلت بالكثير من الأمثلة الرائعة التي تبرهن بلا جدال على تلك الحرمات من قتل المؤمن وإيذاء المؤمن، فللدماء حرمة كبرى ولترويع الآمنين حرمات كثر وجرائم نكراء نهى عنها نبينا العظيم ﷺ الذي بعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق، وما أجملها من أخلاق، فلقد نهى النبي الكريم ﷺ عن حمل السلاح على المسلم وترويعه وقتله مصداقا لقول الحق: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء آية: ٣٣)، ومصداقًا لقوله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) رواه مالك والبخاري، ومسلم وأبوداود والترمذي، وكذلك قوله: (من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) رواه أحمد ومسلم في صحيحه، فالإسلام يدعو المسلمين لأن يحب بعضهم بعضًا، وأخبرنا رسول الله ﷺ بأن هناك سبعة يظلهم الله في ظله... رواه أحمد ومسلم في صحيحه، فالإسلام يدعو المسلمين لأن يحب بعضهم بعضًا، قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. وذكر منهم: (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) رواه البخاري، وكذلك قوله ﷺ: في (حجة الوداع): (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) ويُنهي الرسول الكريم ﷺ وصيته بتحذير المسلمين من هذه الحرمات بقوله ﷺ: (ويحكم أو ويلكم لا ترجعون بعدي كفارًا يضرب بعدكم رقاب بعض) رواه البخاري.

■ **رفعت حسين**

المحرر: الحوادث المؤسفة في عالمنا الإسلامي هذه الأيام كثيرة، لكن الذي يطمئن القلب رغم ما يحدث أن الإسلام يعلو والمسلمون ينتبهون لما يحاك لهم وإن شاء الله هي كبوات نعبر بعدها إلى بر الأمان.

بين فصيح اللغة وعاميتها

الجدال بين العامية والفصحى مازال ينال قسطا وافرًا من سجالاتنا الثقافية، والتربوية، وحتى الاجتماعية.

وهذا الجدال يحتاج إلى شيء من التركيز والجدية، فرغم كل ما قرأت حول هذا الجدال أقول بأنني لم أقع على دراسة جادة ومعمقة تتناول سمات هذه العلاقة بين العامية والفصحى، وكثير من هذا الحديث يذهب مذاهب شتى بعيدة عن تفاعل هذه العلاقة اللغوية التي تمس حركة تطور المجتمع بشكل فعال. فالمجتمع هو ابن لغته، وتترك اللغة أثرًا واضحًا على حركة تطوره.

بريهان فارس عيسى- سورية

المحرر:

ليتنا جميعًا نتفق على كلمة سواء فنتخذ كل السبل التثقيفية والتربوية والقانونية والإعلامية كي تتوقف المجلات عن كتابة لافتاتها بغير العربية وتتوقف الألسن عن المزج بين العربي والأعجمي ونعلن اعتزازنا بلغتنا الجميلة.

كاملة من المصحف الشريف على غلاف عدد ذو الحجة ١٤٣٣.

ولا يخفى عليكم ما قد تتعرض له المجلة وهي معروضة عند البائع أو على الأرصفة أو أثناء النقل والتوزيع من معاملة قد تنال من الآيات الكريمات المكتوبة على الغلاف إن الباعة يضعون المجلات والصحف على الأرض.

بكل تأكيد أنتم أحرص مني ولا أزكيكم على الله، ولكن وجب التنبيه.

■ أخوكم/ محمد عصر

المحرر: نشكركم أخي الكريم على لفت الانتباه وهذا الحرص الطيب على صورة غلاف المصحف المشرف.

وسيتم مراعاة ما تكرمتم بالإشارة إليه في الأعداد المقبلة وإن كان الأصل أن يتم الاعتناء بالمطبوعات الثقافية لا أن توضع على الأرض كما وصفتم.

من غرر الحكم

بشار بكور
باحث سوري

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزّهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» . وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

– في البلايا والأسقام والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه إلا أولو البصائر، ألم ترَ أنّ البلايا تُخمِدُ النّفْس وتُذلُّها، وتُدهشُها عن طلب حظوظها، ويقع مع البلايا وجودُ الذّلّة، ومع الذلة تكون النّصرةُ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٢٣) .

التنوير في إسقاط التدبير، ص ٢٧.

– الجُنَيْدُ: «لا يكون العارف عارفًا حتى يكون كالأرض يَطَؤُه البَرّ والفاجرُ، وكالسحاب يُظِلّ كلّ شَيء، وكالمطر يَسْقي ما يحبُّ وما لا يحبُّ» .

الرسالة القشيرية، ص ٢٤٤.

– إنّ الخيرَ للمرء أن يكون أُمّيًا لا يقرأ ولا يكتب من أن يكون رجلًا لا يعرف غيرَ القراءة والكتابة.

مقالة «بطون الكتب»، مجلة الثقافة (لأحمد أمين)- العدد ٥٢٨، السنة (١١) ١٩٤٩، ص ٢٠.

– قد يصحُّ للإنسان أن يغيّرَ رأيَه، ولكن لا يصحُّ له أن يُغيّرَ مَبْدَأه.

من الأقوال المأثورة في الأدب الغربي والعربي، مجلة الثقافة، العدد ٣٧٢، ص ٣.

–الخلافُ في الدين يُنتج من الخصومة أكثرَ مما ينتجُ الخلافُ في السياسة.

من الأقوال المأثورة في الأدب الغربي والعربي، مجلة الثقافة، العدد ٣٧٢، ص ٤.

–في السياسة ليست هناك كلمةٌ أخيرةٌ.

من الأقوال المأثورة في الأدب الغربي والعربي، مجلة الثقافة، العدد ٣٧٢، ص ٤.

– النّاس نِيامٌ فإذا مَاتوا انْتَبَهُوا.

–الرافعي: «النّاس يزاحمون في الدُّنيا لأجسامهم، فإمّا بؤسٌ وإما سعادةٌ، والحكماء والمحبّون يزاحمون لأرواحهم، فإمّا بؤسان وإما سعادتان».

– بزرجمهر: «مَنْ رَجَا الحزْمَ بغير رَوِيّة، والحَمْدَ بغير اسْتحْقاق، والمحبّةَ بغير لِين الكلمة، ومُنَاصَحَةَ الأنصار بغير التّوْسِعَة، وما عند القُضاة بغير حُجّة، فقد رجا ما يَصْعُبُ على رَجائه، واتّكَلَ على ما الغُرورُ في الاتّكَالِ عليه» .

البصائر والذخائر ١/ ١٣٦.

– مَنْ رَكِبَ هواه ورَفضَ ما ينبغي أن يعمل بما جرّبه هو أو أعلمه به غيرُه، كان كالمريض العالم بردِيء الطعام والشراب وجيّده وخَفيفه وثقيله، ثم يحمله الشّرَهُ على أكْلِ رديئه وتَرْكِ ما هو أقربُ إلى النجاة والتخلّص من علّته.

كليلة ودمنة، ص ٩٠.

– قال أفلاطون: «إذا كَبُرَت النّفْسُ استشعرت الخلودَ فعملت في العاجل ما يبقى لها في الآجل، وإذا صَغُرَت استشعرت الفَناءَ، فاستعجلت الأشياءَ خوفًا من فَوَاتها» .

التذكرة الحمدونية ٢/ ١٧.

–بعض النّاس ينجحون لأنهم محظوظون، ولكنّ معظم الناجحين قد نجحوا لأنهم كانوا مصمّمين على النجاح.

–مَنْ زرعَ الإحَنَ حَصَدَ المحَنَ.

– مَنْ طلَبَ عِزًا بباطلٍ أورَثه الله تعالى ذُلًا بحقٍ.

البصائر والذخائر ٧/ ٢٦.

–القوّةُ ليست علاجًا.

من الأقوال المأثورة في الأدب الغربي والعربي، مجلة الثقافة، العدد ٣٧٢، ص ٤.

– الفشلُ أمرٌ سيئٌ لكن الأسوأ منه ألا تحاولَ النجاحَ أبدًا.
–قتَلَ القنوطُ صاحبَه، وفي حسن الظنّ بالله راحةُ القلوب.

المجتني، ص ٦٥.

– قطْرَةُ الماء تثْقُبُ الحَجَرَ.. لا بالعنف.. لكن بتواصلِ السقوط.
–المسؤول حُرٌّ حتى يَعِدَ، ومُسْتَرَقٌّ بالوَعْدِ حتى يُنْجِزَ.

التذكرة الحمدونية ٨/ ١٦٠.

– قليل الموعظة مع نشاطِ الموعوظِ خيرٌ من كثيرٍ وافقَ من الأسماع نَبْوَةً، ومن القلوب مَلالةً.

رسائل الجاحظ ١/ ٢٨٩.

–الهمُّ نصفُ الهَرَم.
– كثيرًا ما ترتقي الصداقةُ إلى حبٍّ، ولكن الحبّ لا يهبطُ أبدًا إلى صداقةٍ.

من الأقوال المأثورة في الأدب الغربي والعربي، مجلة الثقافة، العدد ٣٧٢، ص ٤.

– النّاسُ بأزمانهم أَشْبَهُ منهم بآبائهم. أي: إن تأثر الإنسان ببيئته ومحيطه يغلب على تأثره بأبويه واتباعه لهما.
– بديع الزمان النورسي: «إنّ عزّةَ النّفس التي يشعر بها الضّعيفُ تجاه القويّ، لو كانت في القويّ لكانت تكبّرًا، وكذا التّواضعُ الذي يشعر به القويُّ تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذلّلًا».
–النّدامةُ على الفائتِ تَضْييعُ وقتٍ ثانٍ.

البصائر والذخائر ٥/ ٢٠٧.

– ما كلُّ ما يُعلَم يُقال، وما كلُّ ما يقال يُصَدّق.
–احْتَرِسُوا مِنَ النّاس بِسُوءِ الظّنّ

المراد من هذا أنه ما كل شخص أهلًا للثقة، فعلى الواحد أن يحترس من البعض ممن يرتاب فيهم، مستعينًا بالحذر وسوء الظن.

– إذا كنتَ تقود سيارتَك وأزعجك سائقٌ، فطبّقِ القاعدةَ المكتوبة على المرآة الجانبية: «الأجسام التي تراها هي أصغرُ مما تبدو عليه في الواقع».
–إذا أردتَ أن تطاعَ فَسَلِ ما يُسْتَطاع.
–إذا اسْتَخَار العبدُ ربّه، وشاورَ نَصيحَهُ، واجتهد رَأْيَهُ، فقد قضى الذي عليه لنفسه، ويقضي اللهُ في أمره ما أحبّ.

التذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦.

– الرافعي: «لا تتمُّ فائدةُ الانتقالِ من بلدٍ إلى بلدٍ إلا إذا انتقلتِ النّفْسُ من شُعورٍ إلى شعورٍ، فإذا سافرَ معكَ الهمُّ فأنتَ مُقيمٌ لم تَبْرَحْ».

وحي القلم ١/ ٤٨.

–لا تجادلِ الأحمقَ، فقد يُخطئ النّاس في التفريق بينكما.
– الإنسانُ مَلولٌ لما ظفرَ به، ومُسْتَطْرِفٌ لما مُنِعَ منه.
–إنْ كنتَ ناقلًا فالصحةَ، أو مدّعيًا فالدليلَ.
– ما لا ترضاه لنَفْسك لا تصنَعْه لغيرك؛ فإن في ذلك العدلَ، وفي العدل رضا الله تعالى ورضا النّاس.

كليلة ودمنة، ص ٣٤١.

– مثّلْ بنفسكَ مثالَ ما اسْتَحْسَنْتَ من غيرك فاعمَلْ به، وما استقبحتَ من غيرك فاجْتَنِبْه، فإنّ المرءَ لا يرى عيْبَ نفسه

زهر الآداب ١/ ٤٣٨.

–كلُّ إناء بما فيه ينضَحُ.
– كُلُّ مُجْرٍ في الخَلاء يُسَرُّ.
أصل المثل أن الرّجُلَ يُجري فرسَه بالمكان الخالي لا مسابقَ له فيه، فهو مسرورٌ بما يرى مِنْ فرسه ولا يَرى ما عند غيره، يضرب مثلًا للرجل تكون فيه الخلّةُ يحمدها منْ نفسه ولا يشعر بما في النّاس من الفضائل.

أمالي القالي ٢/ ٨٩.

حلم السعادة الطائر

د. خالد كمال
مدير مركز عطاء للتنمية البشرية والتدريب - مصر

السعادة هذا الحلم الجميل الطائر أمام أعيننا بأجنحة من نور، هذا الأثير المحس تتنسَّم في الجو ذراته، ونريد أن نستنشقها ملء صدورنا، فلا نجد منها أبدًا ما يكفينا. السعادة هي مايجرى بنو الإنسان وراءه من عهد آدم إلى اليوم، وما يكاد أحدهم يدركها حتى يجذبه شيطان الشقاء فيصده عنها.

أين هي؟ كيف هي؟ أسئلة تبدو بسيطة فى ظاهرها، لكنها عميقة المعنى تحتاج في اكتناه إجابتها إلى عقل واسع الإدراك، وقدرة لامحدودة على التأمل وثقافة متشعبة، وهذا من الصعب أن يتوفر لأحد.

لقد اعتقد البعض (وحتى الآن) أنها فى كثرة المال واستندو في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(الكهف:٤٦)، لكن الحق أنَّ دول أوروبا وخاصة التي حققت مستوى معيشيًا عَاليًا مثل السويد– التي يطلق عليها البعض جنّة الله في الأرض –لم تحقق لمواطنيها السعادة الحقيقية – فكل مواطن لديه منزل جميل وحديث، وسيارة أحدث موديل وعمل جيد يدرُّ عليه ربحًا كبيرًا، وفسحة مضمونة من الحكومة سنويًا، وتأمين صحي واجتماعي شامل لكل أسرة ومكافأة لكل امرأة تلد وراتب للمولود .....وهكذا ورغم هذا نجد فيها أعلى نسبة للانتحار في العالم حتى عهد قريب، فماذا بعد هذا الإشباع المادي ؟!

لماذا لا يرضى النّاس ويشعرون بالسعادة؟! ولماذا نذهب بعيدًا؟! أليس لدينا أغنياء في مصر يطالعوننا ليل نهار في مدننا وقرانا. بل وفي أجهزة الإعلام، هل نلاحظ على أحدهم سيماء السعادة الزائدة، أو إشراق في الوجه، أوهدوء في النفس، لا والله إذا اقتربت منهم تجد أنهم لا ينامون طويلا، وإذا ناموا لا يغطون فى نوم عميق، بل يكون قلقًا مضطربًا نتيجة كثرة الأعمال والمشكلات والرغبة المحمومة في زيادة الثروة والخوف الرهيب من نقصان الأموال.

وفي أمريكا أغنى أغنياء العالم، ومع ذلك ترى حالات الشقاء متجسدة في مجتمعاتهم وأفلامهم السينمائية، وصنوف الاضطراب النفسي والعقلي التى يعاني منها النّاس مما دفع أحدهم وهو الكاتب (كولن ويلسون) للقول: «إن الحياة فى نيويورك غطاء جميل لحالة من التعاسة والشقاء».

وهناك حديث رائع للرسول ﷺ يصور النفوس الطامحة للثراء المعذبة برغبتها فيه «من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلاّ ما قدّر له».

هل السعادة فى الشطر الثاني من الآية وهم «البنون» الحق يقال إن الأولاد هم زينة الحياة الدنيا كما قال الله تعالى، لكن هذا لا يعني أبدًا أنهم مصدر للسعادة، ولاسيما هذه الأيام، فهناك أبناء يذيقون آباءهم الذّل والهوان والفقر والكفران، حيث يصل الأمر إلى حد الضرب وإحداث العاهات والإصابات والقتل أحيانًا. وهناك فتيات يَجْلِبْنَ على آبائهن الذّل والعار والنكد ليل نهار، بحيث يأتي على الوالدين لحظة يتمنون فيها لو كانوا غير قادرين على الإنجاب. إن السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان، ولا يستورد من الخارج. فهو شيء معنوي لا يرى بالعين ولا يقاس بالكمّ ولا يشترى بالنقود، إنها في الإيمان العميق بالله مع القناعة بالرزق والرغبة المعقولة في تطوير الذات للأحسن.

لقد قال أحد الصالحين نتيجة عمق إيمانه بالله وقناعته بما لديه «إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف» والذين رزقوا هذه النعمة يبتسمون للحياة مهما كشّرت عن نابها، ولديهم قدرة عجيبة على فلسفة الألم بحيث يستحيل عندهم إلى نعمة تستحق الشكر بينما يصرخ غيرهم منها.

ولقد قال أيضًا حديثًا أعلقه أمام مكتبي وأحفظه عن ظهر قلب «من أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

إذن السعادة في الإيمان والقناعة والرضا والسعي المعقول للإشباع المادي في الدنيا مما يحقق السكينة والأمن والأمل والحب، وهذه مفردات السعادة.

العطاء
AL attaa Group
www.alattaa.com
your dream world
أكبر وأضخم
تجمع علمي تكنولوجي
في موقع واحد
www.alattaa.com
Tel : 22651151
Mob : 97777158
Fax : 22628283
info@alattaa.com
www.alattaa.com

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» .. هدية الكويت لكل الشباب

«الوعي الشبابي» مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا

www.shabab.alwaei.com

البريد الإلكتروني

info@shabab.alwaei.com